الجمــاهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظــمى

اللجنة الشعبية العامة للتعليم والبحث العلمي
جامعة الفاتح/كلــية الآداب

قسم اللغــة العربيــة
شعبة الدراسات العليا

الحقيقة التاريخية والخيال الروائي في روايات إبراهيم الكوني (لون اللعنة ـ نداء ما كــان بعيداً ـ في مكــان نسكنه في زمــان يسكننا).

بحث مقدم استكــمالاً لمتطلــبات الإجــازة العلــيا (الماجســتير)

في الدراســات الأدبية

إعــداد

الطالبة : وفاء محيي الدين سالم أبوغمجة

تحت إشراف

أ.د : علي عبد المطّلب الهــوني

سنــة2009 /2010 ف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

"نُ وَ الْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ1 مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ 2 وَإِنَّ لَكَ لأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ 3 وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ 4" .

صدق الله العظيم

سُورَةُ القلم الآيات 1 - 4 .

الإهــداء

إلى من تعجز عن وصف عطــائه الكلـــمات
و من ســاندني في تخطـــي جمـــيع العقبــات (أبي) الحبيب
عرفـانـاً وتقـديراً لتــشجيعه

≈≈≈≈≈≈≈≈≈≈≈≈

إلى نبع السكينة و الراحـات
التي تعبت لـكي امضـــي فيـما أنجـــزت (أمي
)الحبيبة عرفاناً وتقديراً لتشجيعها

≈≈≈≈≈≈≈≈≈≈≈≈

إلى طيور الأمــل وشموع المحبة وورود دنياي الذين واكبوا معي خطواتي
بكل صبر و ثبات(إخوتي) الأعزاء

≈≈≈≈≈≈≈≈≈ ≈

إلى روح جدي (ســـالم)الطــاهرة الذي أحب العلم والعلـماء

≈≈≈≈≈≈≈≈≈≈≈≈

إلى روح عمــي (صــالح بركة) الطــاهرة الذي شجعني على المضي في
طريق العلم والمعرفة.

...أهدي ثمرة قطافي..

كلـمة شكـر وتـقـديـر

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحـات ،والصلاة والسـلام على المبعوث بالرحمات ، وبعد ،،

فإنني أتقدم بعميق الشكـر والامتنان لأستـاذي الذي قبِل الإشراف على بحثي ورعايته ،وأنار دربي بتوجيهاته وتعليماته ،التي ساعدت على إثراء البحث،ولم يبخل علّي بعلمه ومشوراته إلى أ.د:علي عبد المطّلب الهوني.

كما أتقدم بجزيل الشكر إلى لجنة المناقشة على ما تجشمته من عنـاء في قراءة البحث،وعلى ما ستمده من تصويب وتوجيه لإثرائه:

أ.د الطاهر خليفة القراضي وكذلك أ.د هاشم المهدي الشريف.

كما أتقدم بجزيل الشكر لأمين اللجنة الشعبية كلية الآداب جامعة الفاتح:

د :نصر الدين أبوغمجة لما حباني به من رعاية واهتمام.

كما أتقدم بجزيل الشكر لأمين اللجنة الشعبية لكلية التربية/قصر بن غشير د :عمار خليفة على ما أبداه من مساعدة للمضي في هـذا البحث.

كما أتقدم بالشكـر الجزيل للأستاذ: سعد شرادة على ما أبـداه من نصح وإرشاد.

والشكر موصول إلى أولئك الأخيار الذين مدّوا لي يد العون، خلال فترة قيامي بهذا العمل،وأرجوا أن يوفقني الله فيما أردت ، فإن أصبت فـذاك المبتغى والمرام ،وإن أخطأت فحسبي أنني توخيت الدقـة،والأمـانة في عملـي،وبذلت ما استطعت في سبيل ما أصبو إليه والله ولي التوفيـق.

ـ الباحثة ـ

بـسم الله الرحمن الرحـيم

المقـدمـة

نظراً لأهمية الرواية العربية التـاريخية، لما تقدمه من دور جليل في إثراء الأدب العربي،وما تهدف إليه من إيصال للمعلومة التـاريخية للقرّاء بكل سهولة و يسر، ونظرا لما قامت به هذه الرواية من ترسيخ للتاريخ في عقول النشء،انتشرت هذه الروايات في أقطار الوطن العربي ،وكانت ليبيا إحدى هذه الأقطار ،حيث حـاول الروائيون الليبيون بإثـراء هذا النوع من الروايات ،بالكتابة عن واقعهم التاريخي وما عانته ليبيا من أهوال الحروب ، وبالطبع يُعد إبراهيم الكوني أحد روادّ الرواية التـاريخية الليبية ،حيث كان له أثر عظيم في إثراء هذا المجال بعدد من الروايات التاريخية ،لـذا وجدتُ بعض المقالات التي تُشيد بهـذا الكـاتب من الناحية الفنية والإبداعية ،كما وجدت بعض الدراسات التي تناولت بعض روايـاته بالدراسة من حيث المنظور السردي في رباعيته الخسوف ،و الفضاء وبنيته في النص النقـدي الروائي في رباعيته الخسوف .

ولكن ما لفت انتباهي أن الروائي هو أحد كتّاب الرواية التاريخية ،أي أنه يُوظف التاريخ الليبي أثناء كتابته لرواياته التاريخية لذا كان علينا أن نتتبّع مدى مزجه للحقيقة التاريخية بخياله الروائي الذي يكتبه برواياته، ذلـك لأننا نعلم أن الخيال إحدى صفات الروائي فهل تجاوز خـيال الكوني الحد ،الذي جعله ينقل أحداثـاً مغالطة للتاريخ، أو شد من زمام خياله فنقل التاريخ كما هو؟.

هذا وتُعد الرواية التاريخية عند المبدعين من الروائيين انعكاساً لتاريخ فترة زمنية معينة على واقعنا المعيش فيما نسميه بالمفارقة،لذا فإن من واجبنا التنبه والاستفادة لما حدث من أخطاء في التاريخ حتى لا نكررها في حاضرنا.

وهذا يزيد الرواية التاريخية أهمية إذ هي تُركز على مدى أهمية التاريخ لدى الأمة ماضياً وحاضراً ومستقبلاً،كما أننا لم نجد من البـاحثين من سبقنا إلى تنـاول هذه الزاوية بالدراسة .

هذه الأسباب مجتمعة أدت لاختيار هذا الموضوع ،والذي كلفني جهداً كبيراً لتثبيت

بعض الحقـائق التاريخية ،التي أوردهـا الكوني في روايـاته موضوع الدراسة، وتوضيح ما أراد الكوني إيصاله للمجتمع ،ذلك لأن أسلوب الكاتب يتصف بالفلسفة والغموض.

ولعل أهمية هـذا البحث تكمن، في كونه أول بحث يشير لمدى صدق الكوني لما يرويه من تاريخ .

أما منهجي في البحث فيتمثل في :

- لم أكتب بحثي على غرار البحوث السابقة ،ولكن حاولـت أن يكون هذا البحث ضوءاَ يسلط على بعض روايات الكوني وهي (لون اللعنة ـ نداء ما كان بعيداً ـ في مكان نسكنه في زمان يسكننا) لكي نكشف شيئاًَ جديداً في هذه الكتابـات من حيث المصداقية التـاريخية لدى الكونـي ،ومدى إبداعه في توظيفه لهـذا التاريخ،ذلك لأن هذا البحث في نظري يُفيد دارسي الأدب ودارسي التاريخ.
- حاولت أن أحقق التاريخ الذي نقله الكوني في رواياته، وذلك بالرجوع إلى كتب التاريخ، والتي أهمها:الحوليات الليبية، تاريخ طرابلس الغرب، طرابلس الغرب تحت حكم الأسرة القره مانلية ،تاريخ ليـبيا في العصر الحديث،عائلة المكني أبناؤها وأدوارهم في التاريخ الليبي، وثائـق دولـة أولاد محمد بفزان،تـاريخ المغرب والأندلس،المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب،التذكار وإثبات ما غالط في نقله الكوني، سواء بقصد أو بغير قصد .
- اعتمدت أسلـوب التحليل في بعض ما قـاله الكوني ،وحاولت أن أنـاقش هذه التحليلات قَدَر الجهد ،كما حاولت أن تكون كل كـلمة في محلـها دون إطـالة

أو إيجاز.

هيكل البحث :

يقع البحث في تمهيد والتعريف بالروائي إبراهيم الكوني ، وثلاثة فصول، وخاتمة.

يمثل التمهيد دراسة لتاريخ ومكانة الرواية ،وإسقاط الضوء على الرواية العربية وأنواعها ،ثم التركيز على الرواية العربية التاريخية ، ومدى نضجها والرواية التاريخية في ليبيا ،ومدى نجاحها وأوائل الكتّاب الليبيين ،وأعلام الرواية التاريخية في ليبيا، الذين يُعد الكوني أحدهم ،ومن ثم التعريف بالكوني ،ونتاجه الأدبي، وسيرة حياته ،وبعض أخباره ،ومدى اعتراف العالم بإبداعه وتكريمه.

- **الفصل الأول**: **ويشمل حقيقة الأسرة القره مانلية وأركان سعادتها**.

المبحث الأول :الأسرة القره مانلية بين الحقيقة التاريخية والخيال الروائي في الروايات الثلاث.

المبحث الثاني :مثلث السعادة عند مؤسسي الأسرة القره مانلية

- السلطة عند مؤسسي الأسرة القره مانلية.
- المال عند مؤسسي الأسرة القره مانلية.
- المرأة عند مؤسسي الأسرة القره مانلية.

- **الفصل الثاني** :**انحسار دور المرأة في الرواية التاريخية عند الكوني في الروايات الثلاث**.

المبحث الأول :تحقيق شهوة الإنتقام في الروايات الثلاث.

المبحث الثاني :تحقيق شهوة المتعة في الروايات الثلاث.

المبحث الثالث :تلاشي دور المرأة في الروايات الثلاث .

- **الفصل الثالث** : **ويشمل التاريخ وانعكاسه حاضراً ومستقبلاً**.

المبحث الأول :استدعاء التاريخ العربي.

المبحث الثاني :رؤية الحاضر بعين الماضي.

وقد انتهيت إلى الخـاتمة وما تحويه من نـتائج البحث ،والصعوبات التي واجهت البـاحثة أثناء بحثها.

هـذا وقد اعتمدت على مصادر ومراجع مهمة، وأساسية لهـذا البحث ،وهي وإن كـانت متفاوتة في تقديم المعلومة القيمة لهـذا البحث ، فإنها كونت في مجموعها مادته العلمية التي قام عليها.

التمهيد

- **الرواية**.
- **الرواية العربية**.
- **الرواية التاريخية العربية**.
- **الرواية التاريخية في ليبيا**.
- **التعريف بالروائي إبراهيم الكوني**.

الرواية:

تعد الروايـة من الاجنـاس الادبية[1] ولها تعريفـات عديـدة منها على سبيل المـثال ما يذكره اى ام فورستر E.M.forster اذ يقول:" الرواية كتلة هائلة عديمة الشكل إلى حد بعيد...إنها، بكـل وضوح ،تـلك المنطقة الأكثر رطـوبة ونداوة في الأدب حيث ترويها آلاف الجداول، وتنحط أحيانا لتصبح مستنقعا أسنا"[2].

المقصود من هـذا التعريف أن الروايـة لا محدودة ومتصلة بعلوم كثيـرة تزيد من حجمها أو تنقصها بمعنى أن لها تأثيراً عليها .

أما مؤلفـو ما يطلق عليه اسم "مسـارد التعـابير الادبية" المعقدة مثل ام جي ابرامز M.J.Ibrahms فيقـول:" يطلق تعبير الرواية الآن على أنـماط شديـدة التنوع من الكتابة بحيث لا يجمع بينها في الحقيقة الا كونها أعمالا نثرية مطولة .... والروايـة هي عمل أدبي ذو طول معين فيه خط من نوع معين "[3].

يلاحـظ على التعريف السابـق أنه عـام بحيث عرّف الروايـة: بأنها عمل نثـري مطول دون أن يحدد سماتها أو صفاتها .

وقد عبّـر ميخائيل باختين عن هذه الظاهرة تعبيرا جيدا؛ حيث يصف الرواية بأنها لا تخضع لأي قانون ، ويضيف" إنها المرونة ذاتها"[4].

أما هـذا التعريف فيصف الرواية بأنها مطلقة أي غير خاضعة لقوانين وهذا مبالغ فيه فما من نوع أدبي إلا وله قوانين تحكمه وتضبطه؛ لتكون له منهجا ودليلا يقتفي أثـره كتّاب هذا النوع .

"الروايـة هي الطريقة التي يخاطـب بها المجتمع نفسه هـذا ما يقوله فيلليب سولرز Philip Sollers "[5].

وهـذا ما أكـده عبد الرحيم الكردي حين عرفها بأنها:شكل فني يعتمد على الرؤيـة الواقعية للحياة[6].

---

[1] - ينظر محمد صائل حمدان،قضايا النقد الحديث،الطبعة الأولى،سنة النشر1991،دار الأمل - الأردن،ص79 .

[2] - روجر آلن،الرواية العربية،ترجمة:حصة المنيف،لاتوجدطبعة،سنة النشر1997 - المجلس الأعلى للثقافة،ص18 .

[3] - روجر آلن ،الرواية العربية،ترجمة:حصة المنيف ،ص18.

[4] - روجر آلن،الرواية العربية،ترجمة:حصة المنيف،ص19.

[5] - روجر آلن،الرواية العربية،ترجمة:حصة المنيف،ص85.

[6] - ينظرعبد الرحيم الكردي،السرد ومناهج النقد الأدبي،لاتوجد طبعة،سنة النشر2004،مكتبة الآداب - القاهرة،ص133.

أما أحمد أمين فقد عرفها: بأنها مدينة بوجودها،ومع أنها تتصف بالمرونة والحرية، ولكن يمكن وضع بعض القوانين لضبطها[1].

هذا وعرفها مجدي وهبه وكامل المهندس : بأنها سرد نثري خيالي طويل عادة، تجتمع فيه عدة عناصر في وقت واحد مع اختلافها في الأهمية باختلاف نوع الرواية وهذه العناصر هي :الحدث ،التحليل النفسي ،تصوير المجتمع ، تصوير العالم الخارجي،الأفكار،العنصر الشاعري[2].

أما ثابت ملكاوي فيرى أنه: "من الصعب الوقوف على تعريف واحد للرواية، كجنس أدبي استقل وثبت جذوره في الأدب بشكل عميق حتى الآن. وتبعا لتشعب النظرة الذاتية والفلسفية لمؤرخي الأدب ومنظريه وكتابه،اختلفت النظرة لمفهوم الرواية ،وتعريفها مثلما اختلفت النظرة إلى الشعر،وصار من الصعب الالتقاء حول تعريف محدد له.

فمثلا، وليس على سبيل الحصر، عرّفها الكاتب الانجليزي هنري جيمس بأنها " انطباع شخصي عن الحياة، وهذا الانطباع هو الذي يشكّل قيمتها بالدرجة الأولى، وتتفاوت هذه القيمة على قدر كثافة انطباعات المبدع " .

في حين قال " البيريس" إن التعريف الوجيز للرواية ـ في أوسع المعاني غموضا منذ منشئها حتى أيامنا أن تكون(حكاية) وأن تحتوي على أشخاص وعمل.

وعرّفها الشاعر الفيلسوف الألماني غوته"الرواية ملحمة ذاتية يتخذ فيها المؤلف حرية تصوير العالم على طريقته،وكل ما في الأمر أن نعرف هل له طريقة خاصة به،أما ما يبقى فيمضي دائما من تلقاء نفسه".

وقال عنها الكاتب الروائي أميل زولا : "إن الرواية هي أي شيء تشاؤه كما وصفها الناقد الأدبي المشهور جورج لوكاتش بأنها ملحمة الزمن الجديد الشعبية"[3].

---

[1] ـ ينظر أحمد أمين،النقد الأدبي،الطبعة الرابعة،سنة النشر1967،دار الكتاب العربي ـ لبنان،ص132 - 133.

[2] ـ ينظر مجدي وهبه وكامل المهندس،معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب،لاتوجد طبعة،سنة النشر1989،لبنان ـ بيروت ص103.

[3] ـ ثابت ملكاوي،الرواية والقصة القصيرة في الإمارات،لاتوجدطبعة،لاتوجد سنة نشر،إصدارات المجتمع الثقافي،ص29.

"ويصفها يفغيني سيدوروف ،بأنـها الجنـس الأدبـي الوحيد الذي يشبه في كل شيء الحيـاة التي تتشكل...وأنه لايمكن لذلك أن يكون هنـاك حتى قـانون للجنس الأدبي الروائي"[1].

أما عبد الفتاح عثمان فقد عرفها:بأنها من أكثر الأجنـاس الأدبية صلة بالواقـع،لأنها ترصد التغيير الاجتماعي،وتعبر عن الاتجـاه السياسي،وتكشف عن الصراع المحتدم بين الإنسان والبيئة التي يعيش فيها[2].

من التعريفات السابقة نستطيع القول بأن الروايـة: هي الفضاء اللامحدود الذي ينتجه كل روائـي في روايته على اختلاف المدارس الأدبـية التي ينتمون إليها وفلسـفاتها ونظراتها الذاتية واللا محدودة فهي بلا شـك المرآة التي تعكس المجتمع وتطوراتـه المختلفة.

الرواية العربية:

[1] ـ ثابت ملكاوي،الرواية والقصة القصيرة في الإمارات،ص30.
[2] ـ ينظر عبد الفتاح عثمان،دراسات في النقد الحديث،الطبعة الأولى،سنة النشر1991،مصر،ص129.

يقول روجرألن بأنها نمط أدبي مستورد للعالم العربي[1].ويعّبرشارلز فيال Charlesvial بصورة جلية لا لبس فيها: " لا تدين القصة العربية المعاصرة بأي صورة من الصور لتقاليد الأدب العربي، اذ لاعلاقة لها بالأدب الشعبي الفلكلوري في" ألف ليلة وليلة "،ولا لحكايات الفروسية أو الأنماط السردية ،التي تندرج تحت اسم الأدب[2].

مما سبق نفهم أن الرواية العربية ليست امتدادا للقصص الشعبي،بل نوع جديد قرُب إلى أدبنا من الغرب وهذا ما أكدّه الروائي عبد الرحمن منيف في قوله: " إن الرواية العربية بلا تراث "[3].

وكي يتسنى لنا معرفة ما قيل حول الرواية العربية وتطورها، لابدّ من تتبع تطورها والعوامل التي ساعدت في ذلك في كل قطر عربي ومعرفة هل للرواية العربية الحديثة جذورغربية أم لا ؟.

بتتبعنا لتطور الرواية العربية في كل من سوريا ولبنان؛ نجد سلسلة كاملة من العائلات منها : البستاني واليازجي والشدياق والنقاش وغيرها، قد ساهمت في حركة الانبعاث القومي؛ وذلك عن طريق تنبيه العرب إلى الغنى الذي تتمتع به لغتهم وأدبهم. ويمكن الإشارة في هذا الصدد إلى نصيف اليازجي(1800/1871) الذي قام بإعادة دراسة الأعمال الأدبية العظيمة المكتوبة في الماضي إذ قام بكتابة مجموعة مقامات اطلق عليها اسم(مجمع البحرين)،كما قام بطرس البستاني(1819/ 1883) بكتابة معجم(محيط المحيط)[4].

وفي مسار تطور الفن القصصي يجدر بنا أن نذكر فرنسيس مراش (1826/

1873) وسليم البستاني (1848/1884) .فمن آثار الأول كتاب (غابة الحق) 1865 ويعد حكاية رمزية عن الحريةوالعدالة والتقدم[5].

---

[1] - ينظر مقال بعنوان:نشأة الرواية العربية بين النقد والأيديولوجية،بقلم:بطرس حلاّق،مجلة الفكر العربي،العدد14،مارس،سنة النشر 1980،ص125.

[2] - ينظر روجر آلن،الرواية العربية،ترجمة:حصة المنيف،ص25.

[3] - روجر آلن،الرواية العربية،ترجمة:حصة المنيف،ص26.

[4] - ينظر روجرآلن،الرواية العربية،ترجمة:حصة المنيف،ص35 - 36.

[5] - ينظر مقال بعنوان:زمن الرواية،بقلم:شحات محمد عبد المجيد،مجلة العربي،العدد 508 ،مارس،سنة النشر2001،ص184.

أما الثاني فقام بكتابة سلسلة من القصص التاريخية كان لها الأثر في اجتذاب القراء نحو تاريخهم الإسلامي ، ومن كتاباته رواية (الهيام في بلاد الشام) مثلا 1870.[1]

ونجدد الإشارة إلى أن نسبة كبيرة من الأعمال التي أشرنا إليها سالفا ؛والتي كتبها سوريون ولبنانيون كتبت وطبعت خارج بلادهم. والسبب الأساسي لذلك هو قيام حرب أهلية لفترة زمنية مطولة،بدأت في الخمسينيات من القرن التاسع عشر.

هذه الظروف كان لها انعكاس سلبي على تطور الرواية على حركة الانبعاث الثقافي إذ إن الهجرة وسيطرة الحكومة العثمانية،ورقابتها الشديدة على المؤلفات حدَّتْ من حركة التأليف والنشر[2].

هذا ما يؤكده محمد كرد إذ يقول:" وكان أشد ما يؤلمني الرقابة الشديدة المفروضة والعراقيل التي كانت توضع أمام السماح بنشر أي شيء.ولم يكن هناك ما يتحكم بالرقابة إلا مزاج الرقيب.. ولكم عانيت من حذف الناشر لمقاطع كاملة من مقالاتي، أو المقال برمته في بعض الأحيان "[3].

كما هو معروف إن دولة العراق تقع إلى الشرق من سورية وتفصل بينهما صحراء بادية الشام التي أدت إلى سيادة الأنماط الأدبية التقليدية أما تطور الفن القصصي فقد تأخر في العراق مقارنة بالأقطار العربية الأخر.

وهذا ما يؤكده يوسف عز الدين بقوله: "كان تطور فن القصة في العراق من ظواهر القرن العشرين"[4]

ويقول محمد صالح وكان أول قصاص عراقي حاول أن يجاري القصص التركية هو سليمان الفيضي.

[1] - ينظر عبدالرحمن عبد الحميد،النقد الأدبي بين الحداثة والتقليد،لاتوجد طبعة،لاتوجدسنة نشر،دار الكتاب الحديث،ص221.
[2] - ينظر روجر آلن،الرواية العربية،ترجمة:حصة المنيف،ص38.
[3] - روجر آلن،الرواية العربية،ترجمة:حصة المنيف،ص38.
[4] - روجر آلن،الرواية العربية،ترجمة:حصة المنيف،ص39.

أما الرواية في فلسطين، فقد نشـأت في ظروف مشابهة للروايـة في مصر ولبـنان بفضل الترجمة ، حين قـام (خليل بيدس) الذي يُعـد مؤسس الروايـة المعـاصرة، بعد اطلاعـه على الأدب الروسـي وترجمته لأهم الروايـات منها:(ابنة القبطان) وبذلك فتـح بابا واسعاً للترجمة،مما صنع أرضاً صلبة تقف عليها الروايـة الحديثة في فلسطين،ومن أبرز هؤلاء رشيد الدجـاني على سبيل المثال وغيره[1].

وكانت أول روايـة أصدرت هي (الوارث) لخليل بيدس،ثم توالت المحاولات الروائية ولكن ببطء، وكانت القضية الفلسـطنية نقـطة ربط بين تنوع الروايـات التي أُلفتْ[2].

أما أقطار الجزيرة العربية فقد ظلتّ مستودعا للأنماط التقليدية ، فيما يتعلق بالتقـاليد الثقافية العربية ، واكتشاف النفـط في العراق وفي أقطار الجزيرة العربية أدى لتطور الحياة المعيشية فيها ، فمن التـأخر والانغـلاق على الأنمـاط التقليدية إلى التطـور والاتساع فى المجالات المختلفة ، إذ بـدأت الصحف والمجلات والإذاعـات المرئية تأخذ مكـانتها في المجتمع، وأدى ذلك إلى بروز سلسلة من أحدث التقـاليد الآخـذة بالتطـور وفي مجـال الروايـة،ظهرت خمـاسية عبد الرحمن منيف، التي تُعد من الأعمال الرائـدة في هـذا المضمار وذخيرة أدبية كبيرة، كما ظهر روائيون آخرون خاضوا هـذه التجربة للمـرة الأولـى منهم: عبد الله الجفري وعبد العزيز الصقعبي وآخرون[3].

كما ظهرت" روايـة (دائما يحدث في الليل) سنة1979 لمحمد عيّاش يمكن تسجيلها كأول رواية فنية في دولة الإمارات"[4].

هذا وتُعد مصر رائـدة لهذا الفن الجديد في الوطن العربـي إذ انطلقت الشرارة منها إلى بقية البلدان العربية عن طريق الترجمة والتأليف الروائي.

---

[1] ـ ينظر مقال بعنوان:الرواية في الأدب الفلسطيني،بقلم:أحمد أبومطر،مجلة الفكر العربي،العدد26،الجزءالثاني،مارس72 ،79 السنة الرابعة، ص 338 -339.

[2] ـ ينظر إبراهيم الفيومي،قراءات نقدية في الرواية العربية،الطبعة الأولى،سنة النشر2001،كلية الآداب ـ جامعة اليرموك،ص230 -231.

[3] ـ ينظر سيد محمد ديب،فن الروايـة في المملكة العربية السعودية بين النشأة والتطـور،الطبعة الثانية،سنة النشر 1995،مكتبة الأزهر ص 368.

[4] ـ ثابت ملكاوي،الرواية والقصة القصيرة في الإمارات،ص35.

وهذا ما يؤكده عمر طالب بقولـه: "كان للترجمات العربية في مصر ولبنان أثر كبير في توجيه القصصيين الناشئين في العـراق الذين تعرفوا على آثار القصصيين أمثال تولستوي وديماس عن طريق الترجمة"[1].

كما يذكر ذلك شاكـر مصطفى: " كانت الحركة القصصية المنطلقة في مصر ولبنان ذات تأثير كبير وتعبير رافـد من الروافـد الهامة التى دفعت إلى الاهتـمام بالفـن القصصي في سوريا بعامة والرواية بخاصة "[2].

مما سبق ذكره نستنـبط بأن مصر استوعبت هـذا الفـن من الروايـات الأوروبية وأصبحت منارة لها في الوطن العربي، الذي تأثـر بما وصلت إليه في هذا المضمار وقد مرّ تطور هـذا الفـن بفترات فـفي الفترة الأولى 1939 ، وهذه الفتـرة شهدت مرحلة المغامرة الفردية منها محاولات رفاعة الطهطاوي وآخرين،ممن حاولوا تعـليم القرّاء ونقل بعض صور الحضارة الغربية إلى القـارىء العربي في مصر رغم أنهم يجهلون التقاليد الفنية للروايـة كما يراها النقـاد،كما قلد أسلوب المقامة العربية(محمد المويلحي)1868 -1930[3] في عمل مطوّل باسم (حديث عيسى بن هشام)[4]حيث جمع فيها ما تأثـر به من الثقـافة الفرنسـية،وفي هـذا المضمار يجب أن لا ينسى فضل الصحافة في تطور فن الرواية.

تتـالت الأعمـال ساذجـة وبسيطة الى أن وصلت إلى قصة (زينب) لهيكل 1912، وهي بمثابة مغـامرة فردية[5].

لم تتوقف عندها الروايـة المصرية بل زادت في تطورهـا وتتـالت الإصدارات في مجال الرواية (كسارة) للعـقاد التي وصفت بافتقاد الوحدة الفنية[1] سنة 1938 ورواية (إبراهيم الثاني) لإبراهيم المازني سنة 1943 .

---

[1] ـ سيد حامد النساج،الرواية العربية الحديثة،الطبعة الأولى،سنة النشر1980،دار المعارف ـ القاهرة،ص16.
[2] ـ شاكر مصطفى،القصة في سورية،لاتوجد طبعة،سنة النشر1957،ص63.
[3] ـ مقال بعنوان:زمن الرواية،بقلم شحات محمد عبد المجيد،ص185.
[4] ـ محمد صايل حمدان،قضايا النقد الحديث،ص68.
[5] ـ ينظر سيد حامد النساج،الرواية العربية الحديثة،ص19 ـ 33 .

أما بعد ثـورة 1952 ، فقد اتجهت الروايـة نحو التـاريخ الوطني بمعنى الروايـة التاريخية،أصبحت فارسة الميدان ومن كتّـابها علي الجارم وآخرون كان هـذا النمط واقعيـاً،وإن كان البعض الآخـر خيالـياً رومنسياً مثل روايـات يوسف السـباعي.

نلاحـظ ان هذه الثورة أتـاحت لكتّاب الروايـة التاريخية الانطـلاق ذلك لأنها ثورة عاشـها المجتمع المصري ،مما أدى لأن تكون بعض الروايـات انعكاساً لما عانـاه المجتـمع من حروب وحرمـان وبالذات بعد نكسة 5 يونيو 1967 ومثـلها روايـة (العطش)1972[2].

مما سبق نستنـبط أن الرواية المصرية واكبت فترات متناقضة تـارة و مستقرة تارة أخرى ، ولكن هذا جعل الكتّـاب يجتهدون لإثبات الروايـة المصرية كفن أدبـي ذي قيمة عالية.

أما السودان فإن الروايـة فيه تتمثل فيما كتبه(الطيب صـالح) باسم (موسم الهجرة إلى الشمـال) 1965 [3]،علمـا بأن الروايـة السودانـية عرفـت طريقـها بعد الحـرب العـالمية الثانية حين كتب عثمان محمد هـاشم روايتـه (تاجـوج)،ولكنـها كانـت تتسم بنبرة الحمـاس والخطابية،ومما أثرى الروايـة السودانية هو انتشـارالطـباعة وعودة المبعوثين من انجلـترا ،مما زاد النهضة الفكـرية ،أما الاتجـاهان السائدان فكانا الرومانسي والواقعـي، وتنوعت الروايـات كالاجتماعية والسياسية والرومانسية والواقعية وغيرها، والحقيقة فقد ظـهر العديد من الروائيين السودانيين الذين يتميزون بأسلوب سلس[4].

أما المغرب العربـي وهو الذي يمتد من غرب مصر إلى المغـرب الأقصى فمنـذ مطلـع القرن العشرين نجد الأدبـاء المغاربة يريدون مجـاراة التطـور والمواكبة[5].

وقـد ظهـرت في المغـرب الأقصى(مراكـش) قصص عديـدة مـا بين سنـة 1905 /1939 لعلها لم تصل إلى المستوى الفني المطلـوب ،ولكنها تُـعد محاولات تذكر إذا هي قيست بتاريـخ ظهور الأشكال المسمى فنية من هذا الفـن في أوروبا[1].

---

[1] ـ محسن جاسم الموسوي،الرواية العربية النشأة والتحول،الجزء الأول،لاتوجد طبعة،لاتوجدسنة نشر،دار الآداب ـ بيروت،ص93 ـ 104 .
[2] ـ ينظر سيد حامد النساج،الرواية العربية الحديثة،ص 17 ـ 33 .
[3] ـ ينظر عبد الرحمن عبد الحميد،النقد الأدبي بين الحداثة والتقليد،ص222.
[4] ـ ينظر سيد حامد النساج،الرواية العربية الحديثة،ص232 ـ 252.
[5] ـ ينظر محمد صالح الجابري،القصة التونسية نشأتها وروادها،لاتوجد طبعة،سنة النشر1975،تونس،ص13.

هذا ويعد(محمد المقري) أول من ألّف بهذا الصدد ؛ثم تتالت المحاولات القصصية ففي سنة 1923 كانت رواية(اليتيم المهلهل)وبعدها رواية(انتصار الحق بالباطل) في سنة1933 للأديب(عبد الخالق الطريس).

أما في الجزائر ،ففي سنة1935 تطور المقال القصصي إلى ما أطلق عليه عبدالله الركيبي(مفهوم القصة) ،فقد قدم رشيد في مجلة الشهاب قصصا لها أبعاد وطنية ثورية وكانت تعرض المشاكل في المجتمع الجزائري وتناقشها ،ومنها قصة(السعادة البتراء)وغيرها[2].

أما القصة في تونس فقد تسنى لها الظهور في سنة 1906 في مجلة (خيرالدين) للمؤلف محمد الجعابيبي.

وكانت القصة تحت اسم (الهيفاء وسراج الليل) للمؤلف صالح القيرواني[3].

أما القصة الليبية،فقد بدأت محاولاتها مع بداية الاستقلال وهي ما بين سنة1950/ 1954،إذ ظهر كتّاب لا تنقصهم ملكة التعبير[4]، فضلاً عن إتقانهم للغة الأجنبية وبالطبع لم تكن كتاباتهم ناضجة منذ البداية، ولكنها تبشر بتطور هذا الفن الحديث[5].

ومما ذكر فإننا نكتشف أن الموضوعات التي تناولها الكتّاب المغاربة في محاولاتهم الأولى تكاد تكون واحدة ، كما نستنبط أن الترجمة والصحافة ،لم

يقتصرا على قطر دون آخر ،بل أنهما أداتا تطور هذا الفن سواء في المشرق أو المغرب العربي.

وبعد هذا التتبع الجغرافي والتاريخي على حد سواء لتطور الرواية في الوطن العربي، فإننا نستطيع الآن الإجابة عن التساؤل السابق وهو هل للرواية العربية جذورغربية أم لا؟.

---

[1] ـ الرواية المغربية ورؤية الواقع الإجتماعي،دراسة بنيوية تكوينية،الطبعة الأولى،سنة النشر 1985 ،دار الثقافة ـالدار البيضاء.

[2] ـ ينظر محمد صالح الجابري،في القصة التونسية نشأتها وروادها،ص 14 - 15 .

[3] ـ ينظر محمد صالح الجابري،في القصة التونسية نشأتها وروادها، ص16.

[4] ـ ينظر محمد صالح الجابري،في القصة التونسية نشأتها وروادها،ص15.

[5] ـ ينظر مقال بعنوان:بدايات القصة الليبية القصيرة،بقلم:أحمد إبراهيم الفقيه،مجلة الفصول الأربعة،العدد81،سنة النشر 1996 ، ص66 .

فنجد بأن روايـات الفلكلور الشعبي مثل: (ألـف ليلة وليلة)،تكون خاصة بكل قطـر عن الآخـر؛ أما الروايـات الدخيلة الأجنبية فإنـها لاتمتد لهـا و تخـتلف عنها في عـدة جوانب منها اللغة و التعابـير و الإحساس وغير ذلك.

ومن المعروف لدينا أن الروايـة وموضوعاتها تخـتلف وتتعـدد فكـل روايـة لها غرض ألفـت من أجـله كالغرض النفسي ،والاجتماعي والتاريخي،وهـذا ما نحـن بصدد دراسـته في الصفحـات القـادمـة.

الرواية التاريخية العربية:

إن موضوعات الروايـة تتعدد،كما تتعدد الأغـراض،إذ لا يستطيع الروائي أن يتفرد بغرض نفسي،دون التصور الاجتماعي،فالروائي ملزم بجميع هذه الأغـراض النفسية والاجتماعية.

بمعنى أن هذا هو الأساس الذي يضعه الروائـي لنفسه ولأعماله الروائية فالغـرض التاريخـي مثلا يسعى فيه الروائـي لاحياء عصر بنـاسه ومعـالمه وأحداثــه[1].
أي أن الروايـة التاريخـية تعتمد في إطارهـا العام على تاريـخ العرب والإسلام[2].
وهي الأحداث الرئيـسية مع خلـق شخصيات خيـالية حسب ما يراهـا الكـاتب[3].
هـذا وارتبطت الروايـة التاريخـية بمفاهيم النهضة العربية الحديثة،لكن هذا لايعني بأن العـرب لم يتـغنوا بأمجادهـم، بل كتبوها على شكـل نوادر ووقـائع تتـناول الأحداث التاريخية والقيم ،ولكن هـذه الكتابات لا تعد منذ الخطوات الفنية الأولـى التي صاغها سليم البستاني والتي أبرزها قصة(زنوبيا) سنة1872.
هنا نجد شوقـي ضيف حين يتحدث عن قصة (زنـوبـيا) يذكر مؤلـفها محمد أبو حديـد كما نجـد سالم المعوش حـين يتحدث عن الروايـة التاريخية يذكر روايـة (زنوبيا)لمحمد أبو حديـد[4].
هـذا يدل على الوقـوع في خلط بين القصة والروايـة، لعل يكون ذلك نتيجة لعدم الاتصال، وهـذا الاحتمال لن يكـون الصواب،ذلك لأن مصر على صلة مع الدول العربية فكـيف يكون الانقـطاع المعرفي بينهما ،لعل هـذا الخلـط كان نتيجة لعدم ترسخ مفهومهما. وكتب جورجي زيدان الروايات التاريخية، حتى أصبح مؤسس هذا

الفـن[5]،والممثل الرئيسي له [6]هذا وقد حاول التوفيق بين متطلبات البيئة وبين تأثـره بالشكل الروائي الغربي.
" اذ حذا حذو ألكسندر دومـاسALEAXANDRE DUMAS الأب الذي توفي 1870 ف بعد أن أعطى الرواية طابعـا شعبياً في الأدب الفرنسي... متأثـراً بوالتر

[1] ـ ينظر ميشال عاصي،الفن والأدب،الطبعة الثالثة،سنة النشر 1980 ،بيروت ـ لبنان،ص 63 -65.
[2] ـ ينظر أنيس المقدسي،الفنون الأدبية وأعلامها في النهضة العربية الحديثة،الطبعة الرابعة،سنة النشر 1984،دار العلم للملايين،ص515.
[3] ـ ينظر مجدي وهبه وكامل المهندس،معجم المصطلحات ،ص103.
[4] ـ ينظر سالم المعوش،في الأدب العربي الحديث،الطبعة الأولى،سنة النشر1993،الجامعة المفتوحة ـ طرابلس،ص300 - 303.
[5] ـ ينظر عبد الرحمن عبد الحميد،النقد الأدبي بين الحداثة والتقليد،ص221 - 223.
[6] ـ اكناتي كراتشكوفسكي،الرواية التاريخية في الأدب العربي الحديث ودراسات أخرى،ترجمة:عبد الرحيم العطاوي،لا توجدطبعة،لاتوجد سنة نشر،ص33.

سكوت WALTER SCOTT الانكليزي المتوفي في 1832 ف "[1] الذي ألفّ الرواية التاريخية في أحسن أشكالها[2].

يقول جرجي زيدان :في مقدمة روايته(الحجاج بن يوسف) في تصوره لمهمة الروايـة التاريخية: "وقد رأينا بالاختيار أن نشر التاريخ على أسلوب الرواية أفضل وسيلة لترغيب الناس في مطالعتـه والاستـزادة منه ، وخصوصا لأننا نتوخـى جهدنا في أن يكـون التاريـخ حاكما على الروايـة لا هي عليه كما فعل بعض كتبة الافرنـج ،ومنهم من جعل غرضه الأول تأليف الروايـة وإنما جاء بالحقائق التاريخية لإلبـاس الروايـة ثوب الحقيقة. فجره ذلك التساهل في سرد الحوادث ـ التاريخية بما يضل القـراء.وأما نحن فالعمدة في روايتنـا على التاريخ، وإنما نأتي بحوادث الروايـة تشويقا للمطالعين فنبقى الحوادث التاريخية على حالها و ندمج في خلالهـا قصة غرامية تشوق المطالع إلى استتمام قراءتها ، فيصبح الاعتماد على ما يجيء في هذه الروايـات من حوادث التاريخ مثل الاعتماد على أي كتاب من كتب التاريـخ من حيث الزمـان والمكـان والأشخـاص إلا ما تقتـضيه من التوسع في الوصف مما لا تأثير له على الحقيقة بل هو يزيدهـا بيانـا ووضوحا بما يتخلله من وصف العادات والأخلاق"[3].

مما سبق نلاحـظ أن جرجـي زيـدان قد جعل من الفن الأدبـي خادمـاً للتـاريخ.

لعـل اللجوء إلى التـاريخ لم يكن بدافـع حب القديم فحسـب،بل محاولـة لايـقاظ إحـساس القـرّاء بالانتمـاء للوطـن وتوفـير عناصر الإلهـام والقـدرة لهم مما يسهم في سعيهم للوصول إلى تحديد هويتـهم القومية بتذكيرهم بأمجـادهم الماضية[4]

هـذا وتوالت كتابة الروايـات التاريخية في العصر الحديث نظرا لدورها في تغذيـة الروح القومية.. فتـلونت هـذه القصص باللـون السياسي والاجتماعـي والوطنـي وقـدّم نجيب محفوظ وعلي أحمد باكثير وتوفيق الحكيم وروائيو المغرب كإسمـاعيل صدقي وغيرهم... نمـاذج مختلفة للرواية التاريخية فعادوا إلى التـاريخ يستقون منه

[1] ـ سالم المعوش،في الأدب العربي الحديث،ص 300 .
[2] ـ محسن جاسم الموسوي،الرواية العربية النشأة والتحول،ص294.
[3] ـ قاسم عبده ـ أحمد الهواري،الرواية التاريخية في الأدب العربي الحديث،لاتوجد طبعة،سنة النشر1979 ـ دار المعارف،ص35.
[4] ـ ينظر مختار الهادي الأدهم،المصطلح في نقد الرواية العربية،دراسة في إشكالية المصطلح،رسالة ماجستير(مخطوطة) سنة 1996 طرابلس ـ جامعة الفاتح،ص31.

موضوعات لأعمالهم ،وأبرز السمات التي تميز هذه الروايات التاريخية حماسها واعتزازها بأبطال العرب لتقف في وجه الغرب الاستعماري من أجل الإستقلال الوطني[1] وتثبت جدارة العرب ورقيهم[2].

وقد أسهم في الرواية التاريخية علي الجارم ، حيث أصدر(مرح الوليد)1934 التي يتحدث فيها عن حياة(الوليد بن عبد الملك)الخليفة والشاعر الأموي ،ثم (شاعر ملك) التي تحكى حياة المعتمد بن عباد الأندلسي.

وقد شارك في هذه المرحلة (عبد الحميد جودة السحار) برواية (أحمس) 1943[3] ، و(طه حسين) وروايته (أحلام شهرزاد)1943 و(أحمد علي باكثير) بروايته (سلامة القس)1944[4].

الرواية التاريخية في ليبيا:

الرواية التاريخية تنتقل بين أزمان وأماكن، وتسجل الواقع والأحداث، لذا فإن الإطار الزمني والمكاني هما الأساسان في هذا النوع من الروايات ، وإن اختلفت الأزمنة من رواية إلى أخرى، فبعض الروايات تسجل الوقائع عقب حدوثها مباشرة، والبعض الآخر تروي الوقائع بعد زمن طويل من حدوثها .

وموضوع الرواية التاريخية قد يكون تاريخا ماضيا للقارىء،وفي نفس الوقت معاصراً للكاتب ،وقد يكون مستقبليا للكاتب وفي الوقت ذاته يكون حاضرا أو

[1] ـ سيد محمد ديب،فن الرواية في المملكة العربية السعودية بين النشأة والتطور،ص144.
[2] ـ ينظر سالم المعوش،في الأدب العربي الحديث،ص303.
[3] ـ عبد الرحيم الكردي،السرد ومناهج النقد الأدبي،،ص134.
[4] ـ ينظر طه وادي،مدخل إلى تاريخ الرواية المصرية،الطبعة الثانية،سنة النشر1997 ،مصر،ص65 - 66.

معاصرا معيشاَ للقـارىء ،ثم يصبح تاريخيا مع الزمن فيغيب في المـاضي ،وبعض الروايـات تـكون عبـارة عن مزيج من أنـواع متـعددة على المستويين التاريخي والمعاصر،أو المعاصر والمستقبلي ،أو تندرج في أزمنتها عبر مراحل مختلفة تحتوي أجيالا متعاقبة،و بعضها يـعالج تاريخـا معاصرا عن طريق اسقـاط مـادة تاريخية مشابهة في أحداثها وشخصياتها ومواقفها .

"والرواية التي تنقل لنا تـاريخ مجتمع معين ، إنما تنقل معه تفاصيل ودقـائق الأمور في ذلك المجتمع، حتى وإن كان النـقل ليس حرفـيا،بل مُطَعَّما بخيـال الكاتب الذي يعـايش ظـروف شخصياته التي يرسمها، ويحدد معالمها، وذلك في معـظم الأحيان عن طريق الذاكرة التي تكـتظ بصور وحكايـات قام جهاز الـلا وعي بتخزينها في مستودع ما مرَّ به من تجـارب قد تكون واقعية عاشت مع واقـع الكـاتب، أو تكون واقعية سمع بها من أسلافه، أو قـرأ عنها بين صفحات الكتب، وفي بعض الأحـيان الأخرى يكون خياله قد نسج قصصا وأبطالا وشخصيات،وحـاك لها تجـارب حيوية متنامية تحمل في طياتها خبرات وظروفا ،وكلفـها بمهام ووظائـف قد تؤثـر تأثيرا
إيجابيا أو سلبيا على سير الحياة داخل الرواية".[1]

" أما ما يتعلق بالروايـة التاريخية في ليـبيا فهي مرتبطة ارتباطا مباشرا بهذه البقعة من الأرض وما مر بها من أحداث و تطورات عبر الزمن[2]" .

ومثال ذلك رباعية الخسوف 1989 التي حاول مؤلفـها (ابراهيم الكوني) أن يـؤرّخ للأدب الطارقي جاعـلا بواكيره الناضجة تمـتد إلى ما يقـرب من خمسة آلاف سنة مقرونة أيضا بأساطير نسجت حول آلهـة ولكنها ليست وثـنية فيما يسميه الكونـي بالآلهة تانس، ولعله في ذلك يريد أن يؤرخ أيضا للّغة الطارقية[3] .

[1] ـ ينظر مقال بعنوان :تأصيل الحدث التاريخي في الرواية الليبية لافيه لعلي عبد المطلب الهوني نموذجاً،بقلم: فريدة المصري، مجلة كلية الآداب، جامعة الفاتح ،العدد9 ،سنة النشر2009،ص207.

[2] ـ ينظر مقال بعنوان:تأصيل الحدث التاريخي في الرواية الليبية لافية نموذجاً،بقلم:فريدة المصري،مجلة الآداب،ص205.

[3] ـ ينظر علي الهوني،أضواء نقدية على رباعية الكوني، الطبعة الأولى،سنة النشر 2001 ،دار البيان، ص101 .

هذا وقد ألّف أحمد إبراهيم الفقيه روايته (خرائط الروح) 2007 ، على أساس تاريخي حيث أنه قد أضاء من خلالها تاريخ الصراعات الدولية التي قامت على الأراضي الليبية عقب الحرب العالمية الثانية[1].

كما ألّف علي الهوني روايته(لافيه) 2007، التي قامت بدراستها فريدة المصري من حيث تأصيل الحدث التاريخي في الرواية الليبية ،وما ينطوي عليه من أبعاد مختلفة الجوانب حيث شملت الجانب الاجتماعي ، الجانب الاقتصادي والجانب الفكري،تلك الجوانب التي تنسبك لتشكل عدة أحداث تاريخية انبثقت مما كان يدور إبان العهد الملكي في عدة مدن ليبية، فقد كانت الأحداث تدور بين طرابلس ومدن الجنوب الليبي وخاصة سبها ، كما اهتمت هذه الرواية بتوضيح حياة اليهود الليبيين[2].

هذا وقد لاحظنا بأن إبراهيم الكوني من أكثر الروائيين ريادة لهذا النوع من الروايات، ما يجعلنا نقوم بدراسة لبعض رواياته التي وظف بها أحداثاً تاريخية بتجليات أدبية مختلفة.

التعريف بالروائي إبراهيم الكوني:

وُلد ابراهيم الكوني بلكاني بتاريخ 1948/8/7 ف، بالحمادة الحمراء و درس الابتدائية والاعدادية والثانوية بجنوب ليبيا(فزان)[3].

هذا وقد نشر الكوني نتاجه الأدبي بالعديد من الصحف والمجلات المحلية والعربية والعالمية من بينها على سبيل المثال :فزان، الحرية،الأسبوع السياسي والصداقة (باللغة البولونية).

وعمل إبراهيم الكوني بوزارة الشؤون الاجتماعية بسبها،ثم بوزارة الإعلام بوكالة

---

[1] - ينظر نبذة تاريخية عن رواية خرائط الروح ،أحمد سعيد - شبكة المعلومات الدولية:.WWW.maakom,com

[2] - ينظر مقال بعنوان:تأصيل الحدث التاريخي في الرواية الليبية رواية لافيه تموذجاً،بقلم فريدة المصري،مجلة الآداب،ص205 - 214 .

[3] - ينظر فيصل عبد الله حيدر،الصياغة اللغوية والتصوير الفني في نص الدنيا أيام ثلاثة لإبراهيم الكوني،رسالة ماجستير(مخطوطة) جامعة قاريونس - بنغازي،سنة 2005 ،ص6.

الأنبـاء الليبية بموسكو1975 ف ،وبعد سبع سنـوات من الدراسـة في موسكو أنهى دراسة الماجستير في العلوم الأدبية بمعهد غوركي للأدب العـالمي عام 1977 ف،ثم مندوب جمعية الصداقة الليبـية البولونية بوارسو1978 ف،وعمل مستشارا بالسفارة الليبية بوارسو 1978 ف،وترأس تحرير مجلـة الصداقـة البولونية1981 ومستشارا ثقافيا بالسفـارة الليبية بموسكو1987 ف،ومستشارا إعلاميا بالمكتب الشعبي بسويسرا 1992ف [1].

وحضر الكونـي العديد من الملتقيات ،والندوات،والمهرجانـات الأدبية من بينها على سبيل المثال:ندوة الحوار العربـي بالنمسا 1962 ف،وندوة حول روايـة السـحرة بدولة الإمـارات العربية 1995 ف،وندوة الصحراء حضور في الطبيعة وحضور في الروح بجامعة سبها بليـبيا في26 الحرث 2005ف[2].

كما قدم الكونـي للإذاعة العـديد من البرامج المسموعة من بينـها(خدعوك فقالوا) 1969ف ،وبرنامج(الثقافـة للجماهير) 1969ف[3]وقد أجريت معه عدة لقـاءات أدبية نشرت في العديد من الصحف والمجلات العربـية والعالـمية والمحطـات الفضائية

ومواقـع شبكة الانترنت من بينها مطبوعات : الأسبوع الثقافـي العربية ،والشـرق وقنـاة :العربية الفضائية ،وموقـع عرب أون لاين ،وموقـع :المنـارة والإعـلام.

كما تناولت أعمالـه عدة صحف، ومجلات محلية ،وعربية، وعالـمية من بينها على سبيل المثال لا الحصر: الفصول الأربعة ، الثقـافة العربية،الحـياة اللندنية وغيرها[4].

"ومن الدراسات الأكاديمية التي تناولت أعمالـه بالنقـد والدراسةعلى سبيل المثال لا الحصر:

1 ـ الرواية في أدب إبراهيم الكوني/ خالد جهينة ـرسالة ماجـستير معهد الدراسات العربية القاهرة ـ مصر ـ 1997ف.

2 ـ المنظور السردي في رباعية الخسوف لإبراهيم الكوني/ أحمد الناوي بن

[1] ـ ينظر عبد الله سالم مليطان،معجم القصاصين الليبيين،الجزء الأول،الطبعة الأولى،سنة النشر 2001 ،دار المداد،طرابلس ـ ليبيا،ص25.
[2] ـ ينظر فيصل عبد الله حيدر،الصياغة اللغوية والتصوير الفني في نص الدنيا أيام ثلاثة لإبراهيم الكوني،ص8.
[3] ـ دليل المؤلفين العرب الليبيين،لاتوجد طبعة،سنة النشر 1977 ،دار الكتب ـ طرابلس،ص10.
[4] ـ ينظر فيصل عبد الله حيدر،الصياغة اللغوية والتصوير الفني في نص الدنيا أيام ثلاثة لإبراهيم الكوني،ص9.

محمد بدري إشراف: محمد المهدي الغزالي، رسالـة ماجستيـر،جامعة قاريونس ـ بنغازي ـ ليبيـا1999 ف.

3 ـ الفضاء وبنيتـه في النص النقدي والروائي:ربـاعية الخسوف لإبراهيم الكوني نموذجاً،بلسم محمد إبراهيم الشيباني ،إشراف :محمد مصطفى بن الحاج،رسالـة ماجستير،جامعة الفـاتح ـ طرابلس ـ ليبـيا2002 ف وغيرها كثير"[1].

أما الدراسات النقدية غير الأكاديمية :

فقد ألفت كتب تتناوله من بينها ملحمة الحدود القصوى: الخيـال الصحراوي في أدب إبراهيم الكوني، كتاب/سعيد الغالمي،م الناشر،سنة النشر 2000 ف.

أما في ليبـيا فيأتي أضواء نقدية على رباعية الخسوف لإبراهيم الكوني ، كتاب/علي الهوني ،الناشر دار البيان،سنة النشر2001 ف

وهو أول المؤلفات الليبية حول إبراهيم الكوني .

هـذا وقد نشرت العديد من المقـالات والأوراق البحثية التي قدمت من مجموعة من الباحثين الأجانب والعرب والليبـيين حول أدب إبراهيم الكوني .

تحصل إبراهيم الكوني ،على ستة جوائز دولية منها على سبيل الذكر:

ـ جائـزة الدولـة التقديرية السويسرية الأولى في عام 1995 ف ،عن رواية(نزيف الحجر).

ـ درع الصحـراء لـلآداب بـتاريخ 2005/11/26 على هـامش الدورة الدولـية حول أدب الصحراء:الصحراء حضور في الطبـيعة وحضور في الروح التي أقامتها جامعة سبها بالجماهيرية.

ـ جائزة الشيخ زايد بتاريخ 2008/2/3 ف.

[1] ـ فيصل عبد الله حيدر،الصياغة اللغوية والتصوير الفني في نص الدنيا أيام ثلاثة لإبراهيم الكوني،ص9.

هذا وقد بلغ نتاجه الروائي حوالي ستين مؤلفا بين روايات ومجموعات قصصية ونصوص تأملية ومنها على سبيل المثال: الصلاة خارج نطاق الأوقات الخمسة [1](قصص)1974، رباعية الخسوف1989، واو الصغرى(رواية)1992 ، نزيف الروح(نصوص)2000، نداء ما كان بعيدا (رواية) 2006.

أما البدايات الروائية التاريخية عنده فقد كانت رواية (رباعية الخسوف) 1989 ف التي قال عنها علي الهوني: يحاول الكوني أن يؤرّخ للأدب الطارقي جاعلا بواكيره الناضجة تمتد إلى ما يقرب من خمسة آلاف سنة ولعله يريد أن يؤرخ للّغة الطارقية[2].

وبعد دراستنا لرواياته(لون اللعنة ـ نداء ما كان بعيدا ـ في مكان نسكنه في زمان يسكننا). نجد أن جلها يحمل في مضمونه زمنا تاريخيا لفضاء عاش الكوني مع شخوصه وحيواناته وجباله وسهوله وأوديته .

وهنا يرد تساؤل: كيف استلهم الكوني أحداث رواياته التاريخية السابقة؟.

1 ـ رواية (لون اللعنة):

استلهم الكوني روايته من تاريخ قبيلة أولاد محمد التي يتراءسها محمد الفاسي، والتي كان موطنها الأول الأندلس ثم طردت ودخلت إلى المغرب ، وبعد ذلك استقرت في صحراء جنوب طرابلس.كما ذكر أحفاد يوسف بن تاشفين وأصلهم ومعاملتهم لمحمد الفاسي[3]

2 ـ أما روايته الثانية الموسومة(نداء ما كان بعيدا):

بحسب اعتراف الكوني شخصيا فمادتها التاريخية مستمدة من الحوليات الليبية ولكنه أخضعها لخياله في صنع أحداثها وحراك شخوصها.

3 ـ والرواية الثالثة (في مكان نسكنه في زمان يسكننا):

[1] ـ ينظر فيصل عبد الله حيدر،الصياغة اللغوية والتصوير الفني في نص الدنيا أيام ثلاثة لإبراهيم الكوني،ص11 -12.
[2] ـ ينظر علي الهوني،أضواء نقدية على رباعية الكوني،ص101.
[3] ـ ينظر إبراهيم الكوني،لون اللعنة (رواية)،الطبعة الأولى،سنة النشر 2005 ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر،ص11 - 239 .

فهي تكملة للروايـة السابقة ،اذ تتـحدث عن محمد باشا القره مانـلي وعهد حكمـه للإيالـة الطرابلسية وتعامله مع فرنسا وصاحب الآستانة وحالته النـفسية إلى موته[1]

هذه الروايـات التاريخية التي قـام الكونـي بتوظيفها في روايـاته الثلاث سنحاول توضيح مدى مزج الحقيقة التاريخية والخيال الروائي فيها ضمن الفصول القـادمة.

الفصل الأول

حقيقة الأسرة القره مانلية و أركان سعادتها.

▪ المبحث الأول:

[1] - ينظر إبراهيم الكوني،في مكان نسكنه في زمان يسكننا(رواية)،الطبعة الأولى،سنة النشر 2006 ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ص9 - 113 .

الأسرة القره مانلية بين الحقيقة التاريخية والخيال الروائي في الروايات الثلاث.

▪ المبحث الثاني:

مثلث السعادة عند مؤسسي الأسرة القره مانلية

- **السلطة عند مؤسسي الأسرة القره مانلية.**
- **المال عند مؤسسي الأسرة القره مانلية.**
- **المرأة عند مؤسسي الأسرة القره مانلية.**

▪ المبحث الأول:

الأسرة القره مانلية بين الحقيقة التاريخية والخيال الروائي في الروايات الثلاث.

يقول الكوني:

أنجبت.. جنيناً خلاسياً قبيحاً أطلق عليه اسم شلم.. وأدركت بحدس الأنثى أنها لم تحتضن رجلاً في تلك الليلة، ولكنها احتضنت في تلك الليلة مليك الظلمات (أبيبي) المتنكّر في جلد الأفعوان،ليزرع في رحمها ذرية ! ."[1]

فيما سبق يروي الكوني أصل شلم [2] ولكننا نجد ما يرويه عنه من قبيل خياله؛ ذلك لأننا لم نجد ما يؤكد ما رواه عنه لا عن أصله فقط، بل عن أبيه الذي علمنا من الكوني أنه (أبيبي) ،ورب الشرور كلها ،وملك الظلمات المتنكر في جلد الأفعوان،

[1] - ينظرإبراهيم الكوني ،لون اللعنة ،الطبعة الأولى ،سنة النشر 2005 ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر،ص45 .
[2] - بطل إبراهيم الكوني،في روايته (لون اللعنة) ،الخيالي.

كما لم نجد كتب التـاريخ التي استقى الروائي منها مادته العلمية ،منها الأدب العربي في الأندلس[1] وغيرها تذكر هذا الشخص الذي أضفى الروائي عليه دوراً من البطولـة ما يجعلنا نستنتج أنه من نسج خياله الروائي .

كما ذكر بطلاً آخر اسمه (محمد الفاسي) يقول الكوني عنه :

" انتسب الفاسي..إلى أهل البيت مدّعياً انحدار أصوله من سلالة فاطمة الزهراء "[2] .

اتهم الكونـي فيما سبق تستر بطله (الفـاسي) بانتمائه لفـاطمة الزهـراء ،ولكن هذا الانتساب لم تذكره كتب الأنساب منها:الأنسـاب العربية[3]وأعلام ليبيا[4] هذا الادعاء من قبل الفاسي ،ما يجعلنا نتأكد بأن خيال الكوني هو الذي نسج هذا الانتماء .

يقول الكوني :

بعد أن طُرد الخناس على متن السفينة المحملة بالمطرودين وبعد أن قتل قبطانها .. لم يعد الخناس بها إلى الأندلس ولكنه رسا في مرافىء جزيرة مالطـا، وأراد بيعها ومن على متنها ولكن الصفقة لم تتم فأقلع إلى صقلية وهناك تم بيعها ومن عليها من الأمم[5]

إن ما ورد فيما سبق عن تلك الرحلات والإبتـزاز الذي صاحبها،هو من نسج خيـال الروائي،ذلك لأننا لم نجـد في رحلات الأندلسيـين من بلادهم ما يؤكد أنهم قد بيعوا.

يقول الكونـي :

"مرّة بسبب روايـة أخرى تناقلها تجّار الفرنجة في رحلتهم تلك تقـول أن ربّ البيت الذي استضافهم بحث عن سكين لشقّ بطن البطيخ في البيت فلم يجد . وأرسل الخـدم إلى بيوت الجوار، ثم إلى سكان الحيّ كله فلم يعثر على نصل يصلح لتقطيع الفاكهة ، فكيف بسلاح يصلح لمقاومة عدوّ ؟."[6]

---

[1] ـ ينظر عبد العزيز عتيق،الأدب العربي في الأندلس،لا توجد طبعة،لاتوجد سنة نشر،دار الأفاق ـ القاهرة،ص45 ـ 99.

[2] ـ ينظر إبراهيم الكوني،لون اللعنة،ص87 .

[3] ـ ينظر محمد عبد الرزاق مناع،الأنساب العربية في ليبيا،لاتوجد طبعة،سنة النشر2007،الناشر مكتبة التمور،بنغازي ـ ليبيا،ص529.

[4] ـ الطاهر أحمد الزاوي،أعلام ليبيا،الطبعة الثانية،سنة النشر1981،طرابلس ـ ليبيا،ص420.

[5] ـ ينظر إبراهيم الكوني،لون اللعنة،ص100 ـ 108.

[6] ـ إبراهيم الكوني ،لون اللعنة ،ص121 .

نلاحظ فيما سبق أن الروائي قد وظّف خرافة من الخيال ، ذلك لأن السكين من أدوات المطبخ الضرورية ،ولم تك يوماً من أدوات الحروب كما أننا إن وافقنا عن عدم وجودها في بيوت العامة ، فلا بّد أن تكون في مطابخ الأغنياء ولو سكيناً واحداً ، هذا وقد وجدت صاحب التذكار[1] قد وافقني هذا الرأي .

يقول الكوني :

أولاد محمد هي قبيلة شقية أقبلت من بلاد الأندلس... يتزعّمها قاطع طريق أكثر شقوة هو السفّاح الملقّب باسم محمد الفاسي.[2]

نلاحظ أن كتب التاريخ منها وثائق دولة أولاد محمد بفزان[3]،وكذلك أعلام ليبيا[4] قد ذكرت أن قبيلة أولاد محمد تنحدر من أصل مراكشي، ولم تذكر أنها أقبلت من بلاد الأندلس لعل مؤسسها من أقبل من الأندلس هذا إن أردنا أن نوافق قول الكوني، ولكن كتب التاريخ قد أكدت لنا أن الكوني نسج بخياله نسبهم قدر إستطاعته ، لعل ذلك يعود لشيء في نفسه .

يقول الكوني :

انتشروا في الصحاري فاشتد بوجودهم ساعد صاحب الخنوس اتخذ أحد الأضرحة

مقاماً لحربه وخاطب زعيم آزجر[5]باقتراحه في إقامة مملكة الصحراء...ولكنه رفض[6] فيما سبق ذكر الكوني ما قام به الفاسي حين طلب من زعيم آزجر بناء دولته في الصحراء ،ورد الزعيم عنه ، في حين وجدنا ما يؤكد قيام تلك الدولة ومرزق عاصمتها[7] ولكن لم نجد ما يؤكد طلب الفاسي للزعيم ورفضه له ، ما أكّد لنا أن ما ذكره الكوني هو من خياله الروائي.

يقول الكوني عن لسان الفاسي :

---

[1] - ينظر ابن غلبون ،التذكار،تعليق:الطاهر الزاوي،الطبعة الأولى،سنة النشر2004،دار أويا طرابلس - ليبيا ،ص 143 .
[2] - ينظرإبراهيم الكوني ،لون اللعنة ، ص12 .
[3] - ينظر حبيب وداعة،وثائق دولة أولاد محمد،المجلد الأول،لا توجد طبعة،لاتوجد سنة نشر،ص6
[4] - ينظر الطاهر الزاوي،أعلام ليبيا،ص420.
[5] - يطلق هذا الاسم على طوارق الشمال الذين ينحدرون من لمتونة صنهاجة وينقسمون إلى: ايمنان/أوراغن/ايمنغساتن/فوقاس، ينظرمحمدعبد الرّزاق مناع،الانساب العربية في ليبيا،ص558.
[6] - ينظر إبراهيم الكوني،لون اللعنة،ص197 - 200 .
[7] - ينظر حبيب وداعة،وثائق دولة أولاد محمد ،ص9 .

هل تصدّقني إذا قلت لك أني كلّما سمعت كلمة (دين) هذه يقشعر بدنـي؟... ألا تدري أن رب البحر هو عدوي ؟.[1]

مما سبق نستنتج أن الكوني أراد إعلامنا بأن الفاسـي لا يعتنق الإسلام ،وهذا يؤكد لنا أن الكوني قد نسج بخياله هذا الخبر، ذلك لأننا قد علمنا أن المغرب بلاد إسلامية وبها قام المرابطون في القرن الحادي عشر بنشر الإسلام [2] في السودان الغربية والسنغال، مما أكّد إسلام أولاد محمد ، وقد وافقني الرأي السابق صاحب المغرب والأندلس حين تساءل: كيف يصل الإسلام إلى السودان ولا يصل أولاد محمد وهم في الصحراء الوسطى يُضاف إلى ذلك أن اسم محمد معروف أن غير المسلمين لا يسمّون هذا الاسم؟[3].

يقول الكوني :

حاكم المدينة أمر بإغراقه في النهر بعد رفضه تنفيذ الأمر... وضعوا حجراً في رقبته وأوثقوا يديه وقدميه قبل أن يلقوا به في عمق الوادي... لم تأمنه المياه فحسب... فكت قيوده.[4]

فيما سبق روى الكونـي ما قام به حاكم قرطبة بشلم حين رفض اعتناق دين النصارى، من إلقائه بالوادي ومساعدة المياه لأنها لم تأمنه ،إن هذا يدل على شدة مكر شلم ، بما أن شلم لم تذكر عنه كتب التاريخ أي خبر وبأنه إحدى شخوص الكونـي في روايته ،ما يؤكد أن ما رواه عن المياه وفعلها معه هو من خيال الكوني الروائي.

يقول الكوني عن لسان شلم :

اكتشفوا نقطة ضعفي !...اكتشفوا قرنين في رأسي فحرقوهما بالنّار!.[5]

---

[1] - ينظر إبراهيم الكوني،لون اللعنة،ص93 -94.
[2] - ينظر محمد سعيد القشاط،عرب الصحراء الكبرى التوارق، الطبعة الرابعة،سنة النشر2008 ،الدار العربية للموسوعات،ص200.
[3] - ينظر أمين توفيق الطيبي،تاريخ المغرب والأندلس،لاتوجد طبعة،سنة النشر1984 ،الدارالعربية للكتاب،ليبيا - تونس ،ص302 .
[4] - ينظر إبراهيم الكوني ،لون اللعنة ،ص102 .
[5] - ينظر إبراهيم الكوني ،لون اللعنة، ص105 .

أراد الكونـي فيما سبق أن يجعل شـلم يصرح بأنه من سلالـة الشياطين، حين ذكر تصريحه بوجود القرنين في رأسه، وهذا من قبيل خيـال الكونـي الروائـي.

يقول الكوني :

" لم يدر أحد كيف ولا متى بـدأ الجبل يلد فرسانه ،ولا عما إذا كانت حجارة الجـبل هي التي تحوّلت فرساناً"[1].

نلاحظ فيما سبق من قول الكونـي الخيال الروائي جليّاً، ذلك لأنه جعل من الجبل أماً لاتلد الأطفال ،بل تلـد الفرسان البواسل،ثم يبلغ حد خيالـه إلى أن يصل إلى الشـك في أن الحجارة تحولت فرساناً.

يقول الكوني عن لسان سلطان الظلمات :

" إيّاك أن ترجم مخلوقـا لأنك إذا رجمت أحداً قتلته دون أن تدري. وإذا أشفقت على مخلوق فقد أهلكته الهلاك الذي لا قيامة بعده!"[2].

فيما سبق نلاحظ أن الكونـي يتحدث عن لسان الشيطـان ،والنصيحة التي قالها لعلها تحذر بني الإنس من رجم الشيـاطين .

نلاحظ أن الكونـي يجعل من نفسه حامـي حمـاهم، كما أنه يقول إن الإشفـاق هو إهـلاك من قبل المشفِق على المشفَق عليه ،إن هذا القول يجعلنا نتساءل :

ما قصد الكونـي من هذه النصيحة؟ ولماذا جعل الإشفاق هلاكاً؟.

هل قصد أن إشعار الإنسان بالشفقة يعني أنه ضعيف ؟ .

هل قصد الكوني أن من أشعر إنساناً بالضعف استفزه؟

"وجد نفسه يدسّ يده في جيبه ويخرج رجراجا من ثناياه جرما لزجا،مثيرا للاشمئزاز فاذا به حية تتـلوّى! نفضها بعيدا في اللحظة التي قفـز فيها عاليا وطفق يجري عبر الخلاء.. مستشعرا طوال الطريق إحساسا غامضا بمطـاردة هذه الحية الكريهة كأنها القدر... استولـى عليه اليأس فخارت قواه في الحال تعثر فوقـع في الحقل المفروش بالأفاعي "[1] .

[1] - إبراهيم الكوني،لون اللعنة،ص178 .
[2] - إبراهيم الكوني،لون اللعنة،ص194 .

يبدأ الكونـي روايته بحديثه عن أحمد باشا القره مانلي ويصـف بأن في جيبه حيـة، وهذا ما نسجه خيال الكوني، حيث إن هذه الحيـة لم تذكر في كتاب الحوليـات الذي قال فيه شارل فيرو يذكر فيه :

" غضب أبوموبس لهذا القدح في شخصه؛ فقام ـ بحجة إبلاغ قبائـل الدواخل بتوليه الحـكم ـ بتكليف البـاش آغـا أحمد القره مانلي بمهمة نقل رسالة بهذا الخصوص إلى شيخ غريان "[2] .

ما نعلـمه هـنا أن أباموبس هو من أرسل البـاشا آغـا أحمد القره مانلي برسالـة إلى شيخ غريـان[3]، ليغـدر به[4] ولكن ما ذكره الكـاتب من أفاعي ما هو الا توظيف لخيالـه لكي يقـرب صورة الهـلاك الذي سيلم بأحمد القره مانلي آلا وهو المـوت.

وهذه الأفاعي سبق وأن وظّفها الكوني حين قال :

يُقال إن ذلك الكائن " ذي اللون الذهبي الذي لا يزيد حجمه عن حجم السوار" هو الذي اختاره صاحب الأتـان (وانتهيط) في ذلك اليوم ليكون رسوله إلى ديار سليله صاحب

النحوس... الذي فزّ بوثبة جنونية والسوار الذهبي معلّق برقبته[5].

نلاحظ مما سبق أن الكـاتب سبـق توظيفه للأفاعـي في روايته السـابقة ،ما جعلنا نتساءل : لماذا الكاتب يقصر الهلاك أو الموت على الأفاعي ؟.

هل هذا ما علمه ؟ أو أنه قصد منها الغدر؟!.

يقول الكوني :

" احتكم إلى صدر الأم مرّة فحدثته بسيرة الدم. قالـت له أن جدتها امرأة تجـري في عروقها دماء الحرية، دمـاء الصحراء .كانت سليلة أحد أكابر أهل الصحراء خرجت

---

[1] ـ إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،الطبعة الأولى،سنة النشر 2006 ،الناشر المؤسسة العربية للدراسات والنشر،طرابلس ـ ليبيا،ص11

[2] ـ شارل فيرو،الحوليات الليبية:ترجمة محمدعبد الكريم الوافي،الطبعة الثالثة،سنة النشر1994،بنغازي ـ ليبيا،ص264 .

[3] ـ ينظر، ن.إ.بروشين،تاريخ ليبيا في العصر الحديث،ترجمة:عماد حاتم،الطبعة الثانية،سنة النشر2005،الناشرمركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية،ص110.

[4] ـ ينظر،ابن غلبون،التذكار،ص239.

[5] ـ ينظر إبراهيم الكوني ،لون اللعنة ص233 ـ 234 .

إلى بر الحجاز لأداء فريضة الحج في قافلة مهيبة.ولكن قطّاع الطرق استغفلوهم في الطريق فنحروا العسس ونهبوا القافلة وأخذوها أسيرة . ذهبو بها إلى الشمال وباعوها لأحد أصحاب التجارة الأثرياء الذي تزوجها" [1].

يتضح أن الذي تزوجها لم يختطفها، بل اشتراها أي أنها كانت أمة لديه، كما لم نجد ما يؤكد في الرواية أنها كانت مختطة من قبل ذات الرجل الذي تزوجها.

ويضيف الكوني قائلا :

" أنجبت من رجلها ذرية هلكت؛ كلها،بوباء الطاعون ولم يبق على قيد الحياة سوى ابن وحيد ورث عن أبيه حرفة التجارة وتزّوج حسناء من بنات تاجوراء انحدرت منها سلالة كلّها. "[2] .

ما نفهمه من النص هو أن أم أحمد القره مانلي من بنات تاجوراء وجدتها لأبيها من أهل الصحراء وجدها لأبيها من الأناضول وأبوها هو الابن الوحيد لجديها الذي بقي على قيد الحياة[3]، وهذا ما يؤكده كتاب الحوليات الليبية حول أصل الجد حين يقول :

" ويذهب المؤرخون التقليديون إلى أن جد القرمانليين كان مجرد نوتي قرصان من مواليد مدينة قرمان بالأناضول. قدم إلى طرابلس في زمن ولاية درغوت

وكشأن غيره من المغامرين الأتراك، فإنه تملّك بستانا في ضاحية المنشية واستقر فيه حيث تزوج من إحدى نساء المنطقة العربيات "[4] .

يتضح أن أصل الجدة الذي ذكره الكوني، لم تذكره الحوليات ولا كتب التاريخ التي ألفت وذكرت الأسرة القره مانلية،والتي منها: التذكار[5]، وتاريخ ليبيا في العصر الحديث[6] أي أن الروائي قد نسج بخياله خبر أصل جدة أحمد القره مانلي، حين خص بذكر تاجوراء دون سواها من المناطق العربية،وهذا ما لم تذكره الحوليات.

---

[1] - إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً، ص17 - 18 .

[2] - إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً ،ص18 .

[3] - رودلفو ميكاكي،طرابلس الغرب،تحت حكم الأسرة القرمانلية،ترجمة:طه فوزي ،مراجعة حسن محمود وكمال الدين الخربوطللي معهد الدراسات العربية(جامعة الدول العربية) لاتوجد طبعة،سنة النشر 1961،ص9.

[4] - شارل فيرو ،الحوليات الليبية ،ص265.

[5] - ابن غلبون،التذكار،ص241.

[6] - ينظر ن،إ،بروشين،تاريخ ليبيا في العصر الحديث،ص109.

كما نلاحظ أيضا أن الجد قد عاش بالمنشية بطرابلس ،لذا فبنات المنشية أولى بذكرهن في الرواية من بنات تاجوراء،ذلك لأنهن أقرب مكانا من تاجوراء،لعل الروائي خص تاجوراء بالذكر استناد منه على مصاهرة أهلها بالأتراك .

أما سلالة الروح التي تحدث عنها الروائي ، فإنه قصد بها الأبناء ، ولكنه وصفهم بوصف روحاني(محسوس) بعيد عن(المنظور) من دم وجسد.

يقول الكوني :

في ذلك المساء عندما أدركته القافلة استطاع أن يمّيز ملامح صاحب القافلة الحاج المكني كبير التجّار الذي هرع إليه واستبشر بلقائه. ولكنه قبل أن يسمع جوابا أسرع جانبا وعاد يصطحب رجلا طويل القامة ،نبيل الطلعة،ملفوفا بلثام أزرق،على منكبيه ثوب أزرق أيضا،قدّمه له قائلا أنه رفيق سفر وصاحب كرامات.وعندما استفهم عن حقيقة الكرامات أوضح أن اسمه "آهر" ،وهو ما يعني بلغة أهل الصحراء "الصيد" وهو ولّي من سلالة المرابطين[1] .

الذي نعلمه من الروائي أن آغا أحمد القره مانلي وهو في طريقه إلى شيخ غريان

رسولا من أبي مويس التقى مع كبير التجار الحاج المكني و كان يرافقه سيدي الصيد، ولكننا نجد الكوني يطلق عليه اسم طارقي وهو (آهر) كما يصف لباسه ؛ بلباس الطوارق[2] ، وكأنه يريد أن يقول أن سيدي الصيد طارقي.

أما ما تذكره الحوليات الليبية حول ما قام به أحمد القره مانلي بالرسالة التي أرسل بها:

"غير أن أحمد، وهو في طريقه إلى تلك المدينة،خطرت له فكرة فتح الرسالة والاطلاع على محتوياتها ؛ ربما بدافع حب الاستطلاع أو بدافع الحذر والريبة "[3] .

علمنا مما سبق أن الروائي قد نسج بخياله حين ؛ جعل من أحد الطوارق منقذا

---

[1] ـ ينظر ابراهيم الكوني ، نداء ما كان بعيدا ص 19 .

[2] ـ هذا الاسم اطلق على الملثمون،والذين كانوا يعرفوا قبيل الاسلام،باسجّلْماسَنْ،يحتمل أن تكون هذه التسمية من اسم الوادي الذي يسكنون فيه.

ينظر محمد سعيد القشاط،عرب الصحراء الكبرى التوارق،ص33.

[3] ـ شارل فيرو،الحوليات الليبية،ص264.

لحياة أحمد القره مانلي ، وليس الأمر كذلك وإنما اصطغه ليضفي عليه دور البطولة،وهذا ما أكدته كتب التاريخ التي تناولت خبر الرسالة منها:تاريخنا[1]، التذكار[2]،تاريخ ليبيا في العصر الحديث[3]،النشاط الحربي الليبي في البحر المتوسط[4]

كما لاحظنا أن الكوني قد سبق وإن أضفى دوراً مشابه في روايته حين قال :

في ضاحية المنشية في أحضان بستان الباشا الصيفي قال البستاني : مولاي يعلم أن الجبّة ماهي إلاّ مظهر أمّا البطانة فهي باطن. البطانة جوهر! جسارة اللسان ذكّرت الباشا من انتماء البستاني إلى إحدى الطرق الصوفية مؤدياً شعائر مايسمّيه هؤلاء ب"الحضرة"... كما أضاف البستاني خبر قدومه من الصحراء[5].

فهكذا لاحظنا أن الكوني قد جعل من العم سليمان القادم من الصحراء ، الأنيس لمحمد باشا القره مانلي، لعله قصد أنه طارقي ،ماجعلنا نعلم أن الكوني أراد أن يقول إن الطوارق هم القوم الذين يستحقون المصادقة والثقة لأنهم أبطال ومنقذين دون سواهم.

يقول الكوني :

"أبو مويس خنق ابن الجن غيلة "[6] .

هنا يصيب الكاتب حين يذكر خبر قاتل ابن الجن[7] ،ولكنه يغالط في خبر كيفية قتله[8] قتله[8] كما وجدنا الحوليات الليبية تقول :

أثناء استغراق ابن الجن في النوم انقضّ عليه خازنداره،أي أمين خزانته ،وبرفقته أربعة من المتواطئين معه ، فذبحه دون أن يتمكن حتى من الاستغاثة [9].

---

[1] - الصادق النيهوم،تاريخنا،الجزء الخامس،لا توجد طبعة، سنة النشر1983،دار التراث ص60.

[2] - ابن غلبون،التذكار،ص239 - 240.

[3] - ن.إ.بروشين،تاريخ ليبيا في العصر الحديث،ص110.

[4] - محمد الهادي أبوعجيلة،النشاط الحربي الليبي في البحر المتوسط،الطبعة الثانية،سنة النشر2008،منشورات جامعة7 اكتوبر،ص107.

[5] - ينظرإبراهيم الكوني، في مكان نسكنه في زمان يسكننا،الطبعة الأولى،سنة النشر 2006 ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر،ص29 - 31، 150.

[6] - إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص20.

[7] - رودلفو ميكاكي،طرابلس الغرب تحت حكم أسرة القرمانلية،ص9.

[8] - محمود ناجي،تاريخ طرابلس الغرب،ترجمة:عبد السلام أدهم/محمد الأسطى،منشورات الجامعة الليبية،كلية الآداب،لاتوجد طبعة،لا توجد نشر،ص159.

[9] - ينظر شارل فيرو، الحوليات الليبية،ص255 .

هنا يتبين لنا توظيف خيال الروائـي ،لعل قصد منه تجـنيب قرّاء روايته الفزع الذي يؤثرعلى نفسيتهم، ويحـول دون إكمـال قراءتها، فآثر لفـظ الخنـق على الذبـح .

إن هذا الموقف الذي رواه الكوني عن كيفية مقـتل ابن الجن، قد سبق أن وظّـفه في ما رواه في روايته السابقة حين قال:

أقبل المسخ لزيارتها...جحظت عيناها ما أن وقع بصرها عليه... قال لها لقد أتيت لكِ بالدواء .سوف تشفين!...دخلت الجارة لتجد الأم جثة هامدة[1].

ولكن الموقف قد اختلف، حين رواه الكوني بين الابن وأمه أولاً وجعله بين الخازندار وابن الجن ثانياً،من ناحية القرابة والصلة، رغم أن السبب واحد وهو الكراهية والحقد.

يقول الكونـي :

فـهل له أن يستهجن ما سيقرأه الآن في متن الرسالـة ؟ من محمود أبو مويس داي طرابلس المحروسة إلى شيخ المحاميد، جبل غريان،أنعم المولى عليه بالعافية ، وبعد. فاذا أقبل عليكم رسولنا هـذا فعليكم أن تقتلوه شـرّ قـتلة.. والسلام. حُرِّر في ديوان الايالة، في اليوم الثاني من جمادي الثانية 1123 للهجرة[2] .

يفهم من ذلك أن أبا مويس أراد قتـل أحمد القره مانلـي ،بـيد شيخ المحاميـد وهذه المكيدة استمدها؛ الكاتب من كتب التاريخ التي تذكر قصة المتلمّس الذي هجا عمـرو بن هند ،فقـام الثاني بكتابة رسالـة إلى عاملـه على البحرين وهجر،وهو ربيعة بن الحارث وقال انطلق فاقبض جائزتك،ولكن المتلمّس[3] عرف مكره ففتح الرسالـة وعلم أن بها أمراً لابن الحارث بقتله[4] .

هذه المكيدة نجد الروائـي قد وظّفها في روايته،بحذافيرها ولم يختلف فيها عن الأولى إلا في أسماء الأماكن والأشخاص.

---

[1] ـ ينظر إبراهيم الكوني،لون اللعنة،ص49 -50.

[2] ـ ينظر إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص24.

[3] ـ وهوالشاعر:جريربن عبد المسيح بن عبدالله بن دوفن بن حرب بن وهب بنجليّ بن أحمس بن ضبيعة بن ربيعة بن نزار،وهو من الشعراء المقلين المفلقين،حيث جعله ابن سلام في الطبقة السابعة من شعراء الجاهلية.

[4] ـ أب الفرج الأصفهاني،الأغاني،المجلد الرابع والعسرون،الطبعة الثانية،سنة النشر1992،دار الكتب العلمية،بيروت ـ لبنان،ص216 ،219 ،229.

فضلاً عن أن هذه الرسالة لم تذكرها الحوليات الليبية ،إذ أن نص الرسالة الذي ذكره الكوني كان من نسيج خياله.

أما ما تذكره الحوليات عن مضمونها فيقول صاحب الحوليات :

" وكم كانت نقمته شديدة عندما اكتشف أنها تتضمن أمرا رسمياً موجها إلى شيخ غريان يقضي بقتله هو بمجرد وصوله إلى هناك ! "[1].

علمنا مما سبق أن الكوني لم يغالط مضمون الرسالة،وهو قتل أحمد القره مانلي ولكننا وجدناه يبحث عن اية ثغرة؛ليوظف خياله الروائي من خلالها.

يقول الكوني:

كتب بالمداد رسالة أخرى. إذ حرّر الرسالة التي سترد الكيد إلى نحر صاحب الكيد، وتحفر الحفرة التي سيقع فيها حافر الحفرة كتب: من داي طرابلس المحروسة محمود أبو مويس إلى رأس العصاة،وزعيم عصبة الجبل،شيخ قبيلة المحاميد أمّا بعد:

فقد بلغني ،ياسلالة النفاق والكفر والغدروالشقاق،مابيّتم العزم عليه من نية في التمرد ظنّاً منكم ،يا شراذم قطاع الطرق،أن ما حلّ بالمحروسة من حوادث آسيفة كفيل بأن

يلهينا عن ردّكم إلى الصواب...واعلموا منذ اليوم أن عهد المواثيق معكم قد ولّى ،ولا حيلة لردعكم إلاّ بشروط تبعثون لنا بموجبها بأشقياء رجالكم من أمثال الوغد خليفة الداموس،سعد الحيّان صانع الفتن،جبر المعداوي بمثابة رهائن،كما نلزمكم بإرسال عددٍ من بنات الأكابر والأعيان ... تحرير في ديوان المحروسة للثاني من جمادى الثاني لسنة 1123 للهجرة.[2]

هذه الرسالة التي يذكر الكاتب نصها، في روايته لم تذكرها الحوليات بهذا النص.

إذ ذكرت:"فما كان منه إلا أن استبدل هذا المكتوب بمكتوب آخر حرّره بخط يده،على اعتبار أنه بخط الداي و باسمه. وتفيد صيغة الرسالة الجديدة بأن أهالي غريان قوم مشاغبون وأن الداي الجديد يريد منهم ضمانات تكفل خضوعهم له، ويطلب من

[1] - شارل فيرو،الحوليات الليبية ص264.

[2] - ينظر ابراهيم الكوني ،نداء ما كان بعيدا ص 25 -26 .

شيخهم أن يبعث إليه بدون إبطاء عددا من أكابـر المنطقة وأعيانـها كي يحتفظ بهم كرهـائن وحرص أحمد القرمانلي في الرسالـة التي زوّرها على ذلك النحو على أن تشتمل القائمة الخاصة بأولئك الرهـائن على أسماء أكثر الرجال حزمـا وقـوة على الرؤوس الأكبر عجرفة وصلفا من بين أفراد قبائل غريان"[1].

هذا وقد ذكر خبر استبدال رسالة أبو مويس للمحاميد من قِبل أحمد باشا ،ولكن الكوني اكتفى بالتحقير والشتم والتهديد،الذي كانت تحمله في مضمونها.

إن الكوني أصاب؛ حين ذكر خبر الرسالـة التي كتبها آغا أحمد القره مانلي ،ولكنه لم يمسك زمام خياله في عدة أمور كشتم آغا أحمد لأهـل غريان وذكر أسماء الرهائن، ومطالبته بالبنات[2].

وهو بهذا إنما أراد استفزاز أهل الجبل وتحريضهم ضد أبو مويس لكي ينتقموا لـه، وهذا ما وافق الكوني الحوليات فيه.

يقول الكوني :

لم تنطق عيونهم بالفضول وحسب ،ولكنها نطقت باللهـفة... قال أحمد القره مانلي لا أخفي عليكم،الوضع أسوأ مما تتصورون،وحال البـلاد يرقص على كف عفريت !... الداء هو شراذم الانكشارية الذين سممّوا البـلاد بالفـتن، وقطعوا دابـر الاستـقرار بالدسـائس لأنهم ملّة خسيسة لا تخلد لنومة قبل أن تشرب من دمٍ،أو تنهب أرضاً ،أو تغتصب عرضاً!.. بمكيدة هـذه العصابة اغتيل ابن الجـن ،وبمساعدة سواعـد هذه الشرذمة نصب المدعو أبو ميس حاكما[3].

أثـار أغا أحمد فضولهم لاستفزازهم،ولكي لا ينقـلب غضبهم على رأسـه ،بل معه وهذا ما تؤكده الحوليات :

" وعندما وصل أحمد القره مانلي إلى غريان ،فإنه لم يستعجل أمر تسليم الرسالة حال

[1] - شارل فيرو،الحوليات الليبية،ص264 .
[2] - الصادق النيهوم،تاريخنا،الجزء الخامس،ص60.
[3] - ينظر إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص29 - 32.

وصوله ،لأنه لو فعل لأقدم الأعراب على القصاص منه على الفور، وكان هدفه أن يتحول غضبهم ـالذي لاشك في تفجره بمجرد اطلاعهم على محتوى الرسالة المزوّرة ـ لصالحه هو وعندما تحلق حوله أولئك القوم الذين كانوا يتحرقون شوقاً لمعرفة آخر تطورات الأحداث في مدينة طرابلس ،وأخذوا يصبّون عليه سيلا من الأسئلة عن آخر ما وقع فيها ؛فإنه أخذ يردّ على استفساراتهم بذكاء بواسطة إجابات يشتمّ منها أنه يتكهّن بحدوث قلاقل جديدة في القريب ،وذلك ـ بحسب قوله ـ بسبب النزاعات الاستبدادية الميّالة إلى الظلم والجور وحب سفك الدماء الجشع، والتي أخذ مسلك الداي الجديد وتصرفاته توحي بها منذ بداية الفترة القصيرة التي استلم فيها السلطة اغتصابا بعد اغتياله لحميّه "[1].

مما سبق نجد الكوني يوافق الحوليات؛ من حيث ذكره لما قام به آغا أحمد القره مانلي،في طريقة إيصاله للرسالة، وحالة تلقيهم لها وردّة فعلهم اتجاهها، وتفكيره في الاستفادة منهم ؛لدعمه ومساندته ضد أبو مويس داي طرابلس[2]بينما لم نجد من

يذكر استنفار أهل غريان عقِب تلقيهم لرسالة أحمد القره مانلي المزوَّرة[3].

إن ما قام به أغا أحمد من انتهاز لأهل الجبل ضد أبي مويس، يكاد يكون مماثلاً لما قام به الفاسي لأهل الصحراء حين نجد الكوني يقول :

لا بدّ أن نحتال على هؤلاء البلهاء ونقول لهم إننا نذهب لنقتل لاحبّاً في القتل...ولكن لكي نهدي أهل الضلال إلى الصراط المستقيم...أريدك أن تحدّثهم بحقيقة أهل الصحراء[4].

حيث أنه قد جعل من حرصه على الدين، وسيلة لكي يؤجج في نفس المريدين القتال والقضاء على أهل الصحراء،في حين أنه أراد سلطانه عليهم لا حرصه على الدين.

يقول الكوني:

---

[1] ـ شارل فيرو،الحوليات الليبية ص264.

[2] ـ ينظر الصادق النيهوم،تاريخنا،الجزء الخامس،ص60.

[3] ـ رودلفو ميكاكي،طرابلس الغرب تحت حكم الأسرة القرمانلية،ص9-10.

[4] ـ ينظر إبراهيم الكوني،لون اللعنة ص168 - 169 .

" استنكر الزعيم:اللجوء ؟ بلى . اللجوء! إلى أين ؟ إلى شرق البلاد أو إلى غربـها ، سيان!"[1].

هـذا ما ذكـره الكونـي عما أراد القيـام به أحمد القره مانلي،أما الحوليات فيقـول صاحبها :

لقد أتخذت قراري فإن لديّ أسبابا شخصية بالغة الخطورة تجعلني أخاف على رأسي.. وإنني لن أبقى هنا... وأنـا عازم على الهجرة إلى تونس أوإلى مصر[2] .

علمنا مما سبق أن مضمون قول الكونـي؛ وما ذكرتـه الحوليات أيضاً قد اشترك في خوف آغـا أحمد القره مانلي على نفسه، ولكننا لم نجد ما يؤكـد هذا القول[3] في كتب التاريخ التي منها:التذكار[4]وغيرها.

يقول الكوني :

"ولهذا السبب فقد أرسل الرسل للتو(بعد التشاور مع عقلاء القوم) إلى القبائـل الحليفة بالدواخـل ويأمـل أن يتلقـى الردود من زعمـاء تلك القـبائل خلال أيـام "[5].

هـذا ما ذكره الكونـي على حرص آغـا أحمد القره مانلي لاستنـفار القبائـل ضد أبي مويس، أما الحوليات فيقول صاحبها:

" وعلى الفور تم إيفاد مبعوثين إلى جميع القبائل الأخرى لإبلاغهم بما انعقد عليه عزم الغراينة"[6] .

إن الغراينة أرسلوا الرسل للقبائل المجاورة،وهم من ينتظرون عودتهم بردود القبائل ، نعلم من هذا أن الكوني وظّف خياله في وصف شوق أحمد القره مانلي وإرساله لرسل وانتظاره لهم، وطمعه في عرش الإيالة الطرابـلسية.

يقول الكوني :

---

[1] ـ إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً ص33 .
[2] ـ ينظر شارل فيرو،الحوليات الليبية ص264 .
[3] ـ الصادق النيهوم،تاريخنا،الجزء الخامس،ص60.
[4] ـ ابن غلبون ،التذكار،ص240.
[5] ـ إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداًص38 .
[6] ـ شارل فيرو،الحوليات الليبية ص265 .

"عليه أن يستنفر فرسـانه في المنشية، ويبعث بالرسل إلى شيوخ الساحل وتاجـوراء ورجالات المدينة الذين يستطيع أن يثق بهم ليجسّ نبضهم قبل الزحف"[1].

وبما أن أحمد القره مانلي أراد الحكم ؛ لذا عليه أن يطلب مساعدة فرسانه الذين كانوا تحت إمرته، ولكن القولوغلية المقيمون في الساحل والمنشية قرروا خلع الداي وتولية القرمانلي مكانه[2] ما يؤكد مبادرتهم لتوليه السلطة دون مطالبة منه.

أما الحوليات الليبية فجاء فيها:

" فإن أهالي الساحل والمنشية قد أرسلوا وفوداً الى أحمد القره مانلي يستحثونه للحلول بين ظهرانيهم. وتم الاتصال في الخـفاء بأعضاء ديوان طرابلـس وبضباط حاميتها، وأُخطروا باندلاع هذه القومة الشاملة لسكان الدواخل ؛ فما كان من أولئك إلا أن دعوا أحمد القرمانلي إلى تـسلم مقاليد الحكم "[3].

علمـنا مما سبق أن الكونـي نسج بخياله، حين أورد خبر مطالبة أحمد القره مانلي، المساعدة من فرسانه بالمنشية وتاجوراء؛ لأنهم هم من أرسلوا الوفود وطالبوه ليكون

دایاً عليهم.

يقول الكوني :

يوم تزاحم في الديوان أكابر الإيّالة وأعيان المدينة وأشياخ الضواحي وزعماء القبائل لمبايعته وتقبيل يديـه تعبيراً عن فروض الولاء لم يفتقد في تلك القيامة سوى مخلوقاً واحداً... فاختلـى بكبير التجّار في ناحية ليستفسر عن صاحب اللثام...هب أحمد بك القره مانلي خارجا.هب يزيح في طريقه الجموع ، ويدفـع بمنكبيه الخلق الذي تجمع لتهنئته... وجده في خلوة فوق رابية[4].

يتضح مما سبق أن الكونـي وهو يصف يوم تنصيب أحمد باشا القره مانلي ، كـان يصف لا مبالاة أحمد القره مانـلي لهذا التنصيب ،وإنما أورده الكونـي ليوظـفه في السمو بمكانة سيدي الصيد لدى البـيك وتعففه عن السلطة، إلا أن اهتـمام أحمد بهذا

[1] - إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً ص38 - 39.
[2] - رودلفو ميكاكي،طرابلس الغرب تحت حكم الأسرة القرمانلية،ص10.
[3] - شارل فيرو، الحوليات الليبية ص265.
[4] - ينظر ابراهيم الكوني ، نداء ما كان بعيدا ص 59 - 62 .

المخلوق، لم تذكره كتب التاريخ التي أُلفت قبيل الحوليات الليبية منها:طرابلس الغرب[1]،وتاريخ طرابلس الغرب[2] كما أن الحوليات تؤكد خيال الكوني حيث تقول: لقد تمت بيعة أحمد القره مانلي باشا ـ بيك ،حيث تقّبل فروض الولاء من أهالي المدينة والمنشية،وذلك بعد أن تعهد بأن يحكم طبقا للقانون [3].

يقول الكوني :

"أدهش القره مانلي الجميع يوم أمر بإقامة خباء صغير في بهو السراي ليكون له بمثابة زاوية يأوي إليها في سويعات الفراغ بقصد التفكّر "[4].

وفي هذا يشير الكوني إلى أن البيك قد تطبّع؛ بسيدي الصيد الذي ينتمي لأهل الصحراء وكأنه أراد القول إن أهل الصحراء ؛هم أهل التفكّر والتأمل ، وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على تعظيم الروائي للصحراء التي ينتمي إليها و إلى أهلها

وهذا بالطبع لم تثبته كتب التاريخ إذا ذكرنا منها على سبيل المثال:تاريخنا[5] الذي لم يذكر أي تعظيم للصحراء ولأهلها.

يقول الكوني:

أصبح لا يذهب إلى بيته الريفي في ضاحية المنشية إلاّ ليختلي بالعمّ سليمان ...قرر أن يفاتحه بالدّاء الخفيّ الذي نشأ معه منذ الطفولة[6].

أما في هذا القول فإن الكوني ،أراد أن يُعلم بسمو أهل الصحراء لذا محمد القره مانلي حين جعله يذهب لبيته قاصداً التحدث للعم سليمان ،دون أن يُرسل إليه رسله للقدوم به لا قدوم الباشا إليه.

يقول الكوني :

" أصحاب الحوليات ورواة السير لم يجدوا بدّا من أن يطلقوا على هذا(الفتى) (الذي

---

[1] ـ رودلفو ميكاكي،طرابلس الغرب تحت حكم الأسرة القرمانلية،ص10.
[2] ـ محمود ناجي،تارخ طرابلس الغرب،ص160.
[3] ـ ينظر شارل فيرو،الحوليات الليبية،ص266 .
[4] ـ إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً ص68 .
[5] ـ الصادق النيهوم،تاريخنا،الجزء الخامس،ص60 ـ 61.
[6] ـ ينظر إبراهيم الكوني،في مكان نسكنه في زمان يسكننا،ص64 .

يبدو طفلا بالفعل) أفخم الألقـاب مثل :(أحمد الأكبر) تيمّنا باسـم الأسكندر الأكبر[1]
هذا وقد كان أحمد باشا أول من تجرأ من بين القرمانلـيين لحمل لقب" أمير المؤمنين" المعظم[2] والذي يُعد أعظم من لقب الأكبر الذي ذكرته الحوليات :
" لم يشأ أن ينتظر حتى يخبو لقب "الكـبير" الذي كان رعاياه يلقبونه به "[3]
إن الكونـي قد نسج بخياله الروائـي،حين ذكـر للحوليات أصحاباً،في حين أننا نعلم بأن لديها صاحباً واحـداً،كما وظّـف هـذا الخيـال فيما ذكره حول من أطلـق لقب الإسكندر الأكبر على أحمد بيك حيث تقول الحوليات أن رعايـاه هم من اطـلق هذا اللقب عليه.
يقول الكونـي :
" فما كان من القرمانلي إلاّ أن أمر بمصادرة أموال هذه الملّة وبيعها في المزاد العلني

لـيشتري بقيمتها هدايا نفيسة بعث بها إلى الباب العالي في الأستانة لإسكاته "[4].
هـذا ما يذكره الكونـي عما قـام به البيك أحمد من بيع لأموال الانكشارية،وإن جـاء في الحوليـات أن أحمد باشـا أرسل وفـداً إلى القسطنطنية لتبرير مقتل خليل باشـا و يطالب بالاعتراف به واليـاً على طرابلس ،وكان إعلانه الولاء للسلـطان مصحوباً بإرسال كمية من الهدايا الثمينة[5] أما الحوليات فتذكر حول هذا القول :
"وأرسل القره مانلي إلى الباب العالي هدايا نفيسة لإسكاته"[6] .
فالحوليـات لم تذكـر بيـع أموال الإنكشـارية ، وإنما هي إحدى شطحـات خيـال الروائـي، لعله قصد بها الإشـارة إلى دهـاء البـيك ولعله قصد بها إفلاسه وقـلة ماله .
يقول الكونـي :
"يروى أن أحمد القره مانلي قال لأحد خلصائه يوم بعث برسولـه إلى الأستانة محمّلا

[1] ـ إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً ص69 .
[2] ـ محمود ناجي،تاريخ طرابلس الغرب،ص161.
[3] ـ شارل فيرو،الحوليات الليبية،ص304.
[4] ـ إبراهيم الكوني ،نداء ما كان بعيدا ص 86 .
[5] ـ رودلفو ميكاكي،طرابلس الغرب تحت حكم الأسرة القرمانلية،ص16.
[6] ـ شارل فيرو،الحوليات الليبية،ص272.

بهداياه :"بأموالهم اشترينا دماءهم كما اشترينا خلاصنا بهلاكهم ! " ثم ابتسم بغموض وهو يضيف: " لماذا لا نشتري ذمم سلاطينهم إذا كان هؤلاء السلاطين هم الذين يعرضون ذممهم للبيع بأنفسهم ؟!." "[1].

وهذا ما لم تذكره كتب التاريخ[2] و لم تذكره الحوليات أيضاً ولكن الكوني جعل من نفسه قارئاً لأفكار البيك ،ومتحدِّثاً بلسانه عن فساد ذمم سلاطين الأستانة .

يقول الكوني :

خرج يوسف دولتي رسولا مخولا للتفاوض مع مندوب الأستانة...قال له الملأ إن اسم معاليه هو جانم خوجه...لم يخرج إليه ليحيّيه ،ولكن ليطعنه...ولو لم يهرع بعض أفراد الحاشية لنجدته لما نجا.[3]

علمنا مما سبق أن الروائي يذكر؛ محاولة طعن جانم جوجة لرسول أحمد بيك وقائد جيشه (دولتي)،ولكن حين ذكر جانم خوجه في بعض كتب التاريخ، لم تذكر محاولته لطعن رسول البيك[4]،بل ذكر قسمه بتولي خليل باشا المدينة بالقوة[5]،ولكن ما تذكره الحوليات عن هذا الخبر

نزل إبراهيم الملاّ بنفسه حيث قام بزيارة البك ... بل إنه ذهب حتى إلى حد امتشاق خنجره مهددا يوسف دولتي ،عندما طفق هذا الأخير يغتاب خليلا[6].

مما سبق يتضح لنا أن من أراد قتل يوسف دولتي هو إبراهيم الملاّ لا جانم خوجه وهذا ما أكّد عدم محاولة جانم خوجه طعن رسول البيك فيما سبق؛أي أن الكوني وظّف خياله في هذا القول،هذا وتذكر الحوليات أن:

"نزل إبراهيم الملاًّ بنفسه حيث قام بزيارة البك، الذي كان في اليوم السابق قد بادر إلى تعيين تركي يدعى يوسف دولتيّ شكليّا بدلا من مسؤول مغربي ."[1].

---

[1] - إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص86 - 87.
[2] - الصادق النيهوم،تاريخنا،الجزء الخامس،ص61.
[3] - ينظر ابراهيم الكوني،نداء ما كان بعيدا ص89 - 90 .
[4] - ينظر محمود ناجي،تاريخ طرابلس الغرب،ص160.
[5] - ينظر رودلفو ميكاكي،طرابلس الغرب تحت حكم الأسرة القرمانلية،ص14.
[6] - ينظر شارل فيرو،الحوليات الليبية،ص267.

هكذا يتضح أن الحوليات الليبية لم تذكر أن دولتي قائد للجيش[2] ؛ وإنما نسج الكوني بخياله الروائي دون أن نجد مبرراً لما قاله وما قصده من ذلك .

يقول الكوني :

" يُقال إن كل شيء لم يسر على ما يرام إلاّ بعد تدخّل الشقيقين يوسف وعلي المكني . الأوّل بصفته كرئيس لسلاح البحرية والثاني بصفته كبير التجّار.يؤكد مدمنو كتابة الحوليات أن للأخير بالذّات يرجع الفضل في شراء حرّية الإيالة الطرابلسية بأمواله وجنبها ويلات الصدام المباشر مع وحدات الأسطول التركي المرابط على طول الساحل فيما إذا انتهت المفاوضات إلى الاخفاق "[3]

إن الروائي يتحدث عن علي المكني؛وجعل منه حامي حمى الإيالة من الحرب ، ولكن الحوليات الليبية تذكرغير ذلك بقولها:

"فإن الشقيقين علي المكني ويوسف المكني ـ وهما من أعراب الدواخل ويعتبران التاجرين الثريين الوحيدين في البلاد ـ هما اللذان يتحكمان في تصرفاته و هذا أمر سيكون فيه هلاكهما ،لأنهما هما وحدهما اللذان طردا الأتراك بدسائسهما وبفضل أموالهما "[4]

يتضح لنا خيال الكوني في ذكره ؛لعلي المكني وإنما كان علي وشقيقه يوسف[5].

يقول الكوني :

"وهي صفقة لم تكن لتتم لولا الأدلة التي وضعها الطرف الطرابلسي بقيادة علي المكّني هذه المرّة بين رسول السلطان التي تثبت بما لا يدع مجالا للشكّ إقدام الأرناؤوطي على تزوير تلك الرسائل التي قدّمها للباب العالي "[6].

نستنتج أن الكوني يذكر أن من أثبت تزوير الرسائل التي قدَّمها الأرناؤوطي

---

[1] ـ شارل فيرو،الحوليات الليبية،ص267.
[2] ـ ينظر الصادق النيهوم،تاريخنا،الجزء الخامس،ص61.
[3] ـ إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص97.
[4] ـ شارل فيرو،الحوليات الليبية،ص269.
[5] ـ منصور علي الشريف،عائلة المكني أبناؤها وأدوارهم في التاريخ الليبي،الطبعة الأولى،سنة النشر2003،مركز جهاد الليبين ص106.
[6] ـ إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص97 ـ 98 .

هو علي المكني ،في حين أن صاحب طرابلس الغرب؛ قد ذكر نجـاح خليل باشا في إقناع الباب العـالي[1] دون ذكر لـهذه الرسائـل التي ذكرتها الحوليات ،هذا وتضيف الحوليات أيضاً:

" وقيل كذلك أن خليلا قد خدع الباب العالي بأن سلّمه رسائل مزورّة لـكي يقنعه بأن البلاد ترغب في تنصيب دايا عليها "[2].

الكوني إذاً ذكر خبراً لم تذكره الحوليات ،لجعله ثغرة ينسج من خلالها خياله الروائي.

يقول الكوني :

"لـقد وقعت زينوبة في يد القره مانلي رهـينة فـأوقف على أبوابها العسس منذ أول يوم بدعوى الحرص على مصيرها"[3].

كل ما ذكره الروائـي عن اعتقال زينوبة زوجة خليل الأرناؤوطـي،كان من خيـال الكونـي،لأننا لم نجد ما يؤكّـده في الحوليات ،ولا كتب التـاريخ التي استمد صاحب الحوليات مادته التاريخية منها ،والتي نذكر منها:تاريخ طرابلس الغرب[4]، والتذكـار[5].

يقول الكوني :

" فبالأمس نهب غوغاء الدواخل قافلة قادمة من (كانو)"[6].

يتحدث الكونـي هنا،عن نهب قافلة قادمة من كانو بين ما تذكره الحوليات غير ذلك:

" يقطن في معظم أحياء هذه المدينة لصوص وقطّـاع طرق؛ولـقد تم الاستيلاء على آخر قافلة تجارية قدمت من السودان"[7].

يغالط الكونـي حين يذكر أن القافـلة قادمة من كانو بينما هي قـادمة من السودان، ما جعلنا نعتقد أن الروائي يريد أن يدس بخياله مغالطات في تاريخ الدول الأفريقية و حدودها.

---

[1] ـ ينظر رودلفو ميكاكي،طرابلس الغرب تحت حكم الأسرة القرمانلية،ص13.
[2] ـ شارل فيرو،الحوليات الليبية،ص267.
[3] ـ إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص105.
[4] ـ محود ناجي،تاريخ طرابلس الغرب،ص159 - 160.
[5] ـ ابن غلبون،التذكار،،ص245.
[6] ـ إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص114.
[7] ـ شارل فيرو،الحوليات الليبية،ص272.

يقول الكوني :

" لـقد قام الأوباش بنواحي غريان بقطع الطريق على موكب مراكشي في طريقه إلى مكّة لـتأدية فريضة الحج ونـهبوا ممتلكاته "[1].

الروائـي يصف ما فعله الأوباش بنواحي غريان بالموكب المراكشي الذي في طريقه إلى مكة؛ ولكن الحوليات الليبية تذكر:

" قافلة من المراكشيين الذين كانوا في طريق عودتهم من الحج"[2].

خلاصة ما سبق نلاحظ أن الكونـي كان يغالـط حين ذكـر خبـر نـهب قافـلة المراكشيـين وهم في طريـق الذهـاب؛ بينما هم في طريـق العـودة من الحـج .

يقول الكوني :

سأدفـع بهم ليدك بدون فدية تعبيرا عن إكباري لفرنسا !..هل يذكر سعادة القنصل ما

حدث لبحّارة مالطـا الذين قذفت بهم الأمواج على سواحل درنة ؟ قال القنصل .لـقد بيعـوا لحجيج من مراكـش... أجاب الـبك نيابة عنه: لقـد نحروهـم على ضريح سيدي السندوسـي عن بكرة أبـيهم وفـاء لنذر! ... في طريق العودة قال له يوسف المكني إنه تـنازل عن غنيمة سمينة بلا مقابل .[3]

يتحدث الكونـي عن إكبـار البـيك لقنصل فرنسا، وذلك بأن أطلـق سراح الأسرى الإيطاليين ولكن يذكـّره بما أصاب الأسرى المالطيين والتي تذكـر عنهم الحوليات الليبية:

" تم بيع أربعين من أولئك النصارى إلى قافلة من المراكشـيين الذين كانوا في طريق عودتهم من الحج ، فما كان من أولئك الحجاج إلا أن نحروهم كقـرابين على ضريح مرابط مشهور"[4].

يتضح أن الكونـي نسج بخيالـه ،حين ذكـر أن الأسرى بيعوا جميعا لا كما تذكـر الحوليـات ؛ ـ فنحن نفهم منها أن أربعين منهم قـد بيعـوا لا جميعهم ؛كما يضيف

[1] ـ إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص114.
[2] ـ شارل فيرو،الحوليات الليبية،ص274 .
[3] ـ ينظر إبراهيم الكوني ، نداء ما كان بعيدا ص117 - 120 .
[4] ـ شارل فيرو،الحوليات الليبية،ص274.

الكوني ذكر اسم المرابط بعينه (السندوسي) ، بينما لم تذكره الحوليات أي أنه من خياله الروائي.

يقول الكوني على لسان الأرناؤوطي:

" أظّن أن الأرواح الشرهة إلى الدّم لا تفرّق بين دماء الأنعام ودماء الأنام .بل الأرواح الأقوى تفضّل قرابين الأنام على قرابين الأنعام"[1].

فيما سبق نلاحظ أن الكوني قد وظّف خياله في وصف الأرواح الشرهة للدماء، وبأن الأقوى منها يفضل الأنام على الأنعام،ولكن هنا نلاحظه يؤكد قوله حين ذكر ما قام به الحجاج من نحر للأسرى المالطيين ،أي أنه يؤكد خياله الروائي بالحقيقة التاريخية.

إن هذا القول يُذكرنا بخليل باشا الأرناؤوطي، الذي يقول الكوني عنه:

" وقد أمرت بدفن رأس الفقيد بما يستحق من مراسم في مقبرة سيدي حمّودة بمجرّد أن بلغني النبأ"[2].

يذكر الروائي حديث البيك أحمد لأرملة خليل الأرناؤوطي(زينوبة) مما يجعل القارىء يشعر بإكبار البيك أحمد لزوج الأرملة وشدة حزنه على ما أصابه.

ولكن الحوليات الليبية تذكر :

"ثم دفن ما تبقى منه بمقبرة سيدي حمّودة "[3].

يشعر القارىء ، بأن خليل الأرناؤوطي لم يعط البيك أحمد أي اهتمام في مراسم دفنه؛ كما ذكر الروائي بل أننا نشعر بأنه قد مثّل بجثتِهِ حتى كأنها لم تعد جثة إنسان بل بقايا حيوان وضيع،عرض للسخرية من قِبل الجمهور[4].

يقول الكوني :

سمعوا ارتطام بدن سيّد القصر الفاسي بمياه البئر ، ورأوا سيدهم الجديد يجلس فوق فوهة البئر...يلتهم قطع لحم[1].

---

[1] - إبراهيم الكوني،في مكان نسكنه في زمان يسكننا،ص135.
[2] - إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً،ص123.
[3] - شارل فيرو،الحوليات الليبية،ص269 .
[4] - ينظر رودلفو ميكاكي،طرابلس الغرب تحت حكم الأسرة القرمانلية،ص15.

فيما سبق روى الكونـي من نسج خياله ، قتل شلم لسيّده الفاسي بأن رماه ببئر، ولكن بعد أن قطع منه قطعة لحـم ، بينما أحمد باشا تعامل مع الأرناؤوطي معاملـة أقل بشاعةً من شلم ،لعل الكوني أراد مما روى أن يبرر فعل أحمد باشا.

يقول الكوني :

"في اليوم التالي بعث لها برسالة تقول :" لن يمسك سوء،ولن تعرفي في الدنيا ضائقة، ولن تتعرّضي لمظلمة ما دمت على قيد الحياة"[2].

نلاحظ مما سبق أن الروائي يصف طمأنة نفس أرملة الأرناؤوطي (زينوبة)؛ من قبل البـيك أحمد، وهذا من خيال الروائي إذ إننا لم نجد ذكره في الحوليات الليبية.

ولا في كتب التـاريخ التي اطلعنا عليها منها: تـاريخ طرابلـس الغرب [3] ويقول الكوني :

"لـقد ردّت إليه هدايـاه في اليوم التالـي من ذلك اليوم مصحوبة بـرسالة في هيئة دميتين أنيقتين ملفقتين من قطع كتّان متعدد الألـوان و أعواد من شجـر برّي أتقنت صنعهما"[4].

يضيف الروائـي في حديثه عن البـيك أحمد بأنه؛ أرسل هدايـاه إلى زينوبة ولكنها أعـادتها إليه وارسـلت إليه تهـديدا مبطنا عبارة عن دميـتين؛وهذا ما لم تذكـره الحوليات حين تقول:

"غير أن تلك المرأة صـدت جمـيع العروض والوعود التي بذلها لها أحمد"[5].

يتـضح لـنا مـما سبق، أن الكاتب يغالـط الحقيقة التاريـخية بذكره لهذه الدمـى ولكنـنا نلاحـظ؛أن الروائـي يذكر صد زينوبة للبـيك ،لقـصد اذلالـه وذلك عبر توظيف خياله.

يضيف الكوني في سرد إصرار الباشا فيقول :

---

[1] ـ ينظر إبراهيم الكوني،لون اللعنة،ص211 .
[2] ـ إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيداً،ص126.
[3] ـ ينظر محمود ناجي،تاريخ طرابلس الغرب،ص160 - 161.
[4] ـ إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص 128 .
[5] ـ شارل فيرو،الحوليات الليبية،ص302.

"يوم أقبل عليها ليمثل بين يديها بتزكية من الحاج علي المكنّي استقبله"[1].

علمنا أن الكوني يتحدث ؛عن سيدي الصيد الذي ذهب ليقابل زينوبة بعد أن زكّاه علي المكنّي وأعلمها أنه ليس رسول البيك إليها، كان هذا ما أعلمنا به الكوني،ولكنه يغالط فيما ذكر لأن الحوليات لم تذكر ما قام به المكنّي من دور في مقابلة سيدي الصيد لزينوبة؛كما لم نجد من يذكر هذا الخبر[2] ما آثار تساؤلاً مفاده:

لماذا جعل للمكنّي هذا الدور دون سواه على الرغم من أن المكنّي أراد أن يحكم البلاد ؟.

وهذا ما أكدته الحوليات:

" فإن كل واحد منهما يرغب في أن يحكم البلاد بدوره"[3].

مما سبق تتضح لنا ، المغالطة التاريخية في ما ذكره الروائي عن دور المكنّي، في مساعدة البيك أحمد في زواجه من زينوبة؛وهو يعلم أن هذا الفعل سيساعد البيك في تدعيم حكمه للإيالة الطرابلسية،ولكن رغم تأكيد الحوليات في نية الأخوين في تولي الحكم، إلا أننا لم نجد ما يؤكد هذه النية ،لدى يوسف المكني لأنه لم يكف عن إبداء رأيه ومشوراته للبيك حتى بعد ان أنتقل من القلعة[4].

يقول الكوني على لسان شلم:

ذهبتُ وراءك وسخرّتُ بدني وروحي لإرضائك، وأمنتك من خوف،وأنقذتك من جوع ووضعت أموالي لأعلي شأنك ...واليوم أقتصُّ منك بعد غياب صاحب الخنوس اختار صاحب النحوس شلم أحد أعوانه لينصب حاكماً... لأن السلطان الحق من وراء حجاب[5].

نلاحظ هنا أن الكوني روى ما قام به شلم حين اقتص من الفاسي ،بعد أن سانده لكي يصل لتأسيس دولة في الصحراء ،ولكنه يذكر أن علي المكني أراد الحكم منذ البداية لذا قام بمساندة الباشا في إحكام سيطرته على الإيالة،لعله أراد من خياله

[1] - إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص139.
[2] - ابن غلبون،التذكار،ص245.
[3] - شارل فيرو،الحوليات الليبية،ص269.
[4] - ينظر منصور الشريف،عائلة المكني،ص107.
[5] - ينظر إبراهيم الكوني،لون اللعنة،ص210 - 112 .

قول إن النيّة في الوصول إلى السيطرة تكمن في النفوس ولا تمت للمظهر بصلة.

يقول الكوني:

هل نستطيع أن نبيع هذا العتاد لنشتري بأثمانه ذهبا ؟...السلاح خلق ليستخدم، يامولانا البك ،في رحاب البرّ، أو في عرض البحر!... من يستحق القصاص ليس أهل غريان، ولكن أهل تاجوراء وحلفاءهم من أهل ترهونة ومسلاته الذين لا يريدون أن يكفّوا عن ممارسة الشغب واثارة القلاقل.[1]

إن الكوني يذكر حوار البيك مع الخازندار؛وأراد توضيح حاجة البيك الماسة للمال

حتى إنه أراد بيع سلاحه،وأراد أن يصف شدة انزعاجه من أهالي ترهونة ومسلاته، وهو ما لم تذكره الحوليات الليبية[2]؛كما لم تذكره بعض كتب التاريخ[3] مما يجعلنا نتأكد من أن ما ذكره الروائي كان من إضافاته التاريخية خاص أنه أخذ مادته العلمية منها.

يقول الكوني :

انتهى من أوباش الكولوغلية في تاجوراء وزحف بقواته نحو جبل نفوسة..أقبل عليه رسول زعيم المحاميد.قدّم إليه رقعة بفحوى من سطر واحد[4].

يذكر الكوني حملة البيك على تاجوراء وجبل نفوسة، ولكن ذكره لرسول المحاميد ورسالته التي أرسلها إلى البيك،هي من إضافات الروائي لأننا لم نجد لها ذكراً في الحوليات الليبية[5]؛ولا بعض الكتب التي ألفت على غرارها[6].

يقول الكوني :

" ويقول أصحاب الحوليات أن اللقاء عقد في المرتفع الذي يطل على جندوبة .ففي حين أقبل البك مرفوقاً بكوكبة من فرسانه أقبل الزعيم وحيداً"[7].

---

[1] - ينظر ابراهيم الكوني،نداء ما كان بعيدا ص147 ،151

[2] - ينظر شارل فيرو،الحوليات ،ص263 - 304.

[3] - ينظر ابن غلبون،التذكار،ص245.

[4] - ينظر إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص153.

[5] - ينظر شارل فيرو،الحوليات الليبية،ص263 - 304.

[6] - ينظر ن.إ.بروشين،تاريخ ليبيا في العصر الحديث،ص107 - 125.

[7] - إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص156.

إن ما يذكره الروائـي فيما سبق،عن لقـاء البـيك أحمد وزعيم المـحاميد في منطقة جندوبة مغالطـة من الناحية التاريخية؛ حيث نجده يذكر لـقاء زعيم المحاميد بالبيك بينما لم تذكره الحوليات الليبية ،كما لم نجد ما يؤكد هذا القول[1]الأمر الذي يجعلنا نشك في أنه من خيال الروائي .

يقول الكونـي:

اعتلى صاحب الدعوة الفاسـي رابية تشرف على السهل الذي اصطفت فيه طوابيـر جيوشـه الجرارة ليملأ عينيه بما فعلت يداه... استوقفه شبح اعتلى الرابية من الناحية

الأخرى ومضى نحوه في خطوات[2].

يتضـح أن الكونـي قد نسـج بخيالـه قدوم ما اسمـاه هنـا بالشـبح ، وهو شـلم إلى سيّده الفاسـي عند مشـاهدته لجموع جيوشه،مايجعلنا نتأكـد من أن لـقاء البيك بزعيم المحاميد في المرتفع هو من وحي خيال الكوني.

يقول الكونـي:

" عـاد لـينفس كربته في مرسوم استصدره في الحـال يقضـي بصلب الخازندارعلى باب زنـاته،وإقـالة دولتي من رئـاسة الجيش وتولية يوسف المكّني خلـفا لـه إلى جـانب منصبه كرئيس للبحرية ليصير بمقتضى هـذا المرسوم سيّـد البـر وربّـان البحر. "[3].

يذكر الكاتب فيما سبق، ما قـام به البـيك أحمد من صلب للـخازندار وعزل لدولتي وتوليـة يوسف المكني بـدلا عنه،ولكن كل ما جـاء به الروائـي كـان من وحـي خيالـه ،لأن الحوليـات[4] لم تذكر هذه العقوبـات القاسية، كما لم نجد من يذكـر هذه العقوبات[5].

يشعر المتلقي وكـأن الكونـي يود تذكير وتحذير ذوي الدسائـس،ورؤوس الفتن من مغبة ما سيصيبهم من خلال هذه السطور.

---

[1] - ينظر الصادق النيهوم،تاريخنا،الجزء الخامس،ص58 - 61.
[2] - ينظر إبراهيم الكوني،لون اللعنة،161 - 162 .
[3] - إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص159.
[4] - ينظر شارل فيرو،الحوليات الليبية،ص267 - 304.
[5] - ينظر محمود ناجي،تاريخ طرابلس الغرب،ص160 - 161.

ويضيف الكوني :

"هل قلت أن سيدي الصيد يريد أن يتزوّج حلومة بنت علي المكّني؟"[1].

يذكر الكوني فيما سبق،زواج حلومة من سيدي الصيد ، وهذه مغالطة من قبل الكاتب لأن الحوليات لم تذكرها[2].

هذا و بعد اطلاعنا على أخبار علي المكني لم نجد ما يؤكد مصاهرته لسيدي الصيد

الذي ذكره الكوني [3]

ما يجعلنا نلاحظ تعجّب البيك أحمد من هذا الخبر؛لأن هذا التعجّب يجعل من البيك إنساناً ذا مصلحة، ثم أنه يطلق اسم آهر على سيدي الصيد،أي أنه طارقي الأصل وهذا ما لم نجده في الحوليات الليبية[4]، أي أن الروائي يجعل من الطوارق أهل فضل على البيك أحمد مرتين؛الأولى عند انقاذه من الموت، والثانية عند زواجه من زينوبة.

يقول الكوني :

"هلك في تلك الغزوة جنده،وتشتت شمله، فاستنجد بتمائمه المجوسية التي كان يروق له أن يردّدها من حين لآخر"[5].

علمنا مما سبق أن الكوني يذكر علي المكّني الصنهاجي، ويقول إنه مجوسيّ وهذه مغالطة مجافية للحقيقة التاريخية ؛لأننا لم نجد ما يؤكد هذا القول في الحوليات الليبية[6]،هذا وقد رأى البيك من اللازم أن يكون هو على رأس جيشه لإخماد الثورة التي ترأسها علي المكني،والذي ادعى أنه المهدي،ولكنه لم يك مجوسياً[7].

يقول الكوني :

"استعاد القره مانلي المكوس التي كان نبي الزور قد استولى عليها من القافلة القادمة من أوجلة"[8].

فيما سبق يذكر أن القافلة قادمة من أوجلة ،وهي من خيال الروائي ذلك

---

[1] - إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص164.
[2] - ينظر شارل فيرو،الحوليات الليبية،ص304.
[3] - ينظر منصور علي الشريف،عائلة المكني،ص89 - 104.
[4] - ينظر شارل فيرو،الحوليات الليبية،ص304.
[5] - إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص171.
[6] - ينظر شارل فيرو،الحوليات الليبية،ص276 - 277.
[7] - ينظر رودلفو ميكاكي،طرابلس الغرب تحت حكم الأسرة القرمانلية،ص20 - 21.
[8] - إبراهيم الكوني،نداء ماكان بعيداً،ص171 .

أن الحوليات تذكر:

"واستحوذ أحمد القرمانلي على الخراج ،الذي كان علي المكّني قد جباه ،وقفل راجعا إلى طرابلس منتصراً "[1].وتبدو المغالطة أكثر وضوحا، وذلك عندما يذكر الروائي اسم المنطقة التي عاد منها البيك أحمد ؛ في حين أنه عاد من سرت[2]، التي لا تبعد

عن مرسى الزعفران[3].

يقول الكوني :

" تتحدث الروايات كيف فوجىء أحمد بك القرمانلي في ذلك اليوم بسبب صمود أسوار الواحة أمام قذائف مدافعه"[4].

يذكر الكوني حملة البيك أحمد على فزان ،ومدى اندهاشه بأسوارها ولكننا نجد الحوليات تذكر:

" وكتب لحملته أن تكون من أنجح الحملات، فإنها أدت إلى إخضاع جميع أطراف فزان بأقصى سرعة"[5].

وفي هذا مغالطة تاريخية فما ذكره من دهشته بصمود أسوارها ؛ نجد الحوليات الليبية لم تذكره،وما يؤكد هذا سرعة اقتحام مرزق واحتلالها[6].

كما أن القارىء يشعر أن الكوني حين ذكر قوة أسوار فزان؛ قصد صمود أهلها واتحادهم وما الأسوار إلا رمز لذلك.

يقول الكوني :

ما أن مزّق قبس الفجر ظلمات تلك الليلة العصيبة ليرى ذلك المغامر فرساناً قيل له إنهم أحفاد يوسف بن تاشفين... بدأت المفاوضات التي قضت بإخراجه من المدينة مصحوباً بأتباعه، ولكن بعد تجريده وتجريد مريديه من أي سلاح.[7]

يبدو فيما سبق أن الكوني قد بدأ بتعظيم صحراءه حين ذكر صمود أسوار مرزق؛

---

[1] - شارل فيرو،الحوليات الليبية،ص277.
[2] - ينظر رودلفو ميكاكي،طرابلس الغرب تحت حكم الأسرة القرمانلية،ص20.
[3] - ينظر محمود ناجي،تاريخ طرابلس الغرب،ص160 - 161.
[4] - إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص183.
[5] - شارل فيرو،الحوليات الليبية،ص277 .
[6] - ينظر رودلفو ميكاكي،طرابلس الغرب تحت حكم الأسرة القرملنلية،ص20.
[7] - ينظر إبراهيم الكوني،لون اللعنة،ص116.

لكي ينسج ثغرة يذكر من خلالها أهله الطوارق،وهذه الثغرة مفاجئة الباشا بصمود أسوار مرزق، وما أشبه مفاجئة الباشا بمفاجئة الفاسي بقوة الطوارق.

يقول الكوني :

"إذا وعدتني بأن ترافقني إلى الشمال فسوف أمكّنك من دخول الواحة"[1] .

علمنا مما سبق أن الكوني أراد أن يظهر هزيمة البيك أحمد قدر استطاعته لدرجة أن جعله فيها يعتمد على خداع سليلة أمم الصقالبة؛ لكي يدخل للواحة وهذا لم يرد ذكره في الحوليات الليبية[2]،كما وجدنا ما يؤكد سرعة احتلال فزان[3].

ولكن دون مساعدة من سليلة الصقالبة التي ذكرها الكوني[4].

يقول الكوني :

أما الأمير فقد أمر باحضار سليل الظلمات الملقّب بـ" لون اللعنة"... أومأ الناصر للخدم فهجم عليه زنجيان في قوة الأسد وحملاه كأنه قطعة قشّ خارج البلاط ،ولم يمض وقت طويل حتّى سمع الأمير جسم الوغد وهو يرتطم بمياه البئر[5].

فيما سبق يذكر الروائي، ما قام به أمير فزان لشخصية غير معروفة،و لابد لها أن تكون من خياله، لأننا بعد تتبعنا لما تذكره الحوليات الليبية[6] لم نجد له أي ذكر.

يقول الكوني :

"وجد نفسه يلتجيء إلى هذا البيت في ذلك اليوم الذي عاد فيه من رحلة الصحراء " التي لقّن فيها مملوك فزّان درسا " مصحوبا بالفتى ليستودعه أمانة في عنق صاحبة البيت"[7].

يذكر الكوني ما قام به البيك أحمد من تبنيه ،لطفل من فزان واستيداعه عند امرأة عجوز، ولكن ما رواه عن العجوز وأصل الطفل هو من خياله، لأننا وجدنا

---

[1] - إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص185.
[2] - ينظر شارل فيرو،الحوليات الليبية،ص277 - 278.
[3] - ينظر رودلفو ميكاكي،طرابلس الغرب تحت حكم الأسرة القرمانلية،ص20.
[4] - ينظر ن.إ.بروشين،تاريخ ليبيا في العصر الحديث،ص115.
[5] - ينظر إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص193.
[6] - ينظر شارل فيرو،الحوليات الليبية،ص277 - 278.
[7] - إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص216.

الحوليات تذكر:

" ابنه بالتبنّي البك عبد الله،البالغ من العمر أحد عشر عاماً"[1]

أي ما يؤكد تبني الباشا له ولكن ما الذي يريد أن يقوله الكوني عبر ذكره لتّبني

هذا الطفل ؟ ولماذا تبناه من فزان دون سواها؟

يقول الكوني :

" ولكن هل تلقون بأطفالكم في وجوه أعدائكم أحياء لتلهوهم عنكم ،أم لمجرّد النية في التخلّص منهم كما فهمت من قولك منذ قليل ؟الحق أننا نفعل ذلك بقصد التخلّص منهم، فإذا أربكوا العدوّ وأعموه عناّ كان ذلك هو فضيلتهم الوحيدة "[2].

يفهم من ذلك أن الروائي يروي حواراً دار بين البيك أحمد وأحد الآباء وهو في طريقه إلى فزان ،وفهمنا أن أهالي فزان عند تعرضهم للحروب يتخلّون عن أبنائهم، كما علمنا أن الكوني يجعل أهالي فزان مساوين للحيوانات التي من السهل عليها التخّلي عن أبنائها، عندما تتعرض للخطر وهذا بالطبع غير صحيح ومخالفُ لطباع البشر لأن الأنسان ذو عاطفة قوية،وبالذات كلما قلّ العدد ونحن نعلم مدى قلة عدد سكان الصحراء أنهم أكثر حنوا وحنانا على بعضهم؛كما أننا لم نجد ما يؤكد هذا الخبر[3] في حملة البيك لفزان أي أن الكوني قد وظف خياله في الاستنقاص من قدر أهل فزان لغاية في نفسه.

يقول الكوني :

"هذا الصغير اسمه"مسي" .التقيته في رحلتي الأخيرة إلى الصحراء فرافقني ليكون لي عزاء في غربة الزور!"[4]

علمنا مما سبق أن الكوني، يذكر ما دار بين البيك أحمد وحلومة الطرابلسية ووجدناه قد غالط فيما ذكر عن هذا الحوار لأننا لم نجد ما يؤكده[1]؛ أما ما ذكره عن اسم اسم الطفل "مسي" فهذا الاسم طارقي،وما ذكرته الحوليات عنه أن:"ابنه بالتبنيّ البك

---

[1] - شارل فيرو،الحوليات الليبية،ص304.

[2] - إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص224.

[3] - ينظر الصادق النيهوم،تاريخنا،الجزء الخامس،ص207-217.

[4] - إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص234.

عبد الله"[2].وعلى هذه فهو يغالـط الحقيقة التاريخية أثناء محاولته أن ينسب هذا الطفل للطوارق أطـلق عليه اسم "مسـي" ؛والسؤال الذي يـطرح نفسه هـنا:

لماذا يـتدارك الكونـي أبسط الثغرات لينسج من خلالها انتماءه للـطوارق و إعلاءَه مكانـتهم؟ أهو الحنين لنسبه أم العصبية؟

يقول الكوني :

"عليّ يردد في مجالسه أن بقـاء مولاي في العرش رهيـن بأمواله،ويوسف يردّد في مجالسه أن بقاء مولاي في العرش رهين بسيفه**!** "[3].

يتضـح أن الكونـي ؛يروي ما قالـته حلومـة للـبيك أحـمد عما قـاله الأخـوان عنه ولكنـنا لم نجـد ما يثبـت صحة ما رواه[4] ؛أي أنها فرصة اغتنمها لكي يذكـي الرواية بخياله.

يقول الكوني :

" الرايس هـذا هو من استغلّ غيبته عن الإيـالة أثناء الحملة على "فزّان" واندلاع نار الفتنة التي أشـعلها ثنائـي الخيانة الترياقـي والأدغـم ، فجمع المغامرين والسفـلة وقطّـاع الطرق ليكّون منهم جيشا للنهب والسلب "[5].

يشعر القارىء،أن الكونـي جعل من الرايس كبير قطّاع الطـرق ،لأنه ذكر أن جيشه مكوّن منهم؛ولم نجـد ما يثت أنهم قطـاع طـرق ذلك لأنهم بعض من بني علـوان الثائرين[6] و هـذا ما يجعلنا نتساءل ما الذي يدفع الكوني لوصف الرايس بهذا الوصف الفظيع ؟.

يقول الكونـي:فبعث برسـول إلى الشيخ طالـبا تسليمه ... ولكن زعيم المحاميد ردّ عليه بقرطـاس اختـطّ فيه عبارة مبتسرة،ولكنها قاطعة[7].

---

[1] ـ ينظر محمود ناجي،تاريخ طرابلس الغرب،ص160-161.
[2] ـ شارل فيرو،الحوليات الليبية ص 304 .
[3] ـ إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص236.
[4] ـ ينظر رودلفو ميكاكي،طرابلس الغرب تحت حكم الأسرة القرمانلية،ص10.
[5] ـ إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص240 - 241.
[6] ـ ينظر أحمد بك الأنصاري،المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب،لاتوجد طبعة،سنة النشر1984،الناشر،دارف المحدودة/لندن ـ المملكة المتحدة،ص288.
[7] ـ إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص241.

يذكر الروائـي ما قام به البـيك أحمد من مطالبته بابن الرايس حين احـتمى بزعيم المحاميد ؛ وذكر إرسـال الزعيم إلى البيك مكتوبـا،ولكنا بعد اطلاعنا على التذكار[1]،

وجدناه لم يذكر احتـماء ابن الرايس بزعيم المحـاميد ،لأن ابن الرايس بقى في فلـه لنواحـي نفوسة يتقلب مع أعراب المحاميد[2]؛ما يجعلنا نؤكد أنَّ هذين الخبرين هما من نسج خيال الروائي ،ولا يمتان للحقيقة بصلة.

لاحظـنا مما سبق أن الروائـي جعل من زعيم المحاميد حامي حمى المتـمردين في كل مرة ففي المرة الأولـى؛ حين حمى البـيك أحمد، والمرة الثـانية حين حمى ابن الرايس من البيـك .

يرد هنا تسـاؤل :لمـاذا يجعل الكونـي هذا الدور مقتصراً على زعيم المحاميد دون سواه؟

فنحن نشعر في وصفه بصيغة الإجلال..

يقول الكونـي :

"وكي يدلّل زعيم المحاميد على سجيّته هذه امتطى جواده في اليوم التالـي وأقبل عليه وحيدا دون جيش أو أعوان لـيقدّم له التعازي في مصابه في عقـر داره ،كأنه يريد بهذا الفعل البطولـي أن يقول : "لـقد أعطيت بجوابي ما لقيصر لقيصر، ولكني أقبل عليك لأعـطي ماالله لله، فإذا كنت لا تصدقني فتستطيع أن تأخذني رهينة مقابل ولـد الرايس!"[3].

علمنا مما سبق أن الكوني، يذكر ما قـام به زعيم المحاميد من تقديمه العزاء للبيـك أحمد في أخيه شعبان بك ،بينما نعلم ما قام به هذا الزعيم في حماية قاتل أخ البيك ابن الرايـس ؛ ذلك لأنـنا قد وجدنـا أن قاتـل شعبان بـك هو ولـد الرايس[4]، كما أن الحوليات أكدت :

[1] ـ ينظر ابن غلبون،التذكار،ص245 ـ 248.
[2] ـ ينظر أحمد بك الأنصاري،المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب،ص288.
[3] ـ إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص242.
[4] ـ ينظر رودلفو ميكاكي،طرابلس الغرب تحت حكم الأسرة القرمانلية،ص27.

"وكان هذا القاتل ـ ويدعى ابن الرايس "[1]ما نجده هنا هو تصريح بقاتل شعبان بك أي أن الروائـي لم يغالـط الحقيقة التاريخية حين ذكر اسم هـذا القـاتل؛ بينما علمـنا

أن ما قام به زعيم المحاميد حسب ما روى الروائـي عن حمايـته للمستجير وتقديم نفسه رهينة بدلا عنه لهـو البـطولة ذاتها.

ولكـن الروائـي قد غالط الحقيقة التاريخية، حين ذكر موقف زعيم المحاميد البطولي لأنـنا لم نجد في الحوليات ذكرا له،فهو من قبيل خياله كما عودنا.

يقول الكوني :

" لقـد قررت أن أعفـي رئيس بحريتي من منصبه عقـابا له على خرقه للـمعاهدة الموقعة بين بـلدينا!"[2].

يتضح مما سبق أنه؛يذكر قرار البـيك أحمد في عزلـه لرئيس بحريـته ولكن هـذا القرار لم يثبت[3]؛ أي أن ما رواه الكوني كان لإثراء روايته بخياله.

يقول الكونـي:

حلّومة دائما مهمومة. حلّومـة مهمومة بالأضياف الذين لاينقطعون عن زيـارتها كل ليلة... ويترنّح الرجـال مع ايقـاع الطبول يمنة ويسرة وهم يتجرعون سوائل مريبة في كؤوس جميلة ويردّدون وراء المغنية الألحان[4].

إن الكونـي يصف بيت حلومة الطرابـلسية بالملـهاة و ذلك حين ذكر قدوم الرجال، والشراب المريب" الخـمر "،ووجود المغنية، ما جعلـنا ندرك أنه أراد ذم أخلاقيـات حلومة وبيتها، لعل ذلك بسبب مكـانتها عند البيـك أحمد وثقته بها، ولعلـه بذلك يذم أخلاقيات البيك شخصياً ،وهـذا بالطبع من خياله الروائي لأننا بعد تتبعنا للشخصيات التاريخية وجدنـا حلومة زوجـة علي باشـا وأم ولديه الحسن ويوسف[5]، ولم نجد ما يثبت أن ما ذكره الكوني من أخلاقها.

---

[1] ـ شارل فيرو،الحوليات الليبية،ص284.

[2] ـ ابراهيم الكوني ،نداء ما كان بعيدا ص251.

[3] ـ الصادق النيهوم،تاريخنا،الجزءالخامس،ص58-61.

[4] ـ ينظر إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص256.

[5] ـ ينظر ريتشارد توللي،عشر سنوات في بلاط طرابلس ،ترجمة:عمد الديراوي أبوحجلة،لاتوجد طبعة،لاتوجد سنة النشر،الناشر/مكتبة مكتبة الفرجاني،طرابلس ـ ليبيا،ص47.

يقول الكونـي :

"الولـد أفـاد بـأن الفاعل رجل أكتع رآه برفقة وجهاء الإيـالة الذين يترددون على

حلّومـة مرارا ،وقد كشفت تحريّات الشّـرط أن الرجـل لم يكن سوى أحـد خـدم المكّني !"[1].

إن الحوليات لم تذكر حلومة[2]؛مما يؤكد أن الكونـي غالط الحقيقة التاريخية في ما قاله عنها وأطلق العنان لخيالـه، حين ذكر مقتل حلّومة وقاتلها، الذي جعله المكّني، وكأنه أراد أن يكمل نسيج خيالـه الذي بدأه حين ذكـر أن حلّومـة من أخبرت البـيك عن أقـوال الأخوين المكّني.

يقول الكوني :

جاءه مرابط الصحراء شفيعا.قـال إنه لم يـأت لطلب الرحمة للأخوين المكّني...أعلم أن عليّا المكّـني جـدّ ذريّـتك ،ويوسف عمّ امراتك[3].

وهكذا نرى أن الكونـي يذكر ما قام به سيدي الصيد، حين ذهب للـبيك أحمد يطالبه الصفح عن الأخوين؛ذلك لما يربطه به من قرابة.

ولكن هذا القول لم نجد ما يثبته[4]؛ أي أنه من مغالطات الكوني.

هـذا و نلاحظ أن في كل مرة يذكر فيها الكونـي سيدي الصيد يكون دوره خادمـاً للخير ومناصرا للحق؛ لعل لأنه طارقي !.

يقول الكوني :

"لقـد تم تنفيذ الحكم فـجر هذا اليـوم "[5].

يفهم من ذلك أن الكونـي يذكر تنفيذ حكـم الاعـدام في الأخوين وذلك حسب أمـر البيك أحمد ،وهذا القول يُعد مغالـطة من الكونـي، لأننا وجدنا منصور الشريف عند دراسته لعائلـة المكّني يذكر أن تـاريخ وفـاة يوسف المكّني كان بين سنتي 1723

---

[1] - ابراهيم الكوني،نداء ما كان بعيدا ص262 .

[2] - ينظر شارل فيرو،الحوليات الليبية،ص284 - 304.

[3] - ينظر إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص263-264.

[4] - ينظر ن.إ.بروشين،تاريخ ليبيا في العصر الحديث،ص107 - 115.

[5] - إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص266.

ـ 1724 دون أن يذكر أنه مـات بحكم الإعـدام لما تمثله هذه الشخصية من أهمية تاريخية؛التي ليس من السهل إغفالهـا،كما نجده يذكـر أن أحمد باشا كان يطلق عليه

لقب صاحب السـعادة أي أنه كان يقـدّره وليس من السهل إصدار هذا الحـكم ؛ لما يحمله من تناقض[1].

يقول الكوني :

" وبلـغ بهم الحقد حدّا دفعهم لأن يهجموا على شيخنا الجليل سعيد الدامومي قاضي القضاة ومفتي الديار،فحلقوا لحيته بعد أن أشبعوه ضربا"[2].

فيما سبق ذكر الكوني أن النصارى ؛أسروا الحجيج الطرابلسيين الذين كانوا موجودين في ميناءالمدينة القديمة بروما وقاموا بضرب وإهانة القاضي[3]؛ ولكن الكوني قد غالط هنا عندما ذكـر أن اسم القاضي هو سعيد الدامومي، لأننا وجدنـا الحوليـات الليبية تذكر ما أصيب به الحجيج الليبيين من إذلال من النصارى؛ ولكنها لم تذكر اسم هـذا القاضي تقول :

"وكان من بينهم أحد القضاة وقد أخبروه في رسالتهم بأنهم ضربوا بالفلقة،بل إن إذلال النصارى لهم وصل حتى إلى حد حلقهم للحية القاضي"[4]

مما سبق يتضح لنا،أن الكونـي قد ذكر اسم أحد أكابـر المحاميد؛ مما يجعلنا نتساءل لماذا ذكر اسم أحد أكابر المحاميد دون سواهم؟

هذا ويشعر القارىء أن الكوني أراد أن يقول إن الإذلال والإهـانة، لابد أن تكون من نصيب المحاميد لا سواهـم ،كما يشعر القـارىء أيضاً بعداوته لهم لمساعدتهم للبيك أحمد.

يقول الكونـي :

"لن أجلس حتى تطلق سراح الرهبان أو تعتقلني بدلا عنهم!"[5].

---

[1] ـ ينظر منصور الشريف، عائلة المكني ،ص108

[2] ـ إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص267 ـ 268.

[3] ـ ينظر رودلفو ميكاكي،طرابلس الغرب تحت حكم الأسرة القرمانلية،ص26.

[4] ـ شارل فيرو،الحوليات الليبية،ص282.

[5] ـ إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص273.

فيما سبق يتضح أن الروائـي، أراد وصف مدى حرص القنصل على سلامة الرهبان ومن معه من المعتقلين لدى البيـك لدرجة أنه طالب بأن يعتقل بدلا عنهم،ولـكن هذا الحرص لا نجده في الحوليات حيث تذكر:

" فـاستلقى اكسبللى فوق أريكة بجانبه قائـلاً: "حسناً!...سأقضي ليلتي هنا على هذه الأريكة ،ولن أغادر القلعة إلا وبمـعّيتي الرهبان وفي يدي المفاتيح"[1].

مما سبق نتبين أن الكونـي ؛قد بالـغ في حرص القنصل واصراره عندما ذكر أنه سيبيت ليلته واقفا ويريد من البـيك أن يعتقله بدلا عنه،بينما علـمنا من الحوليات أنه جالس على أريكة مواجهة للبيـك أي أننا وجدنا اختلافاً في طريقة ضبط النفس التي تحلى بها القنصل ليضغط على البيك أحمد ، في حين أثبت تدخل القنصل اكسبللي في إطلاق سراح قساوسة الإرساليات[2]،ولكن دون أن يصل إلى الحد الذي وصفه الكوني.

يقول الكونـي :

"أمّا النفع الذي أراد القرمانلي أن يجنيه من وراء إثارة الزوبعة في وجه رسول الباب العالـي فهو، كما قيل، البلبلة!ذلك أن جواسيس الباشا كانوا قد أخطروه بنيّة السلطان في إرسال صاحب الدهاء المدعو "كاشوف" إلى ديار الإيـّالة لحمله على الاقتصاص من الشاوش"محمد صولو" الذي كان أوّل من سدّد الطعنة المميتة إلى صدر خليل باشا الأرناؤوطي"[3]

إن الروائي،يصف ما فعله البيك أمام رسول الباب العـالي؛كما ذكر اسمـي كل من رسول البـاب الـعالي "كاشوف" والشاوش "محمد صولو" ولكن هذا القول لا نجد ما يثبته في الحوليات الليبية،حين تذكر هذه الحادثة:

" فإن الباب العالـي قد أوفد للمرة الثالثة إلى طرابلـس..أحد ضباطه للمطالبة برأس الشاوش : إن الرأي العام قد اتهمه بأنـه هو الذي سدّد أول طـعنة قـاتلة إلى خليل

---

[1] - شارل فيرو،الحوليات الليبية ص283.

[2] - ينظر رودلفو ميكاكي،طرابلس الغرب تحت حكم الأسرة القرمانلية،ص26 - 27.

[3] - إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص276.

بـاشا الأرناؤوطي"[1]

نلاحـظ أن الحوليات لم تذكـر أسماء وإن اقتصرت على ذكـر الأحداث،و إن أصر الكوني على ذكرها؛ دون أن عرف دوافعه إلى ذلك ثم لاحظنا ما ذكـره الروائي عن يقينه من أن قاتل الأرناؤوطي هو محمد صولو بينما وجدنا الحوليات تذكر اتهامه من قبل الباب العالـي ؛ وكـلنا نعلم أن المجرم بريء حتى تثبت إدانـته،فمن أين جـاء الكوني بدليله ليثبت إدانة محمد صولو بهذه الجريمة ؟!.

رغم أن الحوليات ذكـرت الاتهام من قبل البـاب العـالي،فإنـنا لم نجد ما يثبت هذا القول[2] وما وجدنـاه هو ذكر خبر مقتل خليل باشا من قبل أحمد باشا[3].

يقول الكوني :

إلى جوار الضبّاط جـثا "محمد صولـو " على ركبتيه مقيّد القدمين ،مغلول اليدين...

وفي اليوم الثالث كان الشـاوش محمد صولو "يجلس في حانة " ترافيرسو" الواقعة في ميدان"مـاركوس أوريليـوس "يحتسي نبيدا إيطاليا فـاخرا[4].

علمنا مما سبق أن الكونـي ذكر ما فعله البيـك ؛بمحمد صولو عند مطـالبة البـاب العالي للقصـاص منه، ولكننا لم نجد ما يثبت هـذا الفعل،حيث تذكر الحوليات عـنه:

" تظاهر أحمد القرمانلي بالتعجيل في الامتثال لرغبـات السلطان ،إذ قبض فورا على ذلك الشـاوش ووضعه على ظهر مركب في حراسة اثنين آخرين من الضبـاط قيل أنه صدرت إليهما أوامـر مشددة بقـطع رأس الشـاوش عندما يُصبح المركب على بُعد أربعة أميـال من المدينة،ثم بـإلقاء جثته في البحـر.وعـاد الضابطان في اليوم التالـي حيث أعلنا في كل مكان أنه قد نفِّذ حكـم الإعـدام في ذلك الشاوش .. وقفل المندوب التركـي راجـعا بسفينته إلى الأستـانة ،غير أنه ما أن توارى حتى ظـهر الشاوش"[1].

---

[1] - شارل فيرو،الحوليات الليبية،ص282.

[2] - ينظر الصادق النيهوم،تاريخنا،الجزء الخامس،ص56 - 71.

[3] - ينظر ن.إ.بروشين،تاريخ ليبيا في العصر الحديث،ص111.

[4] - ينظر إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص281- 282.

يتبين لنا مما سبق ذكره أن الكونـي؛ وافق الحقيقة التاريخية حين ذكـر قبض جنود البيك أحمد على محمد صولو منفذيـن لأمر قتله، إرضـاءً من البيك للباب العالـي،
ولكننا لاحظنا؛أن الروائـي أغرق محمد صولو في نعيمٍ من خياله ؛حين ذكر أنه في حانة ويشرب نبيدا فاخرا ؛نلاحـظ التناقض بين حكـم الموت وإذلالـه بالقيود، وما عاشه من سعادة بعد ذلك بأمر البيك، لعل الكونـي قصد تصوير خداع البـيك للباب
العالي واستهزاءه بمطالبه[2]؛ ولعله قصد مكافأة البيك لمحمد صولو عن ما أتّهم به،من الأستـانة ذلك ليوضح الكـوني مدى سعادته بمقتل خليل باشـا الأرناؤوطي.
يقول الكوني :
"فقد أعقب سفر رسول الإنجليز وصول المندوب الفرنسي الذائع الصيت"دوزو"رسولا من ملك فرنسا لـتوقيع معاهدة سلام جديدة بين البلدين"[3]
سبق أن ذكر الروائـي وصول مندوب فرنسا لطرابلس ليوقع معاهدة جديدة مع البيك أحمد ،اتضح لنا أن الكونـي لم يغالط في هذه الحقيقة التاريخية لأننا وجدنا الحوليات الليبية تذكر مجيئه لطرابلس لهذا السبب حيث تذكر:
" وفي شهر مارس سنة 1720 ، توجه مندوب آخر من طرابلـس، مجدّدا إلى باريس للعمل على الحفاظ على حالة السلم بين البلدين. وترتب على تلك الزيـارة إيفاد فرنسا لمبعوثـها،المطـلق الصلاحيات، (دوزو Dusault)، مـرة أخـرى،حيث أبـرم مع طرابلس،باسم بلاده،معاهدة جديدة في الرابع من يوليه سنة 1720 "[4]
أزدادت مغالطة الكونـي وضوحا،لأنه ذكر مجيء مندوب فرنسا وحرصه على إبرام معاهدة جديدة مع طرابـلس؛وكـأنه يريد القول بأنه يخشى فقدان العلاقة مع الإيـّالة لمكانتها لدى فرنسا، ما يجعلنا نقول إن من بادر للذهاب إلى فرنسا هو مندوب الإيّالة؛ أولاً في حين أعقبها مجيء مندوب فرنسا إلى طرابلس [5].

---

[1] ـ شارل فيرو،الحوليات الليبية ص282 .
[2] ـ ينظر رودلفو ميكاكي،طرابلس الغرب تحت حكم الأسرة القرمانلية،ص39.
[3] ـ إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،286.
[4] ـ شارل فيرو،الحوليات الليبية،ص282.
[5] ـ ينظر محمد الهادي أبوعجيلة،النشاط الحربي الليبي في البحر المتوسط،ص130 - 131.

يقول الكوني :

وما أن اعتلى السفير "دوزو" متن سفينته حتى فوجىء بأنها قد تحولت إلى مدينة رومانية تنتصب في كل أركانها تماثيل منحوتة من المرمر الأخضر... ولم يكن ذلك المتحف الذي فاز به رسول ملك فرنسا "دوزو" في تلك الرحلة التاريخية سوى آثار مدينة "لبدة"[1].

يتبين لنا مما سبق،أن الكوني يجعل من البيك أحمد غير مبالٍ بتاريخ الإيّالة الطرابلسية؛ حين ذكر أنه قدّم آثار مدينة لبدة هدية لمندوب فرنسا "دوزو" لأن الآثار لدى من يقدّرها؛ لاتقدم هدية مهما بلغت درجة الصداقة.

كما أننا لم نجد ما يثبت صحة ما ذكره الكوني[2]؛ عن هذه الآثار، مما يجعلنا نتساءل عن سبب وصف الكاتب للبيك أحمد بهذا القدر من اللا مبالاة ؟!.

يقول الكوني :

" فهو لم يطأ هذا البيت منذ أن كتم الطاعون أنفاس المدينة فمنعه القره مانلي خوفا من الوباء"[3].

إن الكوني يذكر إصابة طرابلس بوباء الطاعون ، وهذا ما ذكرته الحوليات الليبية أيضاً :

" في شهر يونيه سنة 1733 تفشى الطاعون في طرابلس وفتك بالناس فتكا شديدا سواء في المدينة أو في السواحل"[4].

أي أننا علمنا أن الكوني لم يغالط في ذكره لإصابة طرابلس بالطاعون،ولكنه ذكر خوف البيك على ابنه بالتبني"مسي" ،كأنه يريد ذكر حرص البيك على سلامة الطوارق؛ بينما لم نجد مايؤكد حرص البيك على سلامة ابنه بالتبني"عبد الله ".[5]

---

[1] - ينظر إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص286 - 287.
[2] - ينظر محمود ناجي،تاريخ طرابلس الغرب،ص160 - 161.
[3] - إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص291.
[4] - شارل فيرو،الحوليات الليبية،ص298.
[5] - ينظر الصادق النيهوم،تاريخنا،الجزء الخامس،ص58 - 61.

إن حرص البـيك على ابن الطـوارق هو في الحقيقة حرص الكونـي لا البيك ذلك لمعرفتنا بنسبه لهم.وإنما أتخذ حرص البيك ثغرة لما يجول في نفسه.

يقول الكوني :

" ولهذا وجد المسيو "مارتـان" MARTIN في تلك المواجهة التاريخية مع القرمانلي حرجاً لم يعرفه يوماً."[1].

علمنا مما سبق أن الكونـي ؛يصف ما أصاب "مارتان" MARTIN من حرج عندما قابل البيـك لعل قصد الكونـي شدّة هيبة البـيك أحمد ،أو لكي يصف تفـاهة الأمر الذي جعل "مارتـان"يقـابله، ولكن ما ذكـره عن مصاب "مارتان" لم نجد ما يؤكده[2]

أي أنها بذرة من خيـال الكونـي التي يحاول إنماءهـا من خلال هـذا الحرج،والتي لعل يكون أصلها السخرية إذ قصد شدة هـيبة الـبيك لدى "مارتان".

يقول الكوني :

" فـليسمح لي سعادة الباشـا أن أُذكّـره بأن هذا القرصـان هو الذي استصدر الباب العالي بشأنه فرمانـا يقضي بإعدامه نزولا عند طلب صاحب الجلالة ملك فرنسا!"[3].

أن تذكير سفيـر فرنسا للبـيك بطلبه إعـدام القرصان بعد أن أصدر الباب العالـي فرمانـا؛ جاء بعد مطالبة ملك فرنسا أولا باعدامه ،ولكن الحوليات الليبية تذكر :

" وعده بقتل القرصـان المذكـور لم ينفذ[4] ،بالرغـم من أن السلـطان العثمانـي نفسه كان قد طالب برأسـه بموجب فرمـان خاص تحصل عليه عندئذ السفير الفرنسي في الآستانة ."[5]

يتبين لنـا أن المغالطـة التاريخية تكمن في مطالـبة البـيك بإعـدام القرصان أولا حيث علمـنا أن الكونـي يجعل فرنسا أول من طالبت بذلك فأصدر البـاب العالـي فرمانـا بإعدامه،وهذا القول من خيال الكونـي لأنـنا وجدنا أن الباب العالي هو من

أراد هذا الحكم وهو ما وافق رغبة فرنسا[1].

[1] ـ إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص328.
[2] ـ ينظر رودلفو ميكاكي،طرابلس الغرب تحت حكم الأسرة القرمانلية،ص38- 39.
[3] ـ إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص335.
[4] ـ ينظر رودلفو ميكاكي،طرابلس الغرب تحت حكم الأسرة القرمانلية،ص39.
[5] ـ شارل فيرو،الحوليات الليبية،ص286.

لعل قصدَ الكونـي مما رواه هو توضيح مكانة فرنسا عند الباب العالـي.

يقول الكوني :

"" الشيطان " ينتظر إذن مولاي بالدخول ! "[2].

قدوم القرصان للبيك حدث تاريخـي من خيـال الكونـي؛ لأنه لم يذكـر[3]في كتب التاريخ.

لاحظنا أن الكونـي استغل دور القرصان؛ لكي يترك المجال لخياله في الرواية ،لعله علم أن هذا العنصر لم يشغل مكـانه المعتاد فيها؛ ذلك لأنه قد ذكر العديد من الحقائق التاريخية.

يقول الكوني :

كـان الوليد قد ترعرع ودبّ على قدميه. قـال بـبرود " أنت لست أبي،وهي الخادم التي اشتريتها في السـوق بقطعة حديـد! ".جئت بـهدي النبوءة لأنقذ صاحب النبوّة من الورطة في الوقت المناسب ![4].

يبدو فيما سبق أن الكونـي حين روى عن القرصان جعل منه شيطانـاً، من نـاحية إغراقـه للسفن،وحين روى عن الطفل جعل منه شيطاناً أيضاً لمعاملته لوالديه السيئة وبعد ذلك عـاد الكونـي لوصفه بالمنقذ ؛ حين أنقذ صاحب النبوّة في وقتٍ عصيب.

بعد تتبعنا لهذه الأدوار،لعله أصـاب حين وصفه في معاملته لوالديه ،ولكنه لم يصب حين جعل منه منقذاً، رغم إصرار الكوني على وصفه بهذا الاسم.

يقول الكوني :

" حرصـاً على وحـدة البـلاد التي وضعت الأقـدار زمـام أمرهـا بين يديَّ.

فأرملـةالأرنـاؤوطي لكسب أهـل المدينة،والتركية لـذرّ الرمـاد في عيون

---

[1] - ينظر محمد الهادي أبوعجيلة،النشاط الحربي الليبي في البحر المتوسط،ص137.

[2] - إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص338.

[3] - ينظر رودلفو ميكاكي،طرابلس الغرب تحت حكم الأسرة القرمانلية،ص39.

[4] - ينظر إبراهيم الكوني،لون اللعنة،ص39 - 40 ،112.

الجاليـة التركية وبقايا الانكشـارية،والجبلية لاسترضاء قبـائل الجبل، والدرنـاوية لاستمالـة أهـل برقة،فأي هذه النسـاء تريدني أن أطـلّق دون أن أزعزع البنـيان الذي شيدته بيديّ ؟"[1].

هذا ما ذكـره الكونـي على لسـان البيك أحمد لسيدي الصيد عندما أراد الزواج من ابنته،ولكن الحوليات تذكر:

" أحمد القره مانلي وحبه للنساء على الدوام مضرب الأمثال "[2].

أي أن الكونـي يتفق والحوليات الليبية ؛في حب البيك للنساء ،ولكن الحوليات لم تعدد زوجات البيك ولم تذكر أن لهن دوراً في امتلاك حكمه وحمايته.

في حين أننا بعد تتبعنا لأخبـار البيـك ،لم نجد مايؤكـد ولـعه وحبه للـنساء[3]أولاً، واتخادهن وسيلة لنيل الحكم[4].

بينما ذكر الكونـي أسماءهن وجعلهن أربعاً من مناطق مختلفة؛ لكي يجعل من أهلهن حماة عرشه، كما نجده يسخر من البيك حين جعلهن أساس بنيان عرشه.

يقول الكونـي :

وقفت الشقية أمام الأب سـاعة اختلى بها...أوصاها أيضا ألاّ تنسى أن تضع محتوى الصّرة في فمها وتبتلعه دفعة واحدة ما إن تطأ قدماهـا مخدع الباشا ... نزعت خيط الجلد فوجدت في الصّرة مسحوقا كئيباً تفوح منه روائح أعشاب مجهولة.[5].

إن الكونـي، ذكر ما حدث لابنة سيدي الصيد يوم زفافها ؛ حين قّدّم لها الوالد صرّة؛ تحمل مسحوقا لتموت به ،بينما نجد الحوليات الليبية تذكر:

" ردّ عليه المرابط قائـلا ان ابنته كان لديها ما يكفي من الأنفة ما يجعلها تقبل بـأن تتجرع من يديه قبيل رحيلها مشروبا مسمما"[6].

---

[1] ـ إبراهيم الكوني،نداء ماكان بعيداً،ص351 - 352.
[2] ـ شارل فيرو،الحوليات الليبية،ص302.
[3] ـ ينظر محمود ناجي ،تاريخ طرابلس الغرب،ص160-161.
[4] ـ ينظر ابن غلبون،التذكار،ص245 - 248.
[5] ـ ينظر إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص354 - 355.
[6] ـ شارل فيرو،الحوليات الليبية،ص304.

يتبين لنا مما سبق أن الكونـي؛قد نسج بخيالـه مرتين، المرة الأولى حين ذكـر أنها تنـاولت الصرة ما أن وصلت حجرة البـيك، في حين ذكرت الحوليات أنها تجرعت السم قبيل ذهابها إلى بيت البيك.

والمرة الـثانية ؛ حين وصف السم بأنـه مسحوق من أعشـاب مجهولـة ،في حين ذكرت الحوليات أن السم مشروب.

ما قاله الكونـي يجعلنا نتساءل:إذا كانت الفتاة قد ماتت منتحرة حين تناولت السم من والدهـا في روايـة الكونـي ؛ لمـاذا يغايـر الكونـي في نوع السم ووقت تناولها إياه ؟ إذا كان المضمون واحداً.

ثم إننا لم نجد ما يؤكد هذه الحادثة التاريخية[1] في حياة البيك أحمد سوى الحوليات ما يجعلنا نشك في صحتها.

يقول الكوني :

"حرروا بيانـا خطـيا موجـها إلى قنصل فرنسا في الإيالـة يقضي برفض المملكة الطرابلسية للإنذار الفرنسي شكلا وموضوعا**!**"[2].

يتـضح أن الكونـي ،ذكـر بيـان الباشـا القره مانلي الذي حررّه لقنصل فرنسـا والذي يتضمن رفض الإيالـة لإنـذار فرنسا، ولكن نجد الحوليات الليبية تذكر:

"وإذ أبلغ القنصل مارتـان بمضمون ذلك التصريح فـإنه توجه إلى القلعة على الفور للاحتجاج على تلك النوايا السيئة"[3].

يفهم من ذلك أن الكوني لم يغالط الحوليات الليبية؛ عندما ذكر أخبار القنصل الفرنسي، ولكنه غالـطها حين ذكـر أنه حرر بيانـاً خطـياً، لأن الحوليـات ذكرته تصريحا، والتصريح عـادةً يكـون شفـويا لا خطـياً، وما يؤكـد أنه شفـوي حين صـرح البيك بأنه لم يكن يرغب في تسليم الفرنسيين أي شيء ،وعندما علم القنصل"مارتـان"

[1] ـ ينظر رودلفو ميكاكي،طرابلس الغرب تحت حكم الأسرة القرمانلية،ص 5 ـ 89.
[2] ـ ابراهيم الكوني،نداء ما كلن بعيدا ص367
[3] ـ شارل فيرو،الحوليات الليبية،ص286.

بذلك احتج لدى الباشا[1].

يقول الكوني :

"بحر ليبيا مساء يوم 20 يوليو1728 المسيو بروش مستشار القنصلية الفرنسية فقد استأذن الباشا بالتوجه إلى دار القنصلية و لكن القره مانلي لقن النذير وصية يطوف بها شوارع المدينة تقول "كل الرعايا الأجانب،بما في ذلك الأسرى ورهبان الإرسالية،هم أمانة في أعناقنا، والتعرض لهم بالسوء هو مساس بالدين،علاوة على أنه إهانة موجهة للباشا! "[2].

يتضح في بادىء الأمر أن الكوني لم يغالط حين ذكر استشارة القنصل الفرنسي للباشا، وإعطاءه الإذن بالتوجه للقنصلية،حيث نجد الحوليات الليبية تقول :

"أما مستشار القنصلية الفرنسية بروش BROCHE الذي كان محتجزا بالمدينة - فقد سمح له بالتوجه إلى دار القنصلية الفرنسية في صحبة حراس لضمان عدم تعرض الناس له"[3].

إن مغالطة الكوني، تكمن في ذكره الوصية التي لم نجد لها ذكراً[4]،أي أنها من خياله الروائي.

لعل الكوني قصد حماية الباشا لهؤلاء الأجانب هو خوفه من بلدانهم ، لذا أكد الكوني شدة حماية الباشا لهم بهذه الوصية.

يقول الكوني:

"في الساعة الثامنة من مساء اليوم نفسه بدأ القصف مساء يوم 20 يوليو 1728 استمر القصف طوال الليل ،ولكن سادة الإيالة لم يفلحوا في اقناع الباشا بالانتقال إلى المخيم إلا في صباح اليوم التالي بعد أن حوّل القصف المدفعي المستمر جناحه بالقلعة إلى أنقاض "[5]

---

[1] - ينظر محمد الهادي أبو عجيلة،النشاط الحربي الليبي في البحر المتوسط،ص138.
[2] - إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص385 - 386.
[3] - شارل فيرو،الحوليات الليبية،ص290.
[4] - ينظرن.إ.بروشين،تاريخ ليبيا في العصر الحديث،ص121.
[5] - إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص386 - 389.

ذكر الكونـي فيمـا سبق،مـا حدث أثـناء قصف الإيـالة من السفن الفرنسية،ومدى إصرار الباشا أحمد على البقـاء في القلعة ،وهذا لم تذكره الحوليات الليبية حين تذكر هذه الحادثة:

" وقعت أول قنبلة داخل القلـعة ،الأمـر الذي اضطر الباشا إلى مغادرتها والخروج للتخييم عند السهل الواقع بين المدينة والواحة"[1].

تتضح لـنا مما سبق مدى مغالـطة الكونـي التاريخية ،ذلك لأن الحوليات لـم تذكر إصراره على البـقاء في القلـعة في حين ذكرهـا، جعل منه بطلاً بينما لم نجد هذه البطولة في الحوليات.

هذا وقد وجدنا ما يؤكـد ذكر الحوليات حين سقطت أولى قنابـل الأسطول الفرنسي على القلـعة، واضطّر الباشـا إلى معـادرتها لمعسكر خـارج أسـوار المـدينة[2].

نستنتج من هذا القول شدة مغالطة الكوني للحقيقة التاريخية.

يقول الكوني :

نجا " الخنّاس " بحيلة... انتهز اللئيم الفرصة فقفز على جواده واستنجد بالخـلاء[3].

يبدو فيما سبق ،الأمر أكثر وضوحاً، في فرار الفاسي بعد هزيمة جيشه الذي غالـط الكونـي حقيقته التاريخية،لأن الفاسـي من القوة لدرجة أن أهـل فزان استعانوا به لانقاذهم من جور حكامهم، ولحسـم الخلافـات التي كانت بين الطوارق والخرمان، وذلك بتنصيبه سلطاناً عليهم سنة 1550م[4].

بينما وجدنـا الكونـي لم يروٍ فرار البـيك أثناء القصف ما يؤكـد موقفه من البيك.

يقول الكوني :

"كان اليوم الذي أعقب قصف الليل العنيف عرسـا حقيقيا وقد تعمد الباشا أن يستخف بقصف الفرنسيين اليـائس طـوال صبيحة ذلك اليوم حتى إنه لم يجد حرجـا في أن

---

[1] - شارل فيرو،الحوليات الليبية،ص290.

[2] - ينظر رودلفو ميكاكي،طرابلس الغرب تحت حكم الأسرة القرمانلية،ص50.

[3] - ينظر إبراهيم الكوني،لون اللعنة،ص142 - 143.

[4] - ينظر رجب نصير الأبيض،مدينة مرزق وتجارة القوافل الصحراوية خلال القرن التاسع عشر،الطبعة الأولى،سنة النشر1998، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية،ليبيا،ص50 - 51.

يقترح استدعاء القائـد دي جرانبري ليشاركهم طـعام الولائـم قبل أن يواصل في المساء قصف المدينة "[1].

علمنا مما سبق أن الكوني،أراد أن يصف مدى سخرية الباشا بالفرنسيين ،وفي ذات الوقت لاحظنا مدى اغراقـه في خياله الروائـي، لدرجة أفقد خياله رونق الرواية، ما جعلنا نتساءل:كيف لعدو يقصف ومتضرر أن يقيم أعراسا؟.

لماذا يقيم الباشا الأعراس أكان هو المهاجم المتأكد من هزيمة خصمه؟.

ولكن في المقابل أكان على الكونـي أن يوظف خياله ،في وصف حماسة الباشا لبث روح العزيمة بين سكان الإيالة !.

لعل الكوني قصد بهذه المفارقة شيئا آخر!...

يقول الكوني :

"لأن شظية أصابت الأمير الفرنسي (دي بوفـوا) في رقبته فتبين له نزيـفُ حاد لم يفلح أطباء الباشا في إيقافه إلا بعد كفاح باسل"[2].

ذكر الروائـي هذه الحادثة ،ولكننا لم نجدها في الحوليات الليبية؛كما لم نجد لها ذكراً في كتب التـاريخ التي اعتمدت عليهم الحوليات ،والتي فصلت أحداث الحـرب ضد الإيالة الطرابلسية وذكرت قلة الخسائر في الأرواح[3].

أي أنها من خيالـه لعله ليذكر شدة قصف القوات الفرنسية للإيـالة ،لـدرجة إصابة السجون ومن فيها بالأضرار.

يقول الكوني :

" أمر الباشا باستدعاء أعضاء الديوان وأكـابر المدينة والتجار وأعيان القبـائل، تكلم الباشا يومها فقال باقتضاب بأن النصارى يريدون الصلح "[4].

---

[1] - إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص391.

[2] - إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص398.

[3] - ينظر رودلفو ميكاكي،طرابلس الغرب تحت حكم الأسرة القرمانلية،ص50- 51.

[4] - ابراهيم الكوني ،نداء ما كان بعيدا ص401 .

مما سبق وجدنا الكـوني ذكر ما قام به الباشا عند ما طالبه الفرنسيون بالصلح حين اجتمع بأعضاء ديوانه،ولكن الحوليات الليبية ذكرت :

" وكـان السيد دي جرانبري في رسالـته يحث الطرابلـسيين على قبـول الصلـح. فاستـدعى القرمانلي كبـار موظفـي الولاية وأكابـرها وأعيـانها لإطـلاعهم على محتواهـا.ونصح آغـا القوات بقبول الصلحِ تفـادياً للاضطرار فيما بعد إلى قـبول شروط أشد إجحافاً"[1].

لقد غالـط الكونـي الحقيقة التاريخية ؛ حين ذكـرعبارة(تكـلم الباشا) بينما ذكرت الحوليات الليبية عبـارة (لاطلاعهم على محتواهـا)، وقد أُثبِت ورود هـذه العبارة[2] نجد أن الكونـي اقتضب في ذكره لقول الباشا دون أن يذكر أمر الرسالـة والاطلاع عليها،وهنا تكمن المغـالطة رغم أن المضمون في إعـلام أعضاء الديوان وطلـب الفرنسيين الصلح واحدً.

يقول الكوني :

" أن الماركيز دانتان قـدم للـباشا مسدسا فريـدا دقيق الصنع مُوَشَّـى بالذهب هدية رمزية من الجانب الفرنسي"[3].

إن ما ذكره الكوني عن هدية الماركيز للباشا يعد من خياله الروائـي ذلك لأن خـبر هذه الهديـة لم تذكـره الحوليات الليبية[4]،كما أننا لم نجـد من المؤرخين من ذكره[5]، ما يجعلنا نتسـاءل: ما قصد الكـاتب من هذه الهدية ؟ولمـاذا كانت الهديـة مسدساً دون سواه؟ولماذا ذكر أنها من الماركيز الفرنسي دون غيره من الرسل ؟.

كثرة التساؤلات هذه لابـد أن تكـون لها إجابـات ، سواء أ كانت في ظلال سطور الرواية أو أنها باقية في نفس الكوني!.

يقول الكوني :

كانت قارورة في حجم الإبهام... فتح سدّادة فوهتها ساعة تلقـاها من العم سليمان[1].

[1] ـ شارل فيرو،الحوليات الليبية،ص290.
[2] ـ ينظر محمد الهادي ابوعجيلة،النشاط الحربي الليبي في البحر المتوسط،ص143.
[3] ـ إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص409.
[4] ـ ينظر شارل فيرو،الحوليات الليبيةنص291.
[5] ـ ينظر ن.إ.بروشين،تاريخ ليبيا في العصر الحديث،ص107- 125.

يتضح أن الكوني روى عن هدية العم سليمان لمحمد باشا ؛وهي قارورة من سم كأنه أراد أن يؤكد نيل أحمد ومحمد باشا هدايا غريبة ،والتي تؤدي للموت أم أن الكوني فضل ما نسجه خياله حول هدية الماركيز للبيك،فآثر أن يُهدى محمد باشا هدية مماثلة لهدية والده ولكنها من العم سليمان.

يقول الكوني :

" أريدك أن تفهمه أنه ليس حاكما على عاصمة الصحراء فزان "[2].

فيما سبق نجد الكوني ذكر الحديث الذي دار بين الباشا وابنه محمد عن حاكم فزان،بينما لم نجد ما يؤكده[3] أي أن ما رواه الكوني من خياله.

لعله قصد من ذلك إذلال حاكم فزان وإهانته ،ذلك ما جعله يذكر هذا الحديث.

يقول الكوني :

" بعد قطع الطريق على الكنوز بعث إلى الناصر في قمقمه الخرافي رسالة تقول:

" لستُ في عجلة من أمري لأنه ليس لدي ما أفعله كأبي!وسوف أنتظر خروجك هنا إلى الأبد إذا استدعى الأمر ،لأني على يقين بأنك لن تستطيع أن تصمد في هذا الجُحر حتى لو تحوّلت فأراً "[4].

ذكرالكوني فيما سبق ما قام به محمد باشا حين وصوله إلى قلعة حاكم فزان حيث أرسل إليه رسالة يعلمه فيها أنه باقٍ في انتظاره مهما طال ذلك، بينما علمنا أن ما ذكره الكوني عن هذه الحادثة هي مغالطة تاريخية لأنها لم تذكر[5]،لعل قصد الكوني من إيرادها وصفه لشدة محاصرة حاكم فزان ،وبالمقابل شدة عزم محمد باشا في انتظاره مدى الحياة.

يقول الكوني :

"لم يطل مقام الناصر في جحره لأنه ما لبث أن بعث إلى الأمير محمد بالأولياء ليضعوا تحت قدميه رايات الاستسلام"[1].

---

[1] - ينظر إبراهيم الكوني،في مكان نسكنه في زمان يسكننا،ص170.
[2] - إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص426.
[3] - ينظر الصادق النيهوم،تاريخنا،الجزء الخامس،ص58 - 6.
[4] - إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص431.
[5] - ينظر محمود ناجي،تاريخ طرابلس الغرب،ص160 - 161.

ذكر الكوني ما قام به الناصر حين استسلم لمحمد باشا ،من إرساله لأوليائه،وهذه مغالطة تاريخية أخرى حيث وجدنا الحوليات الليبية تذكر :

" ولم يكن في إمكان أحمد ناصر أن يتصدى لقوات جرارة كتلك ، فاضطر إلى التسليم."[2].

نلاحظ أن الحوليات الليبية؛قد أكدت أن الكوني قد غالط الحقيقة التاريخية حين لم تذكر أولياء الناصر الذي قام بإرسالهم لمحمد باشا[3].

يشعر القارىء لما سبق،أن الكاتب ذكر ذلك ليتلذذ بهزيمة الناصر وشدة خوفه من الباشا.

يقول الكوني :

"ولكن الأمير وضع شروطاً مخيبة للآمال مقابل الغفران قال لفريق المرابطين أن الناصر يجب أن يدفع ثمن خطيئته بما تقدّم من المكوس وما تأخّر . ليس هذا فحسب، ولكن عليه أن يتحمّل نفقات الحملة كاملة ذهباً ابريزاً ."[4]

نلاحظ أن الكوني ذكر شروط الأمير محمد القره مانلي على ناصر فزان ،ولكنه غالط الحقيقة التاريخية،في ذكره لمتقدمات المكوس والذهب الأبريزي ،حيث لم نجد ما يؤكد ما ذكره الكوني[5] أما الحوليات الليبية فتذكر هذه الشروط :

" وعفا عنه محمد بك شريطة أن يقوم بدفع نفقات الحملة ومتبقيات ضريبة الخراج "[6].

إن الكوني غالط في شرط المتقدمات، في حين أن محمد بك طالب بالمتبقيات[7] أي أنها مغالطة من النقيض إلى النقيض،كما ذكر الذهب وهذا بالطبع من خيال الكوني الروائي.

يشعر المتلقي لما سبق أن الكوني ذكر الشروط التي أراد من البيك أن يشترطها على الناصر.

---

[1] - إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيد،ص 431.
[2] - شارل فيرو،الحوليات الليبية،299.
[3] - ينظر رودلفو ميكاكي،طرابلس الغرب تحت حكم الأسرة القرمانلية،ص65 - 66.
[4] - إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص431.
[5] - ينظر ن.إ.بروشين،تاريخ ليبيا في العصر الحديث،ص115.
[6] - شارل فيرو،الحوليات الليبية،ص299.
[7] - ينظر رودلفو ميكاكي،طرابلس الغرب تحت حكم الأسرة القرمانلية،ص65.

يقول الكوني :

" تصادف عودة الأمير منتصرا مع إصابة الباشا ببلية غامضة اسمها الصداع! "[1].

ويتضح أن الكوني قد ذكر خبر إصابة الباشا بمرض الصداع ولكن هذا الخبر يُعد من خياله لأن؛الحوليات لم تذكر اصابته بهذا المرض[2]،كما لم نجد من يذكره ويؤكده[3].

يقول الكوني :

كان يحترق بجحيم الحمّى...وبعدها لفظ أنفاسه الأخيرة[4].

إن الكوني يصف ما أصاب شلم بعد لدغ الأفعى له، والتي كانت سبب موته ولاحظنا أنه قد روى مرض البيك أحمد بالصداع ،لكي يدلل عن ضعف قواه، من ناحية، وليفسح المجال لخياله،ما يشعر المتلقي بأن الكوني لا يريد أن يقتل شخوصه قبل أن يتلذذ بهلاكهم.

يقول الكوني :

" أمر الباشا بإلقاء الناصر في غياهب السجن قبل أن يوحي إلى القضاء بالحكم عليه بالاعدام ! وبالفعل صدر الحكم فأمر الباشا بإعداد المشنقة في إحدى ساحات سوق الترك "[5].

وهذا مخالف للحوليات الليبية :

" فإنه سلم نفسه هو وابنه إلى معسكر محمد بك، فاقتاده هذا الأخير إلى طرابلس وكان الباشا يرغب في الحكم عليه بالإعدام "[6].

مما سبق يتضح لنا مدى مغالطة الكوني،لأننا وجدنا الحوليات ذكرت أن الناصر وابنه هما من ذهبا بنفسيهما للسجن،وهما لم يعدما[7] رغم نية الباشا في ذلك.

أي أن الكاتب ذكر هذا الخبر بيقين كأنه أراد تحقيق نوايا الباشا ضد الناصر؛ولعل

---

[1] - إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص432.

[2] - ينظر شارل فيرو،الحوليات الليبية،ص299.

[3] - ينظر أحمد بك النائب الأنصاري،المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب،ص282 - 289.

[4] - ينظر إبراهيم الكوني،لون اللعنة،ص235.

[5] - إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص434.

[6] - شارل فيرو،الحوليات الليبية،ص299.

[7] - ينظر رجب نصير الأبيض،مدينة مرزق وتجارة القوافل الصحراوية خلال القرن التاسع عشر،ص89.

الكاتب شارك الباشا في هذه النوايا المبطنة.

يقول الكوني :

" اسمحوا لي أن أبتاعه منكم بقرشين اثنتين فحسب لا لأستبقيه إلى جواري ولكن لكي أتنازل عنه لابني "محمد" الذي قررّ أن يجرّب حظّه مع أهل السوء ! "[1].

إن الكونـي ذكر أن أحمد باشا هو من تحدث وتنازل عن الناصر لابنه محمد؛ ولكننا نجد الحوليات تذكرغير ذلك :

"حيث قـام بعرض أحمد ناصر وابنه للـبيع بـالمزاد العلني كما لو كان من الأرقّاء الأذلاء؛ فاشتراهما ابن الباشـا بقطعتين من النحاس "[2].

نلاحظ أن الكونـي أطلق عنان خياله فيما ذكر ثلاثة مرات،الأولى حين ذكر أن أحمد باشا هو من تحدث وهـذا لم تثبـته الحوليات ،والثانية حين ذكر عن الناصر بمفرده والحوليات ذكرت أن معه ابنه في هذا الموقف ،والثالثة حين ذكر أن الباشا تنازل عنه لابنه في حين ذكرت الحوليات أن ابن الباشا اشتراهما،وشـتان بين التنازل والشراء، وهذا ما أكد[3]،بالأخص مرافقة ابن الناصر لوالده حين أرسلا إلى طرابلس[4].

يقول الكوني :

بـاع مخدومه الذي لم يكن له يوماً مخدومـاً بقدر ما كان أنيساًو جليساً وحميـماً...

الفـاسي قـال لشلـم لقـد تحدثت حتى الآن عن عصفورين... تركتُ العصفـور الثالث لفراسة مولاي![5].

هنا نلاحظ أن الكونـي ذكر ما قام به الفاسي من بيع لأنيسه شلم كالأرقاء، وبعد ذلك ذكر أن شلـم قد عاد لمولاه وعادت الثقة المتبادلة بينهما، لعل هذا ما جعل الكونـي يذكر بيع البيك أحمد لحـاكم فزان،وإعادته حاكماً عليها مرة أخرى ،لعل الكوني أراد تأكيد ما نسجه خياله حول بيع الفاسي لشلم.

[1] - إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص438.
[2] - شارل فيرو،الحوليات الليبية،ص299.
[3] - ينظر رودلفو ميكاكي،طرابلس الغرب تحت حكم الأسرة القرمانلية،ص65 - 66.
[4] - ينظر رجب نصير الأبيض ،مدينة مرزق وتجارة القوافل الصحراوية خلال القرن التاسع عشر،ص89.
[5] - ينظر إبراهيم الكوني،لون اللعنة،ص108 - 13، - 132

يقول الكوني :

"اخلعوا قفطان السلطة على هذا العبد وأعيدوه حاكماً على الاقليم.ولكن إيّاكم أن تنسوا هدم أسوار مرزك "[1].

ذكر الكوني بعض الحقائق التاريخية[2] ،في حين غالط في البعض الآخر حيث نجد الحوليات الليبية تذكر :

" خلع عليه القفطان الفخري الذي يعني تقليده منصب عمالة فزان من جديد بدرجة بك وأعاده إلى موطنه يحيط به جيش جرار يقوده رجب بيري الذي حمل أوامر بهدم أسوار مرزق "[3].

من الحقائق التاريخية التي تبينت لنا أن الكوني قد ذكرها؛ أمر الباشا الذي يقتضي خلع قفطان السلطة على الناصر،وكذلك أمره بهدم أسوار مرزق،أما مغالطة الكوني التاريخية فهي تكمن في ؛ إعادة الناصر حاكماً على فزان حيث لم تذكر الحوليات هذا الأمر،وإنما ذكرت أمر إعادته لفزان مصحوبا بجيش دون تنصبيه عليه.

نلاحظ مما سبق شدة تنكيل الكوني ،بناصر فزان لعله ضعيف ويسهل التنكيل بالضعفاء،لعله لوجود مشاكل بين الطوارق والناصر .

يقول الكوني :

" قال الباشا ببرود أنا أعمى ! "[4].

هنا ذكر الكوني بأن الباشا قد صرح بعماه ،وهذه مغالطة تاريخية أخرى حيث لم نجد ما يؤكد أن الباشا قد صرح بذلك[5] .

يقول الكوني :

" يبدو أن هذا هو السرّ الذي جعل عملاء الباشا علي بن حسين يضعون في يده صرّة سمينة من القطع الذهبية مقابل أن يصيب بعيار بندقيته الشيطانية جبين المتمرّد سعيد بن موسى حاكم جربة ! "[1].

---

[1] - إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص438.

[2] - ينظر رودلفو ميكاكي،تاريخ طرابلس الغرب تحت حكم الأسرة القرمانلية،ص66.

[3] - شارل فيرو،الحوليات الليبية،ص299.

[4] - إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص441.

[5] - ينظر محمد الهادي ابوعجيلة،النشاط الحربي الليبي في البحر المتوسط،ص110.

إن الكوني ذكر حقيقة تاريخية مرة وهذا ما تذكره الحوليات :

فكلفت تونس في الخفاء قاتلا مستأجرا...فقتله بطلقة بندقية[2].

هذه هي الحقيقة التاريخية التي ذكرها الكوني،ولكنه غالطها من ناحية أخرى حين ذكر اسم علي بن حسين بينما الحوليات لم تذكره.

يقول الكوني على لسان محمد القره مانلي :

من استحق الشنق (بيد ذلك المسخ المأجور) ليس أحمد حسن كاهية، ولكنه من وجه له الطعنة في الظهر![3].

لعل الكونـي أراد أن ينبه حين أعـاد خبر مشابـهاً لما سبقه، عن المأجورين وكيفية استغلالهم بالمـال لعلمه بضعف نفوسهم للـمال،وما يؤكد أنه من نسج الكوني،لم نجد هذا الخبر قد ورد في أخبار محمد باشا[4]

يقول الكوني :

"في ذلك اليوم استخرج الباشا من خزنته المسدّس ذي الماسورة الذهبية الذي تلقاه يوما هدية من الماركيز الفرنسي"دانتان" "[5] .

نلاحظ إن الكوني ذكر استخرج الباشا لمسدسه ولكن الحوليات تقول :

"وبمجرد ولوجهما إلى الكشك أمر غلامه أن يسلمه غدّارتيه "[6].

مما سبق نجد الكوني قد نسج بخياله أكثر من مرة ؛الأولى ما ذكرناها سابقا ، والثانية حين طلب البـاشا غدّارتيه[7] بينما ذكر الكوني مسدسه ،والثالثة حين لم تذكر الحوليات من قدّم هاتين الغدّارتين للـباشا،في حين ذكر الكونـي أن من قدّم المسدس للباشا هو دانتان.

يقول الكوني :

هجع في المخدع... تنـاول القارورة ...تجرّع. مذاق غريب. سكب السائل في جوفه

---

[1] - إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص449.

[2] - ينظر شارل فيرو،الحوليات الليبية،ص300.

[3] - ينظر إبراهيم الكوني،في مكان نسكنه في زمان يسكننا،ص28 - 29.

[4] - ينظر أحمد بك النائب الأنصاري،المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب،ص294 - 295.

[5] - إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص465.

[6] - شارل فيرو،الحوليات الليبية،ص304.

[7] - ينظر ن.إ.بروشين، تاريخ ليبيا في العصر الحديث،ص125.

دفعة واحدة.[1].

نلاحظ أن الكونـي يصف انتحار محمد القره مانلي بيديه ،رغم أن الحوليات تقول:

" وفي بداية شهر يوليه مرض محمد باشا القرمانلي ،ثم سرعان ما اشتد مرضه ،حيث وافته المنية عند الساعة الخامسة من عشية الرابع والعشرين من نفس الشهر"[2].

ما يجعلنا نقول إنه أراد أن ينهـي روايته على غرار روايته التي سبقت،وذلك بعد أن تأكدنا من مغالطته التاريخية[3].

يقول الكوني :

" تدخل الزعيم ليوضّح نوايا تاجوراء : ذهب الوفد مستجيرا بالباب العالـي من فظائع النصارى "[4].

ذكر الكونـي فيما سبق ما قام به وفد تاجوراء حين استجار بالباب العالي من فظائع النصارى، ولكن هذا القول لم تذكره الحوليات الليبية[5]؛في حين أكّد في أحد كتب التاريخ[6].

يقول الكوني :

الأمير أحمد بن موسى...يا سعادة البـاشا جئت كي أرجو ضمّ الجزيرة إلى المملكة

الطرابلسية[7].

هنا يتبين أن الكونـي يؤكد استجارة تاجوراء بالباب العالـي ،من خلال ما رواه عن استجارة أحمد بن موسى بأحمد القره مانلي[8].

يقول الكوني :

"المسيو كوللیه: جئت يا سعادة الباشا،لأعبر لكم على امتنان فرنسا لعملكم على تحرير سفينتنا التي اختطفها بحارتكم قبالة سواحل مرسيليا"[9].

---

[1] - ينظر إبراهيم الكوني،في مكان نسكنه في زمان يسكننا،ص173.
[2] - شارل فيرو،الحوليات الليبية،ص317.
[3] - رودلفو ميكاكي،طرابلس الغرب تحت حكم الأسرة القرمانلية،ص89.
[4] - إبراهيم الكوني،في مكان نسكنه في زمان يسكننا،ص51.
[5] - ينظر شارل فيرو،الحوليات الليبية،ص317.
[6] - ينظر ابن غلبون،التذكار،ص155.
[7] - ينظر إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص454 - 456.
[8] - ينظر رودلفو ميكاكي،طرابلس الغرب تحت حكم الأسرة القرمانلية،ص79.
[9] - إبراهيم الكوني،في مكان نسكنه في زمان يسكننا،ص58.

ذكر الكوني قدوم المسيو كوللیه لكي يعبر عن امتنانه وشكره للبـاشا،وذلك لتحريرها بعد أن أختطفها التجار الليبيون قبالة سواحل مرسيليا،ولكن الحوليات تقول:

"وتدخل القنصل الفرنسي كوللیه في الأمر، فتمت الاستجابة لجميع مطالبه،حيث استعاد السفينة المخـطوفة وشحنها ،وطـرد رئيس القراصنة الذي انتهـك حرمـة علـمها الفرنسي"[1].

يتضّح أن الكونــي قد نسج بخيالـه؛ حين ذكر المسيو كوللیه جاء لكي يشكر البـاشا لتحريـر سفينتهم المختـطفة من قبـل البحـارة الطرابلـسيين[2] ، في حين ذكـرت الحوليات الحوليات أن قدومه لأجل مطالبته بتحرير السفينة ،أي أن الكوني في بداية الأمر أطلق عنان خياله ،ثم لم يكمل ذكر ما قـام به المسيو كوللیه من قصاص للرئيس القرصاني من طرد.

يقول الكوني :

"قال القنـصل :ملك فرنسا سوف يكـون في غـاية الامتـنان فيما لو تكرمتم بتزويد اصطبلات مملكته بـفحول جيادكـم لـتمكن من تحسين سلالات الخيول بعد أن أفنت الحروب تلك الفصـائـل التي سبق لأسلافكم أن زودّوا بها أسلافـه قديمـا من جياد

منطقة درنة ! "[3].

ذكر الكونــي مطالبة القنصل بالفحول من الباشا محمد القره مانلي وذلك بسبب كثرة الحروب التي أدت لإفناء تلك الفصائل من الفحول ، ولكن الحوليات تقول :

"حملت ملك فرنسا على تكليف السيد (جورناي GOURNAY) ـ مفوض الجيش ـ بدراسة مـدى إمكانية التزود من طرابلـس الغرب بالفحول التي تحتاجها اصطبلات الفروسية في المملـكة. وبفضل همة..القنصل كوللیه، فقد أمكن نقل فحـول من خير الجياد"[4].

---

[1] ـ شارل فيرو،الحوليات الليبية،ص312.

[2] ـ ينظر محمد الهادي أبوعجيلة،النشاط الحربي الليبي في البحر المتوسط،ص110 - 111.

[3] ـ إبراهيم الكوني،في مكان نسكنه في زمان يسكننا،ص63 - 64.

[4] ـ شارل فيرو،الحوليات الليبية،ص312.

لاحظنا أن الكوني ذكر طلب القنصل للفحول لتحسين سلالاتها،لأن الحروب أفنتها، أي أن الكوني جعل طلب الفحول للحروب، أما الحوليات فقد أكدت مطالبة ملك فرنسا للفحول كان من أجل الفروسية.

في حين أننا لم نجد ورود هذه المطالبة[1]، لا من أجل الحروب ولا الفروسية[2] لعل الكوني قصد من هذا التزّود شيئاً آخر يعلمه!.

يقول الكوني :

" لقد أنفق الأموال بسخاء لتقوية الأسطول لا لكي يستولي على الغنائم كما فعل أسلافه ولكن لكي يحقق لنا الأمان من كيد القوى العظمى "[3]

يتضح هنا أن الكوني ذكر ما قام به محمد باشا من تقوية لأسطوله البحري[4] لغرض تحقيق الأمان من قراصنة البحر،أما ما تذكره الحوليات عنه :

" وتكاثرت الشكاوي من تعدد غزوات هذه القطع البحرية الطرابلسية "[5].

يبدو خيال الكوني أكثر وضوحاً ، لأن الحوليات الليبية لم تذكر أن أسطول محمد باشا قد ساد بفضله الأمان ،بل ذكرت كثرة الشكاوي منه أي أنه كان أداة الباشا للقرصنة وليس لحفظ الأمان[6].

يقول الكوني :

"اجتمع محمود راغب المتنكر في جلد درويش الأناضول إلى المفتي "[7].

إن ما ذكره الكوني عن إجتماع محمود راغب للمفتي هو من وحي خياله لأننا لم نجد من ذكر هذا الاجتماع[8]، لعله قصد تصويره للدسائس وأهدافها؛وكيفية إبطالها.

يقول الكوني على لسان دي غراس:

---

[1] - ينظر رودلفو ميكاكي،طرابلس الغرب تحت حكم الأسرة القرمانلية،ص66 - 89.
[2] - ينظر محمود ناجي،تاريخ طرابلس الغرب،ص 161 - 162.
[3] - إبراهيم الكوني،في مكان نسكنه في زمان يسكننا،ص74.
[4] - ينظر محمد الهادي أبوعجيلة،النشاط الحربي الليبي في البحر المتوسط،ص111.
[5] - شارل فيرو،الحوليات الليبية،ص312.
[6] - ينظر ن.إ.بروشين،تاريخ ليبيا في العصر الحديث،ص125.
[7] - إبراهيم الكوني،في مكان نسكنه في زمان يسكننا،ص77.
[8] - ينظر رودلفو ميكاكي،طرابلس الغرب تحت حكم الأسرة القرمانلية،ص84 - 89.

"مولاي الملك حملني أن أبلغ سعادتكم بوجوب الوفاء بالوعد قبل الدخول في أي جدل من شأنه أن يضع حجر الأساس لاتفاق بين بلدينا !"[1].

ذكر الكونـي فيما سبق مطالبة القنصل الفرنسي من الباشا الوفـاء بالوعد وهو قرع سيكارد بالفلقة،ولكن الحوليات تذكرت :

"(دي جراس DEGRASSE)، حيث قابل البـاشا وطالبه، كشرط أولـي للترضية، بأن يأمر فورا بقرع القراصنة الذين ضجت فرنسا من أفعالهم، بالفـلقة "[2] .

لاحظنا أن الحوليات لم تذكر الوعد وإنما طالبـت بشرط ؛كما أنه اقتصر وعد الكوني على سيكارد ،بينما ذكرت الحوليات الليـبية جميع القراصنة،أي أن خيال الكونـي قد أسعفه مرتين.

ولكننا نجد الحوليات قد غالطت أيضاً،لأن طلب Cavaliere de Grasse Du Bar معاقـبة المغامرين الذين شكت منهم فرنسا كترضية أولـى[3]، فمن أين جـاء صاحب الحوليات بقرع الفلقة؟.

يقول الكوني على لسان محمد القره مانلي:

" أنت تنسى أن من تدعوه "سيكار" هذا لم يعد يحمل اسم سيكار منذ زمن بعيد. بل هو رجل يدعى مراد و فوق ذلك رجل اعتنق الاسلام "[4].

ذكر الكوني ما قاله محمد باشا عن سيكار ،ولكن الحوليات ذكرت :

كان يعرف الرئيس مراد... وكـان يعرف، قبل اعتـناقه الاسـلام باسـم سيكـارد SICARD[5].

يتبين أن الكوني قد نسج بخياله حين ذكر اسم سيكار ذلك لأن الحوليات ذكرته سيكارد في حين أننا لم نجد ما يؤكد ما ذكرته الحوليات[6].

---

[1] - إبراهيم الكوني،في مكان نسكنه في زمان يسكننا،ص83.
[2] - شارل فيرو،الحوليات الليبية ص 314.
[3] - ينظر رودلفو ميكاكي،طرابلس الغرب تحت حكم الأسرة القرمانلية،ص87.
[4] - إبراهيم الكوني،في مكان نسكنه في زمان يسكننا،ص85.
[5] - ينظر شارل فيرو،الحوليات الليبية،ص314.
[6] - ينظر الصادق النيهوم،تاريخنا،الجزء الخامس،ص70.

يقول الكوني على لسان محمد القره مانلي:

" فلا نملك إلا أن نعبر عن أسفنا العميق لإعادة رسوله إلى دياره خائبا ! "[1].

إن ما ذكره الكوني عن حديث محمد باشا وتصريحه بطرد رسول ملك فرنسا خائبا كان من خياله ، لأننا لم نجد ما يؤكد هذا القول في الحوليات الليبية حين تقول :

"إنني لن أعاقب قراصنتي قط عما بدر منهم في الماضي، ولم أعد أحداً بذلك "[2].

ولكنه قد وافق الحوليات في ذكره لعدم موافقة محمد باشا، على قرع قراصنته وهو مضمون القول .

هذا وقد وجدنا ما يؤكد هذا القول[3]،في حين أن بعض الكتب التي ألفت على غرار الحوليات لم تذكر هذا الخبر[4]،أما ما يقوله الكوني:

" أمّا عن سرّ فراره من مسقط رأسه البحر المواجه لسواحل فرنسا فسيرة لفَّها غموض كثيف.هذا بالرغم أن صالح بك رئيس بحرية طرابلس في تلك الأيام روى عنه علّه لم تقنع أحداً تقول أن الأعداء كادوا له وزجّوا به في السجون "[5].

هنا ذكر الكوني أصل الرئيس مراد وسر تركه لبلاده وسجنه،ولكن هذا من نسج خياله الروائي.

- المبحث الثاني :

[1] - إبراهيم الكوني،في مكان نسكنه في زمان يسكننا،ص87.
[2] - شارل فيرو، الحوليات الليبية،ص314.
[3] - ينظر الصادق النيهوم،تاريخنا،الجزء الخامس،ص70.
[4] - محمد الهادي أبوعجيلة،النشاط الحربي الليبي في البحر المتوسط،ص111.
[5] - إبراهيم الكوني،في مكان نسكنه في زمان يسكننا،ص99.

مثلث السعادة عند مؤسسي الأسرة القره مانلية

- **السلطة عند مؤسسي الأسرة القره مانلية.**
- **المال عند مؤسسي الأسرة القره مانلية.**
- **المرأة عند مؤسسي الأسرة القره مانلية.**

السلطة عند مؤسسي الأسرة القره مانلية:

بعد دراستي لوصول أسرة القره مانليين إلي السلطة وجدت أن العوامل التي ساعدت في وصول القره مانليين للسلطة :

إن الإيالة الطرابلسية قد ظلت تحت الحكم التركي لمدة200 سنة من الزمن ؛ ونتيجة لهذا الحكم تكونت طبقة القولوغلية،وقد احتلت مكانة مرموقة ومتميزة بين الناس وبدأت تتطلع للسلطة، وكانت هذه الطبقة تستقر في ضاحية المنشية، وكانت معاملتهم للناس حسنةعكس القراصنة؛ نتيجة لصلة الرحم التي كانت بينهم وبين سكان

طرابلس، فقد كانوا يشتغلون عدة أعمال منها، الحرف، والزراعة ، والخدمة العسكرية ؛ والتي من خلالها تحصلوا على امتيازات منها:عدم دفع الضرائب.

أما العامل الثاني:الذي ساعد على تحول حكام طرابلس الغرب إلى ملوك مستقلين هو الانحطاط الاقتصادي للامبراطورية العثمانية ؛ والذي من نتائجه عدم الاعتراف بسلطتها من قبل حكام أفريقيا، مما أدى إلى وضع المقاتلين تحت تصرف استامبول، فلم يبق للباب العالي إلا أن اعترف بوصول القولوغلية إلى السلطة في الإيالة الطرابلسية[1].

أما العامل الثالث :فيتلخص في أن النزاعات قد سادت الطبقة الانكشارية،مما أدى لضعفها[2] فساعد ذلك على تطلع القولوغلية للسلطة[3].

هذا وقد أورد حاتم علي يورد قول ابن غلبون المعاصر لأحمد القره مانلي:

" فان عهد حكم الأتراك قد انتهى سنة1710 وبدأ عهد القولوغلية "[4].

وقد كان أحمد القرمانلي مؤسس الأسرة القرمانلية مؤيدا لمحمد الجن ،الذي خاض حربه ضد الأتراك.وقد لعبت مناقب شخصيته ،والوضع الاجتماعي لأحمد باشا

دوراً مهماً في تأسيس الأسرة القرمانلية الحاكمة في الإيالة.فجدّه لأبيه،مصطفى القرمانلي، مولود في تركيا وقد قدم إلى طرابلس بعد أن جمع ثروة من القرصنة[5] وكان في الدفعة " الأولى من الانكشارية خلال حكم مراد آغا في طرابلس حيث تزوج بامرأة منها"[6] .

وهذا ما يذكره الكوني في قوله:

"ربما كان ذلك دسّا من عرق السلف الذي أقبل على هذه الديار محمولا على ظهر الموج قادما من"قرمان" المتشبثة بتلابيب بلاد الأناضول "[7] .

---

[1] - ينظر ن.إ.بروشين،تاريخ ليبيا في العصر الحديث،ص108 - 109.
[2] - ينظر محمود ناجي،تاريخ طرابلس الغرب،ص160.
[3] - ينظر رودلفو ميكاكي،طرابلس الغرب تحت حكم الأسرة القرمانلية ،ص8.
[4] - ن.إ.بروشين،تاريخ ليبا في العصر الحديث،ص108 - 109.
[5] - ينظر ابن غلبون،التذكار،ص241.
[6] - ينظر ن.إ.بروشين،تاريخ ليبيا في العصر الحديث،ص109.
[7] - ابراهيم الكوني ،نداء ما كان بعيدا ص45 .

إن الكونـي أراد تأصيل أحمد القرمانلي لبلاد الأناضول، وهو ما سبق ذكره في كتب التاريخ منها التذكار لابن غلبون الطرابلسي[1].

أما يوسف والـد أحمد باشا ، فهو الممثل الأنموذجـي للقولوغلية ، فقد بـدأ خدمته بالأمن الداخلي في الإيالـة،وبـفضل حزمه وشجاعته بدأ يتدرج في المناصب القيادية وتحصّل على لقـب بك وأصبح قائدا لـفرقة الجند ، دخـل أحمد باشا الجيش وانتظم في الفرقة التي كان والده يرأسها،وترقى في مدارج النجاح إلى أن أخذ مكان والده [2].

يقول الكوني :

"لا يستطيع أن ينكر أن وسواسا تململ في صدره يوم فوجىء بترقيته إلى مرتبة" باش آغا" خلـفاً للوالد ليجد نفسه على رأس جيش من خيّالـه الساحل وكذلك المنشية. هذه الترقية هي التي أججت نهمه لنيل المزيد بدل أن تروي ظمأه من منصب لم يخطر له على بال "[3].

كانت فرقة أحمد باشـا مكونة من القولـوغلية، وكان يتعامل مع الناس بـدهاء جعله مُهدّئاً لهم ،ولم يحاول التدخـل بين فئـات الانكشارية لكي ينتـهز الفرصة ليتدخـل في الصراع على السلطة، ولكن ثـار قلـق أبو مويس من أحمد باشا؛ بسبب حيويته ونجاحه في كسب عطف أهل طرابلس .

حـاول أبو مويس التخلص منه؛ بأن أرسله إلى حاكـم غريان[4]، ولـكن شـك أحمد القره مانلي جعله يفتح رسالـة أبو مويس، وأدرك أحمد القرمانلي أن الوقت قد حـان للهجـوم على الداي[5] ؛وبمساعدة مناصريه داخل طرابلس وخارجـها استولـى أحمد القره مانلي على قيادة الجند [6].

كما حـاول أيضاً محمد الفاسي السيطرة على الصحراء بـإشعال نـار الفتـنة حيث يقول الكوني :

---

[1] - ابن غلبون،التذكار،ص241.
[2] - الصادق النيهوم،تاريخنا،الجزء الخامس،ص59.
[3] - إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،39.
[4] - ينظر ابن غلبون،التذكار،ص239.
[5] - ينظر رودلفو ميكاكي،طرابلس الغرب تحت حكم الأسرة القرمانلية،ص10.
[6] - ينظر شارل فيرو،الحوليات الليبية،ص265.

نشبت الحرب..وتبـادلا التهنـئة على نجاحهما في إشعـال الفتنة بين القبلـتين.. ثم أمر الجند بالتحرّك لضرب العدوّ من الخلف!.[1]

ولكن الفاسي هُزم حيث يقول الكوني :

عقد القـوم صلحاً مع أقربائهم أهـل آهجار[2] الذين ربطتهم صلة الدم بعد أن انكشفت للفريقين فصول المكيدة قاتلوه..وتشتت شمل الشراذم[3].

لـم يتم قبول أحمد باشا داي للإيـالة الطرابلسية من قبل الباب العالـي ،حيث أرسل خليل باشا[4].

وهذا ما يؤكده الكاتب بقوله :

"يـوم بلغه خبر وصول رسول الباب العالي حاملا رسالة ممهورة بتوقيـع السلطـان تقضي بتعيين خليل باشـا الأرناؤوطي واليا على ايّـالة طرابـلس"[5].

ولكن بعد أن دارت حرب بين أحمد القرمانلي وخليل الأرناؤوطـي ؛حيث قتـل فيها خليل، وانتصرأحمد باشا سـارع لإرسال هدايـاه القيّمة[6] ، لسلطان الآستـانة لتدعيم

إنتصاره[7].

أما ما يقوله الكاتب :

القرمانلي أباح للغوغاء جسد خليل باشا لسُـرّ ظلّ مجهولاً إلى اليوم. [8].

مما سبق نلاحظ أن الكونـي ؛ لم يذكر سبب ما فعلـه القره مانلي بخليل حين أبـاح للغوغاء جسده ربـما لشدة انتقامه منه .

وأرسل أحمد باشا الهدايا للباب العالـي، بعد قتله لخليل باشا ثم دبّـر أحمد باشا خطة للـقضاء على الأتراك ،حيث قـام بدعوتهم إلى بيته وذلك من أجل الاحتـفال ثم قام باستدراجهم لداخل بيته وكان الجنود قد اشبعوهم طعنا حتى قضى عليهم[1] .

---

[1] - ينظر إبراهيم الكوني،لون اللعنة،ص140.

[2] - هي إحدى القبائل التارقية التي تقطن جبال هقار.
ينظر محمد سعيد القشاط،صحراء العرب الكُبرى،الطبعة الأولى،سنة النشر 1994 ،دار الرواد،طرابلس - ليبيا،ص110.

[3] - ينظر إبراهيم الكوني،لون اللعنة،ص142.

[4] - ينظر ن.إ.بروشين،تاريخ ليبيا في العصر الحديث،ص109 - 110.

[5] - إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص87.

[6] - ينظر الصادق النيهوم،تاريخنا،الجزء الخامس،ص60 - 61.

[7] - ينظر ن.إ.بروشين،تاريخ ليبيا في العصر الحديث،ص110 - 111.

[8] - ينظر إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص108.

يقول الكونـي :

"بدأ الخلاص حقاً ،لأن سادة الإنكشارية الذين كانوا يلجون القصر باستكبارهم المعهود كانوا يتلقّون الطعنات المميتة في الحال من أيدٍ مدرّبة على استعمال السيوف "[2].

لعل الكونـي قصد ؛ خلاص أحمد باشا من الإنكشارية ذلك لأنهم يمثلون حجرة تحول دون وصول خطـاه للسلطة .

و بعد ذلك جمع الثروات؛ وأرسلها للباب العالـي محاولة منه لذر الرمـاد في العيون لعلمه بفساد ذممهم[3] .

يقول الكونـي :

" ويُروى أن أحمد القرمانلـي قال لأحد خلصائه يوم بعث برسوله إلى الأستانة محمّلاً بهداياه :" بأموالهم اشترينا دماءهم كما اشترينا خلاصنا بهلاكهم !". "[4].

هنا أراد الكونـي أن يقول إن الباشا اشترى خلاصه من الأستانة بأمـوال الأنكشارية إن ما قـام به أحمد القره مانلي ضد الأتراك جعل الأهالي يشعرون بالارتياح وعندما أرسل الباب العالـي جانم خوجه لمعرفة أحوال الأيـالة علـم بأن على السلطان أن

يؤكد السلطة الفعلية لأحمد القرمانلي في طرابلس .

وهذا ما قام به الباب العالي ؛حيث أصدر فرماناً بتعيينه والياً على الإيالة الطرابلسية[5]، وهو ما أكده الروائي حين قال :

"أن الاتفـاق تمّ بين الطرفين باتمـام مراسم التنصيب "[6].

أن الاتـفاق الذي ذكره الكونـي هنا،اتفـاق القره مانلي ورسـول البـاب العالـي.

بعد أن تحصّل أحمد القره مانلـي على لقـب الباشـا ؛ انصرف لتدعيم سلطته داخل البـلاد[7] .

وهـذا ما يوافق عليه محمد أبو عجيلة إذْ يقـول:" كما تمكّن من استصدار فرمان من

---

[1] ـ ينظر محمود ناجي،تاريخ طرابلس الغرب، ص160.

[2] ـ إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص79.

[3] ـ ينظر شارل فيرو،الحوليات الليبية،ص272.

[4] ـ إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيدً،ص86.

[5] ـ ينظر ن.إ.بروشين،تاريخ ليبيا في العصر الحديث،ص112.

[6] ـ إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص106.

[7] ـ ينظر رودلفو ميكاكي،طرابلس الغرب تحت حكم الأسرة القرمانلية،ص6 ـ18.

الباب العالـي يجعل الحكم وراثيا في أسرته. وبذلك ضمن أحمد القره مانلـي تحقيق سياسته المقبلة التي رسمها لنفسه"[1].

ونتيجة لـكثير من الجهود ؛ أصبحت الإيـالة دولـة إقطاعية أي لاتعترف إلا شكليا بالسلطة العليا للسلـطان التركـي ؛ حيث قام الباشا بتقسيم البلاد لمناطـق يتراءسها موالون له .

هذا وقد أعاد تشكيل الجيش ، وكانت القولـوغلية تمثل قلب الجيش كما أعيد توزيعها على مختلف الفرق العسكرية والحاميات[2] .

نلاحظ أن أحمد القره مانلي قد حاول كسب رضا الباب العالي بالهدايا[3] ، ولكن محمد الفاسي جعل من المال وسيلة للوصول للسلطة حيث يقول الكوني :

كما حققنا بـالحيلة ما أخفـقنا في تحقيقه بالوسيـلة قبل اليوم ،كذلك نستطيع اليوم أن نشتري بالمـال الذمـم ...وإذا نلنا مجداً فقد أفلحنا في وضع الأسـاس لمُلكٍ لن يأتيه الباطل لا من أمام ولا من خلفٍ[4].

أما محمد باشا القره مانلي فقد تولـى السلطة ميراثاً من أبيه أحمد القره مانلـي،حيث يقول شارل فيرو،في حولياته :

" ولم يكن قد أوصى ابنه محمد الذي خلفه سوى بأمرين :احترام فرنسا، التي كانت قد لقّنته دروساً مروّعة،ومُداراة قبيلة المحاميد والتساهل معها،لأنه كان يعود إليها الفضل في اعتلائه العرش"[5].

أما ما يقوله الكوني عن وريث أحمد باشا :

"فليس عليه إلا أن يجعله وريثاً لخطواته قبل أن يجعل منه وريثاً لعرشه "[6].

ما علمناه من هاتيـن الفقرتـين ،أن أحمد القره مانلي أورث ابنه محمد عرش الإيّالة الطرابلسية هذا ما قالته كتب التاريخ[1] وما أكّده الكوني أيضاً؛ على الرغم من أنه ليس

---

[1] ـ محمد الهادي أبوعجيلة النشاط الحربي الليبي في البحر المتوسط،ص109.
[2] ـ ينظر ن.إ.بروشين،تاريخ ليبيا في العصر الحديث،ص113.
[3] ـ ينظر الصادق النيهوم،تاريخنا،الجزء الخامس،ص61.
[4] ـ ينظر إبراهيم الكوني،لون اللعنة،ص200.
[5] ـ شارل فيرو،الحوليات الليبية،ص305.
[6] ـ إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص419.

الأكبر في أبنائه.

يقول الكوني :

" وليس من قبيل المبالغة أن أقول أن احترام العهد مع فرنسا هو أحد أهم أركان وصاياه ! "[2].

رغم أننا وجدنا كتب التاريخ قد ذكرت أن احترام فرنسا كان أول وصية أوصاها أحمد باشا لابنه محمد[3]، فأن الكوني بالغ عند وصفه لاحترام الإيالة لفرنسا بأنه أهم أركان الوصايا.

هذه الوصايا التي أوصاها أحمد باشا لابنه محمد، كما أخبرنا شارل فيرو هي سبب اختياره والياً دون أخيه محمود لأن محمداً ينحدر من ناحية أمه ـ من سلالة محمد باشا الإمام شائب العين[4]، أحد دايات طرابلس السابقين له[5]،والسبب الآخر هو أن الشعب يحبه ويفضله على أخيه الأكبر ،لما يتمتع به من خصال طيبة و روح

عادلة[6].

يقول الكوني على لسان زينوبة :

"بأيّ حق تضع ابني في فوهة المدفع ؟"[7].

إن قول زينوبة هنا ،كان القصد منه إثبات أن المتحدث عنه هو محمد باشا ابنها.

هذا وكان محمد يحظى بالرضا العام لا بسبب مواهبه الشخصية، بل لأنه كان يحظى بتقدير قناصل الدول الأوروبية عندما باشر حكمه في حياة والده[8].

لقد تعددت العوامل لصالح محمد باشا،مما جعله لا يتعرض لصراع يذكر من بعض مناصري أخيه محمود.

سار محمد باشا على خطى والده في الحكم سواء في سياسته الداخلية أو الخارجية[9].

---

[1] ـ ينظر محمود ناجي،تاريخ طرابلس الغرب،ص161.
[2] ـ إبراهيم الكوني، في مكان نسكنه في زمان يسكننا،ص9.
[3] ـ ينظر محمد الهادي أبوعجيلة،النشاط الحربي الليبي في البحر المتوسط،ص111.
[4] ـ ينظر رودلفو ميكاكي،طرابلس الغرب تحت حكم الأسرة القرمانلية،ص84.
[5] ـ ينظر ابن غلبون،التذكار،ص220 - 221.
[6] ـ ينظر شارل فيرو،الحوليات الليبية،ص304 - 305 .
[7] ـ إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص427.
[8] ـ ينظر محمد الهادي أبوعجيلة،النشاط الحربي الليبي في البحر المتوسط،ص111.
[9] ـ ينظر ن.إ.بروشين،تاريخ ليبيا في العصر الحديث،ص125.

فقد حاول كسب رضا الدول الأوروبية، وقام بتدعيم علاقته بالدولة العثمانية بإرساله لبعض الهدايا،ولم ينس ملك فرنسا فقد أرسل إليه رسله لطلب التعاون[1].

يقول الكوني :

" جئت ،يا سعادة الباشا،لأعبر لكم على امتنان فرنسا لعملكم على تحرير سفينتنا التي اختطفها بحّارتكم "[2].

فيما سبق نجد الكونـي؛ يؤكد على مدى التعـاون والاتفـاق بين محمد باشا وفرنسا.

وهو الأمر الذي سبق ذكره في كتب التاريخ.

اهتم محمد باشـا بالأسطول لتقديره مدى أهميته للإيـّالة[3]، وهـذا أدى لقـيام الدول الأوروبية بمطالبته بعقد الاتفاقيات لحماية سفنها[4].

المال عند مؤسسي الأسرة القره مانلية:

يقول شارل فيرو :

" أما البك الحاكم ،أحمد القرمانلي،فلا يملك أية سلطة فعلية .فان الشقيقين علي المكني ويوسف المكني ـ وهما من أعراب الدواخل ويعتبران التاجرين الثريين الوحيدين في البلاد ـ هما اللذان يتحكمان في تصرفاته وهذا أمـر سيكون فيه هلاكهما،لأنهما هما وحدهما اللذان طردا الأتراك بدسائسهما وبفضل أموالهما."[5]

أما ما يقوله الكوني :

" لقـد استدان من آل المكني في محن الأيام الأولى وما تلا ذلك من أحداث "[6]

---

[1] ـ ينظر محمد الهادي أبوعجيلة،النشاط الحربي الليبي في البحر المتوسط،ص111.
[2] ـ إبراهيم الكوني،في مكان نسكنه في زمان يسكننا،ص58.
[3] ـ ينظر أحمد بك النائب الأنصاري، المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب،ص295.
[4] ـ ينظر محمد الهادي أبوعجيلة،النشاط الحربي الليبي في البحر المتوسط،ص111.
[5] ـ شارل فيرو،الحوليات الليبية، ص 269 .
[6] ـ إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،113.

ان لفظة "استدان" التي ذكرها الكوني ؛أكدت ما قام به القره مانلي،عند بداية عهد توليه محاولةً في تحسين حال الإيّـالة[1]،حيث اتفقت كتب التـاريخ وما يقوله الكونـي ؛ حول افـلاس القره مانلي عند توليه الحكم[2].

عند تولي أحمد باشا القره مانلي الحـكم، كانت أمامه مهمة صعبة وهي إيجاد مصدر للدخل لانفاقه على القوة العسكرية؛ ولأن المال يعد من الأركان الأساسية لتثبيت حكمه على الإيالـة،وما الإفلاس الذي أصابه إلا نتيجة لاستبداد الإنكشارية واستهتارها قبيل توليه الحكم[3]؛فقـد كانت تجارة القوافل في أفريقـيا الوسطى المصدر الأول للدخـل، ولكن لخروج فزان عن صلاحيات الدولة العثمانية، ولضعف نظام الدايـات الذي أدى إلى الفوضـى التي سادت الدواخل، سعى أحمد باشا، لـتأمين طرق القوافل الممتدة من جنوب البلاد إلى سواحلها على البحر المتوسط ؛ مما أدى الى تنشيط التجارة والحرف في طرابلس[4].

وهذا ما أكده الكوني :

"وما أن التأموا حتى خاطبهم بضرورة تأمين الطرق البرية والبحرية على السواء "[5].

كما قام أحمد باشـا بفرض الدخول الضرائيبية ،على الرغم من أن هـذا الفرض أدى إلى الفوضـى في عدة مناطـق منها: مسلاته،وترهونه؛ولكن الباشا أخضعهم بالقـوة[6].

وهو ما ذكره الكوني أيضاً :

"الخازندار قال أن العمل في مثل هذه الأحوال هو الاستنجاد بالأهالـي.هو اللجوء إلى المكوس "[7]

أن الكونـي أكّـد ما ذكرته كتب التاريخ ،كما في قوله:

"بعد عودته من تأديب العصاة ونهبه للأموال التي سلبوها من غاراتهم على القوافل أو العابرين أو نجوع القوم أمر بعقد مجلس الديوان داخل حصن القلعة "[1].

---

[1] - ينظر ابن غلبون،التذكار،ص242.
[2] - ينظر رودلفو ميكاكي،طرابلس الغرب تحت حكم الأسرة القرمانلية،ص15.
[3] - ينظر محمود ناجي،تاريخ طرابلس الغرب،ص159.
[4] - ينظرن.إ.بروشين،تاريخ ليبيا في العصر الحديث،ص113 - 114.
[5] - ابراهيم الكوني ، نداء ما كان بعيدا ص 115 .
[6] - ينظر رودلفو ميكاكي،طرابلس الغرب تحت حكم الأسرة القرمانلية،ص16 - 21.
[7] - إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،113.

نلاحظ أن الكونـي أراد أن يصف ؛فيما سبق مدى حاجة الباشا للمـال لدرجة أنه قد نهب أموال العصاة .

كما كان أحمد باشا القره مانلي،يولـي أهمية كبيرة لبعث أمجـاد الأسطـول البحري الطرابلسي[2]، وبطبيعة الحال يحتاج ذلك لكثير من الأموال بإضافة الحملات العسكرية المستمرة في دواخـل البلاد الثائـرة ضده ،وكذلك حاجـة البلاط للأمـوال مما أدى لاتخاذ القرصنة كاحدى المنابع الأساسية للدخل في تلك الفترة[3] .

يقول الكوني :

"عادت فيه القطـع البحرية حاملة على متنـها الغنائم ، تعجّ بالأسرى ،وتسوق السفن المغتصبة "[4].

إن الكاتب؛ أراد أن يذكر اتخاذ القره مانلي للقرصنة بابا يرتزق منه ؛لكي يملأ خزائن الإيّالة الطرابلسية ويجنّبها خطر الإفلاس .

كما أنه قام بتجديد وزيـادة عدد سفنه ، فـأعاد بذلك شهرة الأسطول البحري القديمة التي كان يتمتع بها أيام "درغوت باشا"[5].

بعد أن استطاع أحمد باشا إعادة قـوة الأسطول الطرابلسي لأيام مجده[6]،قام بإعـلان حمايته للقراصنة مقابل أن يدفعوا له ثلـث غنائمهم لقـاء ضمان الملجأ لهم، وتزويد سفنهم بما تحتاج إليه.

ومن المعروف أن إعلان حماية القراصنة ؛يعني إعلان الحرب على السفن الأوروبية وهو ما جعل الدول صاحبة تلك السفن ؛تدفع أموالاً مقابل سلامة التجارة البحرية عند السواحل الطرابـلسية.

كما كان لهذا الأسطـول مهمة أخرى هي حماية السواحـل الطرابـلسية من هجـوم القراصنة الأوروبيين[1].

---

[1] - إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص115.
[2] - ينظر محمد الهادي أبوعجيلة،النشاط النشاط الحربي الليبي في البحر المتوسط،ص110.
[3] - ينظر ن.إ.بروشين،تاريخ ليبيا في العصر الحديث،ص114 - 119.
[4] - إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص237.
[5] - ينظر محمد الهادي أبوعجيلة، النشاط الحربي الليبي في البحر المتوسط ،ص 110 .
[6] - ينظر ابن غلبون،التذكار،ص242.

يقول الكوني :

"والبرهان دائما في الآثار، في السفن التي نستولي عليها لنستخدمها، في الأسرى الذين نحتفظ بهم لنبيعهم .أما الأموال التي نغنمها فإنها لا تتكلّم "[2].

أكّد الكاتب فيما سبق قرصنة البحارة التابعين للايـّالة الطرابلسية ومدى استفادتهم من عوائدها.

نستنتج مما سبق أن قوة أسطول الباشا، وحمايته للقراصنة، وعوائده من غنائمهم ،والمكوس التي تدفعها الدول الأوروبية لقاء سلامة سفنها، وتجارة الصحراء، والضرائب ساعد أحمد باشا على تدعيم حكمه للايّالة الطرابلسية وجعل له مكانة مرموقة مهيبة الجانب في عيون الدول المجاورة،والمقابلة لشواطىء الايّالة الطرابلسية.

في الوقت الذي سعى فيه أحمد باشا لتدعيم حكمه للإيّالة بالقرصنة ،كان هناك من يتخذ الأمم المطرودة وسيلة للحصول على المال وفي هذا يقول الكوني :

أقلع بالحمولة إلى صقلية هناك باع السفينة ومن على متنها بالثمن الذي راق له... حمل ثروته وذهب إلى السوق واشترى عبداً وأمةً وجُبَةً وعمامه ... ليشتري بالمال أتباعاً[3] .

وصف الكوني هنا ابتزاز محمد الفاسي ،وطريقته للحصول على المال ببيع الأمم كالأرقاء،هذا وقد كانت التجارة لدى الفاسي إحدى طرق حصوله على المال[4].

يقول الكوني :

"أتى ملك الظلمات إلى حرم الصحراء ببدعة التجارة فتبلبلت النفوس في الحال"[5].

عند انتقال الحكم إلى محمد باشا، لم تكن الإيّالة تُعاني الإفلاس ذلك؛لذكاء أحمد باشا واستغلاله لشواطىء الإيّالة،ولأن محمد باشا كان يُسيّر الإيّالة في مرض والده،فقد سار على خطاه ،واهتم بالأسطول البحري[1].

---

[1] - ينظر ن.إ.بروشين،تاريخ ليبيا في العصر الحديث،ص 119.

[2] - إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص339.

[3] - ينظر إبراهيم الكوني،لون اللعنة،ص108 - 109.

[4] - ينظر رجب نصير الأبيض،مدينة مرزق وتجارة القوافل الصحراوية خلال القرن التاسع عشر،ص51.

[5] - إبراهيم الكوني،لون اللعنة،ص186.

يقول الكوني على لسان صاحب السحنة المستديرة :

"لقد أنفق الأموال بسخاء لتقوية الأسطول "[2].

هذا وقد أكدت الحوليات ما ذكره الكوني حيث جاء فيها :

" كان غيوراً على قواته البحرية، فحرص على جعلها في حالـة راقية،كما عمل على تضخيم أسطوله. ولقد تمتعت بلاده ،من حيث مدى قوتها البحرية ،بسمعة طيبة"[3].

هـذا وكانت القرصنة تمثل دخلاً للإيّـالة،وكذلك الفدية التي كانت تقدمها الدول مقابل إطلاق أسر سفنها من الشواطىء الطرابلسية.

فكان القراصنة يخرجون على مسؤوليتهم الخاصة ، وعند ظفرهم بالغنائم يدفعون ثلثها للباشا، وقد أجبرت الإيّالة العديد من الدول على قبـول شروطها من أجل السلام بناءً

على المدفوعات ومقادير الجزية[4] .

يقول الكوني على لسان المسيو كوللّيه:

"جئت، يا سعادة الباشا،لأعبّر لكم على امتنان فرنسا لعملـكم على تحرير سفينتنا التي اختطفها بحّارتكم قبالة سواحل مرسيليا"[5].

هذا ما أكّدته الحوليات أيضاً حين ذكرت :

" كان القراصنة مستمرين في إحراز انتصارات جديدة. فقاموا باختطاف سفينة تجارية يقودها القبطان(لانسارLANSARD) قرب مرسيليا"[6].

نستنتج مما سبق أن القرصنة البحرية ، وما تقضي إليه من فديـة هي الدخـل الأول للإيّالة الطرابلسية في حكم محمد باشا القره مانلي.

---

[1] ـ ينظر محمود ناجي،تاريخ طرابلس الغرب،ص 161 -162.
[2] ـ إبراهيم الكوني،في مكان نسكنه في زمان يسكننا،ص74.
[3] ـ شارل فيرو،الحوليات الليبية،ص317.
[4] ـ ينظر ن.إ.بروشين،تاريخ ليبيا في العصر الحديث،ص126 - 127.
[5] ـ إبراهيم الكوني،في مكان نسكنه في زمان يسكننا،ص58.
[6] ـ شارل فيرو،الحوليات الليبية،ص312.

المرأة عند مؤسسي الأسرة القره مانلية:

كان أحمد باشا القرمانلي شديد الوله بالنساء ، فقد تدلّه عشقا بأرملة خليل باشا الأرناؤوطي ؛والتي قتل زوجها خليل من قِبله قبل أن يدخل بها[1].

يقول الكوني :

"أن اغتيال رجل في وزن بعلها بتلك الطريقة القبيحة كان عملاً لا يغتفر "[2].

تتفق كلَّ من كتب التاريخ وما قاله الروائي ؛ حول موت خليل باشا قبل الدخول على زوجته زينوبة،رغم أننا وجدنا صاحب التذكار يؤكد دخوله[3] ،أما أرملة خليل فقد رفضت أحمد باشا ووعوده لها رفضا شديداً حتى أنها صدّته[4].

كما يقول الكوني أيضا :

"استنكر أن يرفض من قبل امرأة "[5].

---

[1] - ينظرشارل فيرو الحوليات الليبية ص 302 .
[2] - إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص123.
[3] - ينظر ابن غلبون،التذكار،ص224.
[4] - ينظر شارل فيرو،الحوليات الليبية،ص302.
[5] - إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص127.

يشعر القـارىء أن الروائي ،ذكر استنكار الباشا واندهاشه لرفض زينوبة ،بشيء من الاستمتاع لهذا الرفض ،لعل هـذا الرفض قد وافـق نفسية الروائـي تجاه الباشـا.
هـذا وقد عدته المستفيد من قتـل خليل أي المُحَرض . ولكـن تزوجـته أخيراً[1] بعد تدخل سيدي الصيد؛ واقناعـها من قِبـله بحجتين ، الأولى أنهـا ستصبح زوجة داي طرابلس ،والثانية إن زواجها منه سيؤدي إلى انجاب ذرية من الأمراء[2] .
يقول الكوني :
"صاحب الحظ يتولى الأمر جيلاً،وذرية صاحب الحظ تتولى الأمر من بعده أجيالاً "[3].
نلاحظ أن الكاتب أراد التاكيد على ما ذكرته كتب التاريخ؛ على سبب اقنـاع زينوبة بالزواج من الباشا.

كما نلاحظ أن زواج أحمد باشا من زينوبة أرملة خليل باشا[4]، لـم يك بهدف المال بل رضاء لشهوته من امرأة جميلة.
والدليل على ذلك أن أحمد باشا لم يكتف بزواجه من زينوبة، بل طلـب يد ابنة سيدي الصيد نفسه والتي رآها في بيت أبيها ما يثبت أن أحمد باشا كان زير نساء،وتمادياً في الغطرسة لم يطلب يدهـا من أبيـها ،بل أوصلته شهوتـه لتهديـده إن لم يرسلها إليه عروساَ .[5]
يقول الكوني :
"هل قلت أن ترياقـك بين يدي ؟ بلـى ،انـه ابنتـك ! "[6].
يشعر القـارىء أن الكوني أكّـد على اشتهاء الباشا ؛لابنة سيدي الصيد لعل في ذكره لكلمة ترياق وما تحمله من رواق.
يقول الكوني أيضـا :
"عليك أن تهيىء لهـا هودجاً في الغد إذا كنت تريد خيراَ بنفسك وزوجك وابنتك ! "[1].

[1] ـ ينظر رودلفو ميكاكي،طرابلس الغرب تحت حكم الأسرة القرمانلية،ص84.
[2] ـ ينظر شارل فيرو،الحوليات الليبية،ص302.
[3] ـ إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص144.
[4] ـ ينظر ابن غلبون،التذكار،ص224.
[5] ـ ينظر شارل فيرو،الحوليات الليبية ص303 .
[6] ـ إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص349.

نلاحظ فيما سبق أن أسلوب الكونـي؛ انطوى عن التهديد والوعيد من قِبل الباشا أحمد لوالد الفتاة سيدي الصيد تماما كما ذكرت كتب التاريخ[2] ،ذلك لأن سيدي الصيد رفض تزويجه إياهـا،لعلمه بأن لدى الباشا أربعة زوجـات،وإن ابنته سـتكون بهذا الزواج إشباعاً لنزوته،نلاحظ أن الكونـي يعتز بما فعله سيدي الصيد وقبول ابنته الموت بدل زواجها من الباشا، وسبب هـذا الاعتزاز هو انتماء سيدي الصيد للطـوارق، أي أن الكوني يعتز بكرامة الطوارق.

يقول الكوني على لسان أحمد باشا :

" حرصاَ على وحدة البـلاد التي وضعت الأقـدار زمـام أمرها بين يديَّ فأرمـلة الأناؤوطي لكسب أهل المدينة والتركية لذرّ الرماد في عيون الجالـية التركية وبقايا

الانكشارية والجبلية لاسترضاء قبائـل الجبل ، والدرناوية لاستمالـة أهـل برقة "[3].

مما سبق نستنتج ، أن الكونـي جعل المرأة وسيلة يستطيع أحمد القرمانلي من خلالها السيطرة على البلاد ؛ ولم نجد في كتب التاريخ[4] ما يؤكد قولـه حول هؤلاء الأزواج ومدى أهميتهن للباشا في سيطرته على البلاد،ومدى انتهازه لهن لضمان حكمه للإيّالة، لعل الكوني ينظر للمرأة نظرة الوسيلة وفيها تكمن أهميتها.

يقول الكونـي :

أم زنجية باعها أحد قراصنة البحار...بعد أن استخدمها في إشبـاع شهواته على متن سفينته طرداَ للملل في ساعات الكساد.[5]

نلاحـظ الكوني هنا قد أضفى على المرأة دوراً آخر،ألا وهو إشبـاع الشهوات ،أكثر منها أماً وهو الدور الذي كان عليه أن يذكره في بدايـة حديثه عنها،لما تعنيه الأمومة لها من دور أساسي ،لا يمكن تجاهله.

---

[1] - إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،353.
[2] - ينظر شارل فيرو،الحوليات الليبية،ص303.
[3] - إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص351 - 352 .
[4] - ينظر الصادق النيهوم،تاريخنا،الجزء الخامس،ص58 -61.
[5] - ينظر إبراهيم الكوني ،لون اللعنة،ص20.

أن محمد باشا القرمانلي؛ابن زينوبة الطرابلسية[1] ،ولكن ما لم نعلمه هو تعامله مع أمه ،وزوجته أم علي باشا الذي نُصب داي طرابلس بعد وفاة والده[2]؛ذلك لأن بعض كتب التاريخ[3] ،لم تشر للمرأة ودورها في حياة محمد باشا، كما ذكرت عن والده أحمد باشا.

يقول الكوني :

"ابعـاد الولد عن مخادع النساء بل وحتى مرأى النساء،لأن حضور المرأة في عيون الناشئين لعنـة حتى لـو كانت هذه المرأة أماً أو أختاً "[4].

يشعر القـارىء أن الكوني هو من عزل محمد باشا عن النساء لا والده ،ويتبين ذلك حين وصف المرأة باللعنة ،وما يؤكد هذا الشعور هو قول الكوني في إحدى المقابلات التي قد أجريت معه : الشيطـان امرأة [5].

هذا ونستنتج من قول الكوني أنه صاحب هذه النظرة اتجاه المرأة،لأننا وجدنا الطوارق الذين ينتمي إليهم الكوني ،يُجلون المرأة ويحترمونها ،لدرجـة جعلتهم يعطون الأحقية لابن البنت أكثر من ابن الابن[6]

ويقول الكوني :

"متى كان التنقل بين مخادع الزوجات دليلاً علـى حكمة ؟"[7].

يريد الكوني أن يضفي على الروايـة شيئاً من خياله ،حين ذكر تنقل محمد باشا بين مخادع نسـائه؛ لأن كتب التاريخ ،منها الحوليات الليبية[8]، تاريخ طرابلـس الغرب[9]، وتاريخ ليبيا في العصر الحديث[10] لم تذكر هذا.

---

[1] - ينظر رودلفو ميكاكي،طرابلس الغرب تحت حكم الأسرة القرمانلية،ص5- 83.
[2] - ينظر محمود ناجي،تاريخ طرابلس الغرب،ص160 - 161.
[3] - ينظر شارل فيرو،الحوليات الليبية،ص309 - 318.
[4] - إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيدا،ص417 - 418.
[5] - مقابلة أجريت مع إبراهيم الكوني،ضمن برنامج زيارة خاصة بقناة الجزيرة.29 /2009/6 ف.
[6] - ينظر محمد سعيد القشاط،عرب الصحراء الكبرى التوارق،ص217.
[7] - إبراهيم الكوني،في مكان نسكنه في زمان يسكننا ص74.
[8] - ينظر شارل فيرو،الحوليات الليبية،ص309 - 318.
[9] - ينظر محمود ناجي،تاريخ طرابلس الغرب،ص161-162.
[10] - ينظر ن.إ.بروشين،تاريخ ليبيا في العصر الحديث،ص107 - 130.

الفصل الثاني

انحسار دور المرأة في الرواية التاريخية عند الكوني

المبحث الأول:

- **تحقيق شهوة الانتقام في الروايات الثلاث.**

المبحث الثاني:

- **تحقيق شهوة المتعة في الروايات الثلاث.**

- **المبحث الثالث**:

- **تلاشي دور المرأة في الروايات الثلاث**.

- **المبحث الأول**:

تحقيق شهوة الانتقام في الروايات الثلاث:

العدوان لغة :

هو الاعتداء والتَّعَدِّي والعُدوان : الظُّلم ،وقد قالت العرب ،اعتدى فلان عن الحق واعْتدى فوقَ الحقِّ ،كأَن معناه جاز عن الحق إلى الظلم .

والعَدْوَى : طَلَبك إلى والٍ ليُعْدِيكَ على منْ ظَلمك : أي يَنْتَقِم منه[1].

أما العدوان اصطلاحاً :

فيعرف العدوان في علم النفس بأنه :إيذاء للغير أو الذات أو ما يرمز إليهما.[2] كما أنه يُعرف بأنه سلوك يتوجه إلى الغير غالباً ويقصد به أن يعانوا منه نفسياً أو مادياً[3]

الانتقام لغة :

نقم :النِّقِمةُ والنِّقْمةُ :المكافأَة بالعقوبة[4].

أما الانتقام اصطلاحاً :

يطلق في علم النفس على السلوك الذي يقوم به الشخص ردًا لاعتداء عليه من قبل

[1]- ابن منظور، لسان العرب المجلد الخامس عشر ،لاتوجد طبعة،سنة النشر1956 ،دار صادر ، ص33 -34 .

[2] - موسوعة علم النفس الشاملة،المجلد التاسع،لاتوجد طبعة،لاتوجد سنة النشر،Edito Crepsnai Internat ص44.

[3] - عبد المنعم الحفني،موسوعة الطب النفسي،الكتاب الجامع في الاضطرابات النفسية وطرق علاجها نفسياً،المجلد الثاني،لاتوجد طبعة، لاتوجد سنة النشر،مكتبة مدبولي - مصر،ص849.

[4] - ابن منظور،لسان العرب،الجزء الرابع عشر،الطبعة الأولى،سنة النشر2000،دار صادر،ص346.

شخص أخر، وقد يكون الانتقام أشد من العدوان.

هذا وقد كانت شهوة الانتقام حاضرة لدى بعض شخوص روايـات إبراهيم الكونـي فنجده في روايته لون اللعنة يقول :

"كان على القرصان أن يدفع ثمن نزواته الليلية غالياً.كأن الفتاة قررت أن تنتقم لنفسها من جلاّدها فآلت على نفسها أن تنجب له توأماً مكلّلاً بالسواد "[1].

نلاحظ أن كلمة "الانجاب" وردت في النص بعد حرف التأكيد "أن" ما جعل منه انتقاماً مؤكد؛ على الرغم من بدايـة الفقرة بلفظة "كـأن" التي تفيد التقريب لا التأكيد.

أما عن الفعل، فقد تأكد بانجاب التوائم ؛لأنها تأكدت بأن القراصنة لا يحبون أن يكون لهم أطفـالً في عرض البحر على ظهر سُفنهم المتحفزة دائـما للـقرصنة ذلك لكيلا

يكونوا نقـطة ضعفهم ؛عند هجومهم على السفن الأخـرى ، لذا اتخذت من انجـاب الأطفال وسيلة لأنتقامها منه.

ولكن القرصان تنبّـه لـنية الفتاة ،فاتخذ وسيلتها لانتـقام ،نقمة عليها حيث قام بقتل أطفالها أمام ناظريها بطريقة فظيعة.

" قـام بإطعام الأجّـنة المسكينة لأسماك القرش "[2].

كان هذا انتقام القرصان من الفتاة ردًا على إنجابها للأطـفال في المرة الأولـى ولكن ما قـام به القرصان للفتاة يجعلنا نتساءل :هل أنسـى الانتقام القرصان أبوته لهؤلاء الأطفال ؟!.

" استمر هذا البرود حتى عندما شرع القرصان يلقي بصغارها على الحوض المغمور بمياه الملح ليشرقوا بالملح ،ويختنقوا ويموتوا "[3].

وهذا الانتقام الثانـي، الذي قام به القرصان وهو من نوع آخر؛ أي أن القرصان كان يمارس أنواعا من الانتقام ضد هذه الفتاة في قتل أطفالها أمام ناظريـها!

[1] - ابراهيم الكوني،لون اللعنة،ص20.
[2] - ابراهيم الكوني،لون اللعنة، ص 20 .
[3] - إبراهيم الكوني،لون اللعنة،22.

"وأبصر أن الجنيّة انتقمت منه بسكونها بدل أن ينتقم منها، نزع حزامه الجلدي الملتف حول خصره ،وتقدم منها ليبدأ معها مراسم أخرى. ظـلّ يجلدها على مرأى ومسمع من جنوده "[1].

نلاحـظ ان الفتاة قد انتصرت على القرصـان بسكونها؛عندما علمت أنه يريد تعذيبها، مما أدى لازدياد انتقـام القرصـان منها، وذلـك بأن ظـلّ يجلدها

"أمر الأعوان أن يستبيحوا المرأة كتدبير أخير في سيرة الثأر"[2].

إن انتقام القرصـان من الفتاة كان شديدًا ففي بداية انتقامه كان يتخذ من أمومتها وسيلة لقهرها ،وبعد قتله أطفالها ظّل يجلدها ثم أمر باستباحتها من قبل جنوده .

يستمر الكوني في روايته عن الفتاة فيقول:

"باعها بثمن بخس بعد أيام عندما رست سفينته في أوّل مرفأ من مرافىء شبه الجزيرة الإيبيرية "[3].

إن الفتاة قد قضت زمناً طويلاً في رحلة انتـقام بشعة؛في سفينة القرصـان حتى قـام أخيرا ببيعها.

يقول الكونـي أيضـا عن انتقام الفتاة :

"لـم تجد الأَمَـة سبيلاً للإنـتقام غير الوليـد "[4].

علمنا مما سبق أن الأَمـَة استمرت في اتخاذهـا من الوليد سبـيلاً للإنتـقام ،ولـكن نحن نتسـاءل كيف يكـون الانتقام عبر الوليد ،وممن أرادت الانتقـام؟.

ولكننـا نجد إجابة هذا التساؤل في قول الروائي :

" ولكن الرجل اعتاد مع الزمـن أشعارها المسمومة التي اعتادت أن ترجـم بها أبناء جلدته دون أن يخطر بباله يوماً أن مثل هذه التسالـي يمكن أن تتحوّل سمّاً زعافاً في عقل الطفل "[5].

علمـنا من الفقرة السـابقة ؛ أن الأم كانت ترجم البياض وأبناء جلدته في أشعارها،

[1] - إبراهيم الكوني،لون اللعنة،ص22.
[2] - إبراهيم الكوني،لون اللعنة،ص23.
[3] - إبراهيم الكوني،لون اللعنة،ص23.
[4] - إبراهيم الكوني،لون اللعنة،ص25.
[5] - إبراهيم الكوني،لون اللعنة،ص27.

التي كانت تهدهد بها وليدها، وهنا يتبين لنا أنها أرادت الإنتقام من الجنس الأبيض في شخص القرصان.

ويروي الكوني انتقاماً آخر:

" في الليل تسلّل العبد إلى دار صاحب الشكوك وفعل به ما فعل، في الصباح وُجد المسكين في فراشه ميّتاَ، لأن الديدان افترست بطنه "[1].

هذا ما فعله "شلم" بالرجل المُطالب بالبيّنة[2] من "الفاسي" ، عندما ادّعى النبّوة بفاس .

يقول الكوني أيضا :

" أهل فاس بعثوا له برسول يدعوه للخروج من المدينة في مهلة أقصاها صباح الغد "[3].

من هذا القول ،نرى أن أهالي فاس طردوا مدّعي النبّوة "الفاسي" بعد مقتل الرجل الذي طالبهُ بالبيّنة.

ولكن القارىء يشعر بأن الكوني قصد انتقام أهالي فاس من صاحب الخنوس"الفاسي" لأن النفي أقسى على الفاسي من القصاص، ولكننا لا نعده انتقاماَ بل قصاصاَ لعله يكون عادلاً.

نلاحظ شهوة الانتقام بدأت تزداد لدى الروائي ؛حيث نجده يروي كيفية الانتقام من شخص إلى عدة أشخاص ،بدل أن كان بين شخصين" القرصان والفتاة".

يقول الكوني عن النوع الثاني من الانتقام :

" تقطع الطريق على الجوهرة المسحورة التي تغذّي ممالك الشمال الراقدة على شطوط البحار فننتقم لنفسك ولي من هؤلاء الأوباش القائمين على أمرها الذين خذلونا بدل أن يجيرونا "[4].

---

[1]- إبراهيم الكوني ،لون اللعنة،ص 113 .

[2] - بان التبيين :الايضاح،تبينت :الأمر أي تأملته وتوسمته ،التبيين:التثبت في الأمر والتَّاني فيه، ابن منظور،لسان العرب،المجلد الثاني، ص198 - 199.

[3] - إبراهيم الكوني،لون اللعنة،ص114.

[4] - إبراهيم الكوني،لون اللعنة،ص131.

ما يتبين لنا مما سبق أن شلم يريد الانتـقام من ممالك الشمال جرّاء طردهم له وسيده "الفاسي" بَدَل أن يجيروه .

وهذا الانتـقام ؛ يكون بالاستيلاء على الجوهرة التي تغدي ممالك الشمال .

يقول الكوني على لسان الفاسي :

"الملثمون !أراهن برأسي أن الملثمين هم من أردت أن ننزل على رؤوسهم انتقامنا!"[1]

بهذا القـول نلاحـظ أن شلـم أراد الانتـقام من الطوارق ؛ لأنهم حمـاة القوافـل إن هـذا الانتقام الذي أراده شلم للطوارق؛ هو انتقام مسبق لهم لأن الكوني متأكد من حمايتهم كل التأكيد؛ ولعله علم مدى قوة دفاعهم عن القوافـل.

هذا ما قصده الكوني بالانتقام في هذا القول ؛لأن الانتقـام يبين مـدى قـوة الطوارق ومكانتهم التي يفخر بها الكوني نفسه .

يقول الكونـي :

" فمـا كان من الفـارس إلا أن فـزّ إلى السوط "[2].

ما ورد في القول السابق ؛ هو عقـاب لا انتقام ولو عُدَ ما قام به الفـارس انتقاماً من العبـد جَرَاء نيةً أضمرها العبد للـفارس؛ فهي نيـة في القلب أي أنـها "مبطنة" ولم يقـم العبد بتنفيذها، فلا يصح لنا أن نطلق عليها انتقاماً .

يَردُ الانتقام في قول الكونـي :

" مات صاحب العبد ميتة غامضة بعد أشهر فحامت الشكوك حول العبد "[3].

ما رواه الكوني عن بطله الخيالي "شلم" ما جعلنا نقول لعله هو من قتل الفارس انتقاما منه لتعذيبه إيـاه.

يقول الروائي :

" أنت لا تعلم أننا لانحيا لكي ننال السعادة ،ولكننا نحيا لننتقم!"[4].

---

[1] - إبراهيم الكوني،لون اللعنة،ص132.
[2] - إبراهيم الكوني،لون اللعنة،ص146.
[3] - إبراهيم الكوني،لون اللعنة،ص148.
[4] - إبراهيم الكوني،لون اللعنة،ص205.

هـذا تصريح من الكونـي على لسان شلم وقد اتخذ منه وسيلة لهذا التصريح أي أن "وراء الأكمة ما وراءها"؛ ولكن ممن أراد الكوني الانتـقام ؟ ولماذا؟!.

يقول الكوني أيضا :

"واليـوم عندما أقتـصُّ منـك إنما أنـتقم لهؤلاء جميعا !"[1] .

هـذا ما قالـه شلم لسيده الفاسي عندما اقتربت ساعة الانتـقام، ولكن شلـم ازدادت شهوة انتقامه، حتى أراد أن ينتقم لكل شخص آذاه الفاسي .

يكمل الكـوني عن انتقـام شلـم من سيده فيقول :

" سمعوا ارتطام بَدَنَ سيّـد القصر بمياه البـئر "[2].

هذا ما قـام به شلـم للفاسي ؛ لا لأن شلـم لا يعرف إلا هذه الطريقة في الانتقـام، ولكن لأنه أراد أن يفعل به مثلما فعل الفـاسي بالأطـفال، الذين أغرقهم في صندوق خشبي مليء بمياه البحر.

ويضيف الكوني انتقاماً من نوع آخر حين يقول :

" كـأن الخنّاس أراد أن يثـأر لنفسه من قرينه الذي قرأ فيه ببصيرته الخرافية نوايا الشرّ، فدّون تلك الوصايا التي تشنّع بالعبودية،وبحملة الروح العبودية ،حتّى أن الناس" الظامئين إلى الحقيقة ظمأهم إلى حطام الدنيا" تناقلوها كما تناقل أهل الصحراء وصايا ناموسهم المفقود "آنهي" ليكون لهم دستوراً يهتدون به برغم ضياعه"[3].

إن الفاسي كان على علم بكراهية شلم له،حيث قام بتدوين وصايا ضده ؛وبعد أن قتله شلم شاعت تلك الوصايا بين الناس .

يُعد هـذا انتـقامًا،ولكنه إنتقامً نفسي لا جسمي كما عودنا الروائـي في ذكره للانتقام فعلى سبيل المثال لا الحصر نجد أصنافاً من الإنتقام مبتوتة ،في ثنايـا رواياته الثلاثة ففي لون اللعـنة تعددت ألوان انتقام القرصان من الفتاة من ضرب،وجـلد، وبيع وفي المقابل تحولت الفتاة المضطهدة إلى منتقمة من جلادهـا، ولكنه انتـقام سلبي بلاعنف شمل

[1] - ابراهيم الكوني،لون اللعنة ،ص 210 .
[2] - إبراهيم الكوني،لون اللعنة،ص211.
[3] - إبراهيم الكوني،لون اللعنة،ص213 - 214.

الفاسي وبني جلدته وهو أشد أنواع الانتقام ،وذم لبني جلدة الفاسي من قِبل الفتاة، وطردٍ للفاسي من قِبل أهالي فاس،والاعتداء على حماة القوافل والمماليك بالقوة، وانتقام شلم من الفاسي بقتله،وأخيراً انتقام الفاسي من شلم بما أودعه من وصايا ضده.

أما في نداء ما كان بعيداً فيقول الكوني :

"هو طفل ! ولكنه الطفل الذي عليه أن يدبّر الانتقام إذا شاء أن يبرهن لنفسه على أنه جدير بلقب طفل !"[1].

ولكن هل الطفولة تساوي الانتقام كما أرادها الكوني ،أو أن الطفولة تساوي البراءة[2] كما أرادها الله .

يتحدث الكوني فيما سبق، عن أحمد باشا القره مانلي الطفل،ولكن الطفولة براءة كما أسلفنا،فما صلتها بالانتقام؟ ،وكيف يكون الانتقام شرطاً للبراءة عند الكوني ؟ .

إن الانتقام ليس شرطاً للبراءة، فهواعتداء وظلم وحقد ،بينما البراءة صفاء وطهارة فطرية .

يقول الكوني :

فإن زواج أبي مويس من كريمة المغدور ابن الجن أمر كفيل بأن يلبسه جبّة الغريم الذي يبيّت النية في الانتقام ويتأهب للوثوب على عرش السلطة في أول فرصة[3].

مما سبق علمنا أن أبا مويس كافأه أبن الجن بتزويجه ابنته، ولكن الكوني يذكر أن أبا مويس انتقم منه،بأن قتله غدراً ولكن هل الانتقام هو:المكافأة بالعقوبة؟.

وهل قُصد أن ابن الجن عندما زوجّ ابنته لأبي مويس الإساءة لهذا استحق الانتقام من قِبله؟.

يقول الكوني :

" حرّر الرسالة التي ستردّ الكيد الى نحر صاحب الكيد ،وتحفر الحفرة التي سيقع فيها حافر الحفرة "[4].

---

[1] - ابراهيم الكوني ،نداء ما كان بعيدا، ص 23 .

[2] - البَرِيءُ:المُتَنَحِّي عن الباطل والكذب،البعيد من التهم،النَّقِيُّ القَّلْبِ من الشرك،ابن منظور،لسان العرب،المجلد الثاني،ص48.

[3] - ينظر إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص25.

[4] - إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص25.

علمنا مما سبق أن أحمد باشا كتب رسالة أخرى ، بدل التي أرسله بها أبو مويس إلى زعيم المحاميد (حاكم غريان)،عندما علِم بمحتواها الذي ينص على قتله بأمرٍ منه، هنا يتبين انتقام أحمد باشا من أبي مويس .

لعل ما فعله أحمد باشا برسالة أبي مويس،هو ما وظَّفَهُ الكوني من تاريخ الأدب لخدمة نصه عندما أراد عمرو بن هند قتل المتلمس وطرفة بن العبد لهجائهما إياه ، فأرسلهما بكتابين إلى عامله بالبحرين ،وأوهمهما أنه كتب لهما بالجوائز، ولكن شك المتلمس في كتابه فوجد فيه أمراً بقتله، وهو ما وافق شك أحمد القره مانلي برسالة أبي مويس كما وافق أمر قتله[1].

يقول الكوني :

"لا يستطيع أن ينكر أن وسواساً تململ في صدره يوم فوجىء بترقيته الى مرتبة "باش آغا" خلفاً للوالد ليجد نفسه على رأس جيش من خيّالة الساحل وكذلك المنشية، هذه الترقية هي التي أجّجت نهمه لنيل المزيد بدل أن تروي ظمأه من منصب لم يخطر له على بال "[2].

نشعر بأن الكوني ،يقول إن الترقية حركت في نفس أحمد باشا الطمع ولهذا أراد الباشا الانتقام،إلا أننا نقول إن التاريخ يعيد نفسه فهذا أبو مويس يكافىء ابن الجن على ترقيته وتزويجه ابنته ،بأن يستولي على السلطة منه وبالمقابل فإن أحمد باشا كافأ أبا مويس على ترقيته بأن استولى على السلطة منه،وإن اختلفت الطريقة، مما يدفعنا للقول بأن الفكرة التي كانت مسيطرة على الكوني أثناء كتابته هي"اتق شر من أحسنت إليه "، وإن لم يصرح بها علناً.

هذا ويستمر الكوني في حديثه عن الانتقام ،ولكن بالمغالطة؛ حيث نجده يقول:

" ثمن الاحسان دائما انتقام ! "[3].

---

[1] - ينظر طه حسين،في الأدب الجاهلي،الطبعة الثانية عشر،لاتوجد سنة نشر - دار المعارف،ص226.

[2] - إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص 39 .

[3] - إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص64.

فـإذا كانت الفكرة الأولـى المسيطرة عليه تحذيـرية وغير ظاهرة ، فإن هذه الفكرة تقريرية.وكأني به اعتنق مبدأ الشاعر الذي يقول :

لاَ يَكُـنْ ظَنُّـكُ إلاَّ سَيِّـئاً إنَّ سوءَ الظَّنِ مِنُ أقوى الفِطَنْ

مَا رمَى الإنسَانَ في مَخْمَصَةٍ غَيُر حَسنِ الظَّنِ وَالقولِ الحَسَن[1]

وفي إضافة أخرى يقول الكوني أيضا على لسان أحمد القره مانلي:

" بالطبع ينتقم بل أنه لن يفكّر بشيء بعد أن يستعيد الحياة التي وهبتها له بجرعة الماء بغير الانتقام منك شر انتقام "[2].

علمنا مما سبق ،أن الكونـي يتحدث بثقة في أن الانتقـام يكون جزاء الإحسان وكأنه

يؤصل للانتقام في النفس البشرية.

وفي هذا المضمار قال أحدهم للآخر إني أكره فلاناً، فما كان من الآخر إلا أن أخرج له سلاحاً وقـال له اذهب واقتله فرد عليه لايصل الأمر إلى هذا الحد فأجاب صاحبه اصمت عليك ألا تعهر هذه الكلمة مرة ثانية، ويقصد بها كلمة "الكراهية". يكون جزاء الإحسان ،كأنه يؤصل بذلك للانتقام في النفس البشرية.

ولعل الانتقام يرتبط باللؤم، كما يقول المتنبي:

إِذَا أَنْـُتَ أَكْرَمْتَ الْكَرِيمَ، مَلَكْتَهُ وَإِنْ أَنَْتَ أَكْرَمْتَ الئيمَ تَمَرَّدَا[3].

ويضيف الكوني :

" حاصروه في القلعة في نيّة لقتله شرّ قتلة انتقاماً لقيامه بقمع انتفاضتهم التي قاموا بها منذ شهور احتجاجاً على فرضه الغرامات "[4].

ورد هذا القـول في الحديث عن ما فعله أهالي تاجوراء ؛بشعبان بك أخي أحمد باشا، وقد وظف الكونـي هنا هـذا الحدث التاريخي لإثبات ما ذهب إليه من آراء حـول

---

[1] ـ ديوان أبو عبد الله محمد بن أدريس الشافعي،جمع وتحقيق وشرح اميل بديع يعقوب،الطبعة السادسة،سنة النشر 2001 ،دار الكتاب العربي،بيروت/لبنان،ص136.

[2] ـ إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص64.

[3] ـ ديوان أبي الطيب أحمد بن الحسين الشهير بالمتنبي،لاتوجدطبعة،لاتوجد سنة نشر،طبع بمطابع الزهراء للإعلام العربي،مصر، ص 281.

[4] ـ ابراهيم الكوني،نداء ما كان بعيدا ص152.

الانتـقام وعندما قبض أحمد باشـا على قاتـل أخيه شعبان وهو ولـد الرايس، نجد الكونـي يشكك في أن يكون الانتقام وحده كافياً ليشفي غليل أحمد باشا.

يقول الكونـي في ذلك :

"يتم القبض عليه لينال القصاص. القصـاص الذي سيهوّن عليه القصـاص الذي سيشفي غليله.ولكن هل يداوي قصاص الانتقام الغليل حقاً "[1].

يقول الكونـي :

" خرج له القرمانلي كـالقدر ليلـقنه الدرس الذي لم يخطر له على بال ولم يُقدّر له أن ينساه عبر كل ما تبقى له من أيام فقد انهزمت قواته شرّ هزيمة"[2].

ولعـل أسباب هذا الانتـقام ترجع إلى أن الأدغـم والترياقـي،كانـا قد رفـعا راية

العصيان ضد أحمد باشا للاستيلاء على عرش طرابلس. لذا خرج عليهما القره مانلي وشتت جيشهم وهزمهم شر هزيمة.

وحول انتقام أحمد باشا من رهبان إرسالية النصارى لتعرض حجيج المسلمين للإهانة والضرب من قبل الفرنسيين ،وعلى مذهب الثأرات "كان خداك البدوي خد بن عمه"[3].

قام أحمد باشا بأخذ رهبان النصارى، وسجنهم وأغلق كنيستهم وفي هذا يقول الكوني:

"أصدر أمـراً بإلـقاء القبض على رهبان إرسـالية النصارى وتكبـيلهم بالسلاسـل واقتـيادهم إلى الأقبية "[4].

هذا ما قام بفعله أحمد باشا رداً على ما فعلوه بالحجـيج ،من ضرب وسجن وتعذيب وفيما أظن أن هذا الفعل يكون قصاصاً عادلاً ناهيك عن جعله انتقاماً ذلـك لأن الباشا لم يقم بتعذيب المعتدين من الفرنسيين.

يقول الكونـي :

"تقول أن الأبناء الذين ننجبهم من البطون يولدون وهم ظامئون إلى الانتقام، ولهذا فإن أنبل ما يفعلونه بالآباء هو أن يفرّوا من الآباء لأنهم إن لم يفرّوا فإنهم كثيراً ما تسوّل

---

[1] - إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص243.

[2] - إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص199.

[3] - مثل شعبي ليبي.

[4] - إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص269.

لهم نفوسهم الانتقام من الآباء بالتطاول على الآباء "[1].

يذكر الكوني أن كيفية الانتقام تكون إما بالفرار أو بالتطاول ،ولكننا نجزم أن ما جاء به الكوني نكراناً وجحوداً لا انتقاماً، وإذا سلمنا بما جاء به الكوني فما الخطيئة التي ارتكبها الآباء في حق الأبناء لتوجب عليهم الانتقام منهم؟!.

إلا إذا كان الأمر يتعلق بالاستيلاء على الحكم.

ويبدو أن الكوني لا يستقر على حال من حالات الانتقام، فمرة يجعل الأبناء ينتقمون من الآباء، ومرة يجعل الآباء ينتقمون من الأبناء من ذلك قوله :

"لقد عمل على قمعه منذ الطفولة المبكّرة مذكّراً إياه بأنه مجردّ ظل ،ولن يفلح إلى الأبد في أن يصير أصلاً. وقد اختاره على رأس الحملة إلى "فزان" لا ليجعله في

مواجهة مع قدره، ولكن ليستخف به، وقد عبرعن هذا الاستخفاف أصدق تعبير يوم أصدر قراره بإلغاء العفو على حاكم فزّان نكاية به ،ثم جاء بـ "الناصر"الشقيّ مكبلا بالأغلال لينكّل به"[2].

ولكننا نقول إن ماجاء به الكوني في الفقرة الأخيرة لايُعد انتقاماً ولاقمعاً ،بل يُعد نوعاً من التدريب والإعداد للابن ليكون خليفة قوياً لأبيه بعد رحيله ،وإن حاول الكوني جاهداً في أثبات أن ما قام به أحمد باشا لابنه كان انتقاماً،لهذا نراه يقول مرة أخرى :

" لقد فعل ما فعل انتقاماً منه هو. فعل ما فعل استصغاراً لانتصاره،وتسفيها لفلاحه، واستهانةً بشخصه"[3].

يبدو أن الكوني لا يسير على وتيرة واحدة في مفهوم الانتقام وأسبابه،فمرة الانتقام جزاء الإحسان، ومرة يرى أن انتقام الأقدار أشد من انتقام صاحب الدنيا يقول في ذلك :

" انتقام الأقدار أشدّ من انتقام صاحب الدنيا !"[4].

ويخلص الكوني في النهاية إلى أن الانتقام شر مطلق ويوصي بعدم اتيانه يقول :

---

[1] - إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص291.
[2] - إبراهيم الكوني،في مكان نسكنه في زمان يسكننا،ص94.
[3] - إبراهيم الكوني،في مكان نسكنه في زمان يسكننا،ص94.
[4] - إبراهيم الكوني،نداء ماكان بعيداً،ص455.

" لا تفعل شيئاً على سبيل الانتقام أبداً "[1].

هذا وينتقل الكوني للحديث عن نوع آخر من الانتقام السلطوي ،ولكن بأداة خاريجية.

يقول الكوني :

" إن فرنسا بدأت في تصنيع أسلحة فتّاكة خصيصاً للانتقام من القرمانلي "[2].

وهذا يوافق ما ذهب إليه صاحب الحوليات من أن الفرنسيين فعلاً بدأوا في التجهيز لحملة تأديبية ضد أحمد باشا لاعتدائه على الجاليات الفرنسية في ليبيا من جهة، ولأعمال القرصنة التي كان يباركها ويستفيد منها من جهة ثانية[3].

ولا يفتأ الكوني ليضع خلاصة تجاربه الحياتية بين الفينة والفينة في ثنايا هذه الرواية

من ذلك قوله :

" أمّا إذا تمرّد صاحب السلطان على هذا النظام فسوف يعضّ بنان الندم .لأن الخدم "أو العسس " سوف ينتقمون منه شر إنتقام. لأن الخدم سوف يخذلونه في الوقت المناسب "[4]

إذاً فالكوني ذكر فيما سبق، كيفية انتقام الرعية من صاحب السلطة وهذا الانتقام يكون بتخليهم عنه، في وقت حاجته إليهم.

هذا وكثيراً ما تظهر حكمة الكوني على لسان سيدي الصيد الذي جعله الكوني دائماً مصدر الحكمة ،وصاحب المشورة الأول ، والملجأ الروحي لأحمد باشا من ذلك قوله على لسان سيدي الصيد مخاطباً أحمد باشا :

يقول الكوني :

"أقف أمامك اليوم بضمير نقيّ،وهو ما لا تستطيع يا سعادة الباشا أن تقوله عن نفسه لأنك خنت الإنسان الذي أحسن لك مراراً وأردت أن تلطّخ شرفه بالعار جزاء هذا الإحسان.أردت أن تنتقم منه شرّ انتقام لأن الناس لابّد أن يردّوا الإحسان انتقاماً !"[5].

هذا ما قاله سيدي الصيد للقره مانلي، عقب موت ابنته حيث أن سيدي الصيد عدّ ما

[1] - إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص455.
[2] - إبراهيم الكوني،نداء ماكان بعيداً،ص329.
[3] - ينظر شارل فيرو،الحوليات الليبية، ص285.
[4] - إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص 347.
[5] - إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص359.

فعله القره مانلي انتقاما منه؛ لأنه أراد ابنته لإشبـاع نزوة مقابل إحسان سيدي الصيد له ،وهذا يوافق قول الحكماء :

أن النفس الخبيثة لا تخرج من الدنيا ،حتى تسيء لمن أحسن إليها.لأن سيدي الصيد لم يضّر القره مانلي أو يعاديه بل كان صديقه الحميم.

ويؤكد صاحب الحوليات ما جاء به الكونـي من أن سيدي الصيد قد تضرع إلى النبي بأن يعمي أحمد باشا فكـان له ما أراد .وإن كان ما أورده صاحب الحوليات هو من باب الأمانة العلمية لما كانت تتناقله العامة لأسباب فقدان أحمد باشا البصر[1].

يقول الكوني على لسان سيدي الصيد :

"فانتقامـي لم يتوقف عند حد حرمانـك من إرضاء شهوتـك الآثمة، ولكن الثمن هو فقدان البصر في هاتيـن العينـين اللتين أبصرت بهما ابنتي الوحيدة فكانـتا سبباً في هلاكها وهلاكي !"[2].

ويُعد هـذا الانتقام الثاني لـسيدي الصيد من الباشا ،حيث كان إعطاء العـقار لابنته وموتها الانتقام الأول من الباشا، أما الانتقام الثاني فكان فقدان الباشا البصر.

ويضيف الكوني فيقول :

" ساعة أبلغوه ،أثناء خلوة الخباء، بنبأ تمردّ صاحب "فزّان" "[3].

إن تمردّ صاحب فزان ،كان انتقاماً من القره مانلي لأنه يريد منهم أن يدفعوا المكوس.

نستنتج أن الانتقام تعدد وتنوع في الروايات الثلاث ،ولكنه في رواية (في مكان نسكنه في زمان يسكننا) لم يذكره الكوني بالقدر الذي ذُكر في الروايتين الأخريين.

[1] - ينظر شارل فيرو،الحوليات الليبية،ص304.
[2] - إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص362.
[3] - إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص420.

▪ المبحث الثاني:

تحقيق شهوة المتعة في الروايات الثلاث:

يقول الكوني :

" فقد استدرج أباه المزعوم ليغرقه في النهر، وقد تعجّب أهل البلاد من هذه الفعلة الشنيعة "[1] .

هذا ما فعله شلم بطل الكوني الخيالي في روايته "لون اللعنة" إنتقاماً من الرجل الذي ربّاه، وكان له والداً فما كان من شلم ؛ إلاّ أن أغرقه في النهر جزاء إحسانه.

كما يقول الكاتب أيضاً :

""لقد أتيت لكِ بالدواء .سوف تشفين ! " توسّلت المسكينة مرة أخرى: "لا أريد أن أموت!" فعاد الرجيم يغنيّ أغنيته الغربية قبل أن يقول : " جئتك بالدواء الذي سيشفيك إلى الأبد !".بعدها هيمن صمت. خيّل للجارة أنها سمعت حشرجة مكتومة قبل أن يسود في المكان سكون الأموات "[2].

كان هذا انتقام الابن "شلم" من إمه ،عندما قتلها جزاءً لرعايتها إياه واهتمامها به أما عن السبب الذي جعله يقوم بهذا الفعل الشنيع لأنها قد أنجبته،وهذا السبب ليس كافياً؛لأن النساء كلهن ينجبن ولا يلاقين نفس المصير.

يلاحظ القارىء لما سبق،مدى متعة شلم بقتل أمه وتلذذه بذلك ،وقد أضاف الكوني في إيضاح متعته ؛في ذكره لإيجاد الدواء من قِبل الابن لأمه .

---

[1] - ابراهيم الكوني ،لون اللعنة، ص 48 .

[2] - إبراهيم الكوني،لون اللعنة،ص50.

لأن الدواء يريـح المرضى، ووجوده يضفي السعادة لنفوسّهم ومدى محبتنا لهم ومدى سعادتنا لشفائهم. ولكن هذه السعادة تكمن في موت الأم لا شفائها ،ولعل هذا هو سبب المتعة هنا وبذا نستطيع أن نقول مطمئنين بأن شلم كان يُعاني من مرض نفسي اسمه، السادية Sadism [1]وهو:التمتع بألم الآخرين[2] ويبدو أنه في مرحلة متقدمة حتى وصل به الحال لقتل أمه.

وفي هذا يُضيف الكونـي تعليقاً على الأغنية التي كان يتلـذذ بها شلم وهو يُقدم لأمه

الموت :

" إلى حد جعل أحدهم يعقد مقارنة بين أشعاره تلك و بين الأشعار التي نظمها الطاغية نيرون في يوم الحريق الذي التهم رومـا فاعتلى الرابية المشرفة على المدينة لـيغنّي أبياتـاَ جادت بهـا قريحته المريضة احتفاء بزوال أم الدنيا "[3].

إن شلـم نظم أبياتاً شعرية، دليلاً على شدة فرحه ومتعته وهو يُذيق أمه كأس الردى، ولكن هل هناك فرق بين أن يقتل الإنسان أمـه التي أنجبته وبين أن يقتل الإنسان أمه الوطن؟.

إن قتل أيٍّ منهما وعلى يد أحد أبنائها يدل دلالة لا لبس فيها على ما يعانيه القاتل من مرض نفسي.

أراد الكوني أن يذكرنا بمن هو أشبه حالاً بشلم، من الشخصيات التاريخية فلم يجد إلا نيرون[4] الطاغية الذي أمتعه حريق مدينته لدرجة جلوسه على قمة مقابلة لها وإنشاده للأشعار الدالة على المتعة[5].

وكم كنت أتمنى لو أن الكوني استقى خياله من التاريخ المعاصر الحاضر بيننا بما قام ويقوم به الجنود الأمريكيون من حرق للعـراق أو أفغانستان بدم بـارد وهم في غاية

---

[1] ـ مجدي وهبه/كامل المهندس،معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب،ص110.

[2] ـ ينظر فرج عبد القادر طه،معجم علم النفس والتحليل النفسي،الطبعة الأولى،لاتوجد سنة نشر،دار النهضة/مصر،ص223.

[3] ـ ابراهيم الكوني ،لون اللعنة ص 67

[4] ـ إمبراطور روماني،حكم روما أربعة عشر سنة،وتشتهر فترة حكمه بالحريق الذي دمر كثيرا من روما سنة 64،والذي بنى نيرون قصراً ضخماً وسط المنطقة المحترقة.
الموسوعة العربية العالمية، الطبعة الثانية،سنة النشر1999،الناشر/المملكة العربية السعودية،ص621.

[5] ـ ينظر الصادق النيهوم،تاريخنا،الجزء الثالث،ص40.

المتعة وكأن قلوبهم قدت من صخر،ولو أن الشبه الذي جاء به الكوني كان أقرب ؛لأن نيرون حرق أمه روما وشلم حرق أمه التي أنجبته،ولكن من جاء بالأمريكيين ليحرقوا العراق أو أفغانستان ألا يكونـون مثل نيرون ! وللتدليـل أكثر نقول إن ما حصل في سجن بو غريب على يد الجندية " لـيذي انجلند " LYNNDIE ENGLAND التي لـم يشف غليلها سجن العراقيين ،بل تمتعت بإهانة كرامة الإنسانية فيهم حين التقطت الصور معهم وهي ضاحكة وهم في قمة إذلالـهم وذعرهم من كلاب الشرطـة وهي

تشير إلى أجسادهم العارية بإستهزاء[1].

كل ما سبق ذكره ،يجعلنا نتساءل أي متعة تنتاب الإنسان أمام هذه المناظر ؟!.

إن كانت مجرد الدراسة والاطلاع على هذه الإسـاءة تُدمي القلـوب !.

يقول الكونـي :

" ويبدو أن سليل الظلمات اعتاد من سيّده مثل هذه النزوات الجنونية، فهبَّ واقفاً لينزع جلبابه في غمضة.نزع اللباس وركع أرضاً استعداداً لنيل القصاص "[2].

إن للـمتعة أنواعاً، وما ذكره الكونـي في الفقرة السـابقة كان أحدهـا وهو التعذيب كجلد الفاسي لشلم عندما كان ينزعج منه ولا يجد ما يستمتع به سواء جلده.

يقول الكوني في موضع آخر ذاكراً تنكيل الفاسي لشلم :

"ونكّـل به لأتـفه سبب ،وأحيانـاً بلا سبب "[3].

لاحـظ أن الروائي عندما ذكر الـفاسي يربطه بشده التعطش للتعذيب ،لعل هذا يؤدي غرضـاَ مخفياً لنفسية الروائي الذي يقول عن الفاسي:

"إلا أنه لم يتوقف لا عن ارتكاب آثـامه، ولا عن التلـذّذ بترديد سيرة التـهام اللـحم البشري النيّء "[4]

[1] - ينظر محمد بسيوني، العار الأمريكي،الطبعة الأولى،سنة النشر 2005 - دار الكتاب العربي،ص191.
[2] - إبراهيم الكوني،لون اللعنة،ص81.
[3] - إبراهيم الكوني،لون اللعنة،ص85.
[4] - إبراهيم الكوني،لون اللعنة،ص89.

إن الكوني قد بالغ فيما سبق،ذكره لمتعة أكل الفاسي للحم البشري ومتعة ترديده لسيرة أكل هذا النوع من اللحوم.

أما النوع الآخر للمتعة كما ذكره الكوني، فهو انتهازية السلطة حيث يقول:

" تبادلا التهنئة على نجاحهما في إشعال الفتنة بين القبيلتين يوم قاما بإرسال جندهما سرّاً إلى حدود " آزجر" الغربية لنهب القافلة وأسر نساء العشيرة متنكّرين في أزياء الملثمين،مردّدين بمناسبةو بلامناسبة المزاعم التي تؤكّد انتماءهم إلى فرسان"آهجّار"[1].

تتجلى فيما سبق ، متعة الفاسي في إشعاله فتيل نار الفتن بين القبيلتين ليتسنى له

الوصول لمبتغاه وهو السلطة.

يتحدث الكوني عن أحمد باشا فيقول :

تخلّى عن السرادق ورجع ليختلي بنفسه في الخباء داخل السراي. هناك استسلم للخلوة استسلم للذّة.استسلم لذلك النوع من اللذّات التي لن يعرف حلاوتها إلا من حمل العصا وارتحل مصمّماً أن يمضي في هجرته إلى الأبد .ولكن ... أليس مريباً أن يجمع في عشقه بين الخلوة وبين غريمتها الخالدة :السلطة ؟[2].

ما أراد الروائي قوله فيما سبق،هو أن متعة الباشا كانت في الخلوة بنفسه.فكيف يجمع بينهما وما الخلوة بواحدة منها ؟!.

ذلك لأن السلطان هو امتلاك لجميع المتع من أموال، ونساء ،وأولاد.

لعل الروائي قصد من قوله ،أن الباشا أراد متعة الروح لا الجسد والسلطة متعة الجسد لا الروح .

يقول الكوني :

" لو كان الأمر كما تقولين لماذا يُدخل الباشا إلى مخدعه امرأة أخرى ما أن خرجتُ من قصر المنشية ؟. لأن الباشا رجل يا مولاتي ،و فوق ذلك سلطان.يفعل الرجال ذلك بسبب الملل "[3].

---

[1] - إبراهيم الكوني،لون اللعنة،ص140.

[2] - ينظر إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص95.

[3] - إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص306.

ما قاله الكونـي سابـقاً،يؤكد ما استنتجناه سابقاَ عن متعة الجسد والسلـطة، ومن أن الباشا يتلذّذ بهما لذا قَـدِم بامرأة لمخدعه.

يقول الكوني :

" الناس يتكلّمون فيقولون إن الكنز بلبل عقلك فذهبتَ لتمتلك به النسـاء بدل أن تنفقه على حاجات الإيالة "[1].

ذكر الكوني حديث سيدي الصيد لأحمد باشا، وما أراد قولـه أن الباشا يستمتع بأموال الإيـالة فى إشباع لذّاته على حساب قضاء حاجات الإيالة في تصرف غير مسؤول ،

وهذا ما نسميه بلذة[2] أو متعة المال.

سطوة المال ولذتـه عندما تحققت دفعت إلى المطـالبة بلذة أخرى تصحبه دائماُ هي طلب اللذة عند النساء.

يقول الكوني :

"لأنـك تريد أن تنال اللذّة وتتنصّل من دفع ثمن اللذّة ككل الأوغاد ! لأنك لا تريد أن تنال من بطن الأَمَة ثمرة موسومة باللعنة ! ظننتُ أن الابن يستطيع أن يحبّ أباه. "[3].

هذا ما قاله شلم للفاسي،الذي اتخذ الأمة جسداً لإشباع لذاته الليلية دون أن يعطيها أدنى حق ، متجاهلاً بذلك إنسانيتها.

ودون حتى أن يدفع حق هذه المتعة الليلية بأبوته لأطـفالها، بل كان ناكراَ لهذه الأبوة مهتماً بلذته فقط، وسبب هذه القوة والجبروت عائـداً، لأنه قرصان السفينة، وما يتاح له لا يتاح لغيره.

وهذا يخالف ما قام به أحمد باشا، على الأقل من وجهة نظر الكونـي فإذا كان الفاسي فعل ما فعل طلباً للذة فإن أحمد باشا فعل ما فعل قتلاً للسأم والملل حين يقول الكوني: "لو كان الأمر كما تقولين لماذا يُدْخل الباشا إلى مخدعه امرأة ما أن خرجتُ من قصر

---

[1] - إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص311.

[2] - اللَّذَّةُ:نقيض الألم،واحدة اللذات،لذَّة ولَذَّ به يَلِذّا لَذاً ولذاذه والتَّلَذُّ والتلذّ به واستلذه:عده لذيذاً.أي المشتهى.
ينظر ابن منظور،لسان العرب،المجلد الثالث عشر،ص192.

[3] - إبراهيم الكوني،لون اللعنة،ص208.

المنشية ؟. لأن الباشا رجل يا مولاتـي وفوق ذلك سلطان. يفعل الرجـال ذلك بسبب الملل "[1].

ذكر الكوني ما دار بين زينوبة زوجة أحمد باشا وخادمتها، وما فهمناه من هذا القول أن لذة السلطان المستبد لا تتوقف عقب زواجه، بل لديه الحق في أن يتلـذذ بمن شاء من النسـاء ،وما اتخاذه لهن كـالجواري إلا ليمتعنه بما لديهن من أنوثـة وجمال، لا لشيء إلا لأنه سلطان مستبد جائر ؛وهن نساء ضعاف كل ما يملكنه هو إرضاء للـذة ذلك الرجـل وطرد الملل عنه.

يقول الكونـي :

" الناس يتكلّمون فيقولون إن الكنز بلـبل عقلك فذهبتَ لتمتلك به النسـاء بدل أن تنفقه على حاجات الإيـالة "[2].

إن ما قاله الكوني يجعلنا ندرك أنه أراد أن الباشا قد قدم لذته بالنسـاء على حاجـات الإيالة، متناسياً أن العرش هو من قدّم له اللذة وإن فـقده فقد معه اللذة والمال.

يقول الكونـي :

" لم أجلب إلى مخدعي قرينات أربع إرضاءً لنـزوة يعلم الله ولكن حرصاً على وحدة البلاد التي وضعت الأقدار زمام أمرهـا بين يدي.فأرملة الأرنـاؤوطي لكسب أهـل المدينة والتركـية لذرّ الرمـاد في عيون الجالية التركية وبقـايا الإنكشارية، والجبلية لاسترضاء قبائل الجبل،والدرناوية لاستمالة أهل برقة وما حول برقة، فأي هذه النساء تريدني أن أطلّق دون أن أزعزع البنيان الذي شيدته بيديّ؟"[3].

الكوني برر لأحمد باشا عدم اتخاده النساء لإشباع نزواته ،ولكنه اتخذهن وسيلة لتثبيت عرشه ، لكـي يستطيع أن يحكم من خلالهن .

يقول الكوني :

"لا أحسبـك تطلب يد ابنـتي لإشـباع نزوة"[4].

---

[1] - إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيدا ص306 .
[2] - إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص311.
[3] - إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص351 - 352.
[4] - إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص351.

هـذا ما قالـه سيدي الصيد لأحمد باشا ،عندما طلـب الباشا يد ابنته لكي يتزوجها ، ولمعرفة سيدي الصيد بالباشا ،من عدم احترامه لزوجته، أم أبنائه ،التي هي في نظره وسيلة لإشباع شهوة، أو تثبيث عرش ،مما أدى إلى صدمة سيدي الصيد وتعجبه ،ذلك لأنه لم يعط أي اهتـمام لزينوبة ولا لغيرها ، بل كان يتعـامل معهن معاملة السلطان المالك لكل شيء، مالـك الجسد ومالـك الروح.
متناسياً أنهن بشر لهن أحاسيس ومشـاعر، إنه يتعامل معهن ،كأنهن قطع من أثـاث السراي تنتهي حاجته بإنتهاء غرضه منه.

لعل القـارىء يشعر أن ما كان يتعامل به الباشا مع نسـاء قصره، هو انعكـاس لما يجول في نفس الكوني ضد المرأة ؛والدليل على ذلك قوله عندما أجريت معه مقابـلة: "المرأة شيطان الإغواء...وإن احترف الرجل مخادع النساء فشل في كل شيء"[1].

[1] ـ مقابلة أجريت مع إبراهيم الكوني،ضمن برنامج زيارة خاصة لقناة الجزيرة،29 /6 /2009 ف.

▪ المبحث الثالث:

تلاشي دور المرأة في الروايات الثلاث:

تُعد المرأة إحدى الركائز المهمة في تكوين الأسرة ؛ومن ثمّ المجتمع فهي الأم والأخت، والزوجة، والابنة، وقبل أن يظهر الإسلام وينصفها،ويعطيها حقها من الرجل؛ كانت مضطهدة مهانة، سواء في عهد الجاهلية ،حيث كانت تُباع وتشترى كالبضائع، تتخذ عنوةً خادمة ليس لديها أدنى حق في امتلاك حريتها .

إن هذا القول بعض من كل، وقد ذكرناه على سبيل المثال؛ لأن ما أصاب المرأة من اضطهاد جدير أن يُكتبْ في كتب.

أما في الإسلام فقد نُسب إلى رسول الله أنه قال عن ابنته فاطمة: " هِيَ بَضْعَةُ مِنِّي يُرِيبُنِي مَا أَرَابَها وَيُؤْذِينِي ماَ آذَاهاَ"[1].

علمنا مدى الأهمية التي كان يُوليها، الرسول ـ ﷺ ـ للمرأة،كما أن القرأن ذكرها، وكرمها فيه حتى أنه أطلق اسمها على سورة من سوره هي سورة "النساء"، كما أوضح الله حقوقها، وواجبات الرجل نحوها بكل تفصيل.

إن هذا يدل على علو مكانتها، في ديننا الإسلامي الحنيف ، ومدى اعترافه بدورها وأهميتها في الأسرة والمجتمع، فهي التي تقوم بإنجابه وتربيته.

أما من الناحية العمل، فقد تمّ "تعيين المرأة في منصب حكومي رفيع في عهد عمر بن الخطاب الذي يُعد من أشداء الخلفاء حرصاً حيث ولّى (الشفاء بنت عبد الله العدوية) شؤون(حسبة السوق) في مكة[2] .

---

[1] ـ أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري،كتاب النكاح،باب الغيرة والإنصلف،الجزء الثالث،لاتوجد طبعة،لاتوجد سنة نشر،دار الفكر العربي،ص265.

[2] ـ ياسر عبد المعطي،بحوث في علم الاجتماع/المرأة في المجتمع،لاتوجد طبعة،سنة النشر2007 ـ دار الكتاب الحديث،ص45.

أما في وقتنا الحاضر فقد بدأت المرأة بأخذ مكانتها في كل المجالات، واعترافاً بما تؤديه من دور فقد ألفت العديد من الكتب عنها[1].

ولعل هذا ما يجعلنا نودُ معرفة دور المرأة في حركية الأحداث في روايات الكوني الثلاث موضوع البحث.

حيث يقول :

شلم ترجع أصوله إلى أمّ زنجيّة باعها أحد قراصنة البحار إلى أحد المرابين التجّار في قرطبة بعد أن استخدمها في إشباع شهواته على متن سفينته طرداً للملل في ساعات الكساد[2] .

نلاحظ أن الكوني ذكر، ما أصاب المرأة الزنجية من إساءة في المعاملة ،وبيعها واتخاذها بكل ظلم لإشباع شهوات الرجال.

نستطيع القول إنه قد نقل إحدى صور المعاملة السيئة للمرأة بكل قتامتها.

يقول الكوني :

"وقد استبشر بالنبأ الذي تلقاه من شفتي اللقية الأخيرة لأنه تذّكر نبوءة عرّاف متجّول أخبره بأنه سوف ينال بغيته من امرأة ولاّدة! فما كان منه إلا أن تقاسم مع الأَمَة المخدع مقرّراً أن يتخذها قرينة. "[3].

جعل الكوني من الولادة صفقة تجعل من الأَمَة زوجة،أي أنه يرفع من حالها ولكن دون تقديرها هي لكونها إمرأة،بل لأنها تنجب الأطفال.

يقول الكوني :

" الأَمَة اللئيمة كانت تدرك هذا السر بغريزتها الأنثوية الفظيعة منذ البداية "[4].

لعل الكوني قصد من قوله للفظة" اللئيمة "حدة التنبه لمجريات الأحداث من حولها

[1] - ينظر محمد فؤاد حجازي،الأسرة والتصنيع،الطبعة الثالثة،سنة النشر1979 - القاهرة،ص190 - 192.
[2] - ينظر إبراهيم الكوني،لون اللعنة،ص19 - 20.
[3] - إبراهيم الكوني،لون اللعنة،ص24.
[4] - إبراهيم الكوني،لون اللعنة،ص25.

ولكن اللؤم:ضد الكرم[1] لا الذكاء رغم أنه قد يتبين لنا أنه يذكر ذكاء المرأة ،والذي من خلاله قدح غريزتها.

يقول الكوني :

"أن الأم التي استطاعت أن تزّوض رجلاً يتوهم أبوّة مزعومة لوليدها الوحيد ،ما لبثت

أن استغلّت تسامحه في شأن تشنيعها بملّة قومه بأشعارها الرهيبة ،فتمادت."[2].

أراد الكوني أن يثبت خداع المرأة ،لدرجة جعلـها قد نسِبتْ طفلاً لرجل ليس والـده، وظلت تخدعه بأبوةً مزعومة.

نلاحظ أن الكوني قد قدَح ونكلّ ؛بهذه المرأة لدرجة يُصور لنا أنه يصف امرأة يعرفها حق المعرفة ، وجعل الرواية وسيلته للنيل منها.

يقول الكوني :

" تابعها بفضول شديد لأنه اكتشف في تلك المرأة التي نكلّت بها الأقدار امرأة أخرى ، خفّية،لـم يعرفها قبل ذلك اليوم "[3].

إن الروائي جعل انتماء هذه المرأة، لعالم الخفاء جرّاء ما أصابها من مصائب الدهـر، لعله قصد بالخفـاء الجن لا الإنس ،لمـاذا وصفها بالخفيّة ولم يصفها بالحكيمة؟ أليس هو من يقول إن المصائب تجعل الناس حكماء؟!.

لعله يقع في تناقض عندما يتعلق الأمر بالمرأة، أو لعله قصد بعد المرأة عن الحكمة !.

يقول الكوني :

"أطلقت الأمّ اسـم "جرمنت" على وليدها البكـر الذي كُتب عليه أن يكون أوّل وليـدٍ للأرض على الأرض كما تحدّثت بذلك أساطير الأولين "[4].

ذكر الكونـي حديثه عن المرأة الأم ،وبأنها الأصل لوليدهـا أي أنـه يُعرج على أحد

---

[1] ـ اللَّئيم:الدَّنيء الأصل الشحيح النفس.
ابن منظور،لسان العرب،المجلد الثالث عشر،ص153.

[2] ـ إبراهيم الكوني،لون اللعنة،ص 27.

[3] ـ إبراهيم الكوني،لون اللعنة،ص28 .

3 ـ إبراهيم الكوني،لون اللعنة،ص 125.

جوانب تركيبة المرأة وهي الأمومة.

ولكنه ذكر أن الأم هي من أطلقت اسم "جرمنت" والذي يعني "المتفوق على نفسه" ،إذا فهمنا أن التفوق على النفس هو العقلانية ،فهذا يعني أن المرأة عقلانية، وهذا يعني أنها حكيمة، وإن رفض الكوني هذه العقلانية وأقر بوجودها خفيّة فيما سبق.

أما إذا حاولنا إرجاع كلمة "جرمنت" إلى التاريخ فإننا نجد أنهم قوم سكنوا جرمة بالجنوب الليبي ،وأسسوا بها حضارة وكانوا من القوة بحيث أنهم كانوا يغيرون على حدود الدولة الرومانية، ومازالت آثارهم بجرمة حاضرة حتى يومنا هذا وتزار[1].

يقول الكوني :

" قد أفشل مكائد المتآمرين على خلع بيعة محمد باشا الإمام فكافأه الأخير بأن عقد له على حسناء الزمان كريمته زينوبة "[2].

ذكر الكوني ما قام به محمد باشا الإمام من مكافأة لخليل باشا ،وذلك بأن زوّجه ابنته لماذا جعل من ابنته مكافأة رغم غنى محمد باشا الإمام!.

وما أشبه هذه المكافأة بالهدية التي نحسن أن نشتريها ونعطيها لمن نود ،وكأنها ليست إنسانة من روح وجسد.

أو أن محمد باشا زوّجه ابنته لكي يجعلها وسيلةً في توطيد العلاقات بينه وبين خليل باشا،إن في هاتين الحالتين ظلم للفتاة .

يقول الكوني :

" النساء دائماً مِلْك من مَلَكْ.النساء زينة المُلك. النساء حقيقة المُلك "[3].

جعل الكوني المرأة مملوكة مستعبدة، ثم يضيف بأن يجعلها زينة، دون أن يجعل أي دور في الحكم ، ما جعلنا نتساءل: لماذا يحرص الكوني أن تكون المرأة في زوايا معينة مثل العبدة، اللذة،الزينة؟.دون أن النظر لما تحمله من أمن وعطف...

[1] - ينظر محمد سليمان أيوب،جرمة من تاريخ الحضارة الليبية،الطبعة الأولى،سنة النشر 1969 ،دار المصراتي،طرابلس - ليبيا،ص70 - 141.

[2] - إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص102.

[3] - إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيدا ص105 .

يقول الكوني :

" أن النساء أفة الرجال الذين استسلموا لهنّ .ولكنهنّ سلاح الرجال الذين أحسنوا استخدامهن.المرأة بالشهوة استنزاف؛ المرأة بالحبّ قوّة "[1].

أراد الكوني أن يقول إن هناك نوعين من النساء : منهنّ تهلكة،ومنهنّ سلاح

وهنّ صاحبات اللذة،وفي هذا يضيف الكوني:

إذا احترف الرجل مخادع النساء فشل في كل شيء"[2] أي أنه يحذّر من اشتهاء النساء، أما النوع الثاني فهن من أحببن الرجل وأحبهن هو يجعلنه قوى.

أي أننا نعلم من أن النساء عبارة عن :لذّة ،حب .فقط.

لماذا ذكر الكوني لفظ استخدام دون غيرها؟! أم أنه يُؤكد على اتخادها وسيلة!.

يقول الكوني :

" أشبه ما تكون بنميمة النساء اللائي إذا لم يجدن من يغتبن فلا بد أن يبدأن في اغتياب أنفسهنّ "[3].

في هذه العبارة نلاحظ تناقض رأي الكوني،لأنه سبق وأن اعترف بذكائها فكيف يذكرها هنا بأنها تغتاب نفسها؟ وهذا الغباء ذاته.

يقول الكوني :

"إن لغة القلب هي حرفة المرأة التي لا تخطىء مهما أخطأت في سبل أخرى لأنها لغتها هي قبل أن تكون لغة أي مخلوق آخر في هذه الدنيا "[4].

يصرح الكوني بعاطفة المرأة ،ولكنه بالغ في ذلك حين جعلها حرفة لا تجيد سواها. ذلك لأن العاطفة ليست مقصورة على النساء ،بدليل وجود رجال يفوقون بعض النساء عاطفةً.ولكنه يجعل منها أداة للتفرقة بين السادة والعبيد في قوله:

"إذا كان لهؤلاء السادة البلهاء من فضل على عبيد هذه الدنيا فهو فوزهم بالحسان من دون الناس جميعاً "[1].

---

[1] - إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص105.

[2] - مقابلة أجريت مع إبراهيم الكوني،ضمن برنامج،زيارة خاصة لقناة الجزيرة،2009/6/29 ف.

[3] - إبراهيم الكوني ،نداء ما كان بعيدا ص155

[4] - إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص184.

إن هـذا القول جعلنا نتساءل :لمـاذا النساء بالذات اتخذهم الكونـي للتمييز بين طبقات المجتمع؟.

ألم تكن الحكـمة أو المال أو السلطة أو العلـم أكثر تمييزاً من الحصـول على النساء!.

يقول الكونـي :

" ربـما لأن النساء يلدن من الرجال أكثر مما تلد الأفراس من الجياد !"[2].

نجد الروائي فيما سبق،عـقد مقارنة بين النساء والأفراس في كثـرة الولادة كلنا على علم بأنهما يلدان، وكلاهما مهمتان ولكليهما مكانته، ولكن لايجوز المقارنة بينهما، لأن الأفراس حيوانات ـ أكرمكم الله ـ والنسـاء من البشر كما أن ما تنجبه النسـاء من أبناء لهو زينة الحياة الدنيا.

يفـهم من ذلك أن الكونـي يجعل المـرأة في زوايـا دون الأخرى،يجعلـها مصدر الشهوة والمتعة ،ثم بأنها ولود، والمخادعة تارة والغبية تارة أخرى.

إن ما ذكره الكونـي جعلنا نتساءل :لـماذا لـم يذكرها مناضلة،امرأة فاضلة طاهرة، متعلمة تساعد أخاها الرجل من أجل التقدم؟.

---

[1] ـ إبراهيم الكوني،في مكان نسكنه في زمان يسكننا،ص21.

[2] ـ إبراهيم الكوني،في مكان نسكنه في زمان يسكننا،ص 63 .

الفصل الثالث

التاريخ وانعكاسه حاضراً ومستقبلاً

- **المبحث الأول**:
- **استدعاء التاريخ العربي**.
- **المبحث الثاني**:
- **رؤية الحاضر بعين الماضي**.

▪ المبحث الأول :

استدعاء التاريخ العربي.

في هذا المبحث نحاول أن نثبت، استعانة الروائي بالتاريخ العربي، في كتابته لرواياته وما الأحداث التاريخية التي استعان بها؟.

فوجدنـاه قد استعان بتـاريخ قبيلة أولاد محمد التي تنحدر من أصل مراكشي ،ومنها جاءوا،وبنوا مرزق وجعلوها عاصمة دولتهم حين يقول الكوني عنها:

شالوم هذه بطن من بطون قبيلة مجهولة اسمها"حاطوم"...اقتحمت الصحراء في حملة غزو عُرفت في تاريخ الصحراءبـ"غزوات أولاد محمد"[1].

هذا وقال حبيب وداعة عن مرزق إنها كانت من أهم المراكـز الصحراوية التاريخية والسياسية في القرن السـادس عشر ؛ حيث كانت مكانـاً كبيراً تلتقي فيه القوافل بين السودان ومصر،وأقطار المغرب العربي،أي أن تاريخ فزان خلال حكم أولاد محمد هو تاريخ العلاقات السياسية، والثقافية، والتجارية بين مركز وأطراف الصحراء الكبرى[2]

كما أنشئت دولـة مرزق حواضر لـها، في كل من(القلـعة) في الوادي الشرقـي و (تكركيبة) في الوادي الغربي.

مما جعل النـاس يشعرون بقيمة الـدولة وهيبتـها[3]

استعان الكونـي بتاريخ أولاد محمد، وقد قـام بتوظيفه في روايته رغم أنه غالط في بعض ما قال، ولكنه أصاب أيضاً في ذكره لحرفتها وهي التجارة حين قال عنها:

القبيلة المجهولة التي احترفت التجارة يوماً على طول شطوط النهر المسمى" الـوادي الكبير" في بلاد الأندلـس ما لبثت أن امتهنت حرفتها القديمة ما أن وضعت الحرب أوزارها في الصحراء[4].

أما ما يتعلق ببلاد الأندلـس فنجد الكوني قد استعان ؛بتاريخ (فترة ملـوك الطوائف) التي توصف بإنهيـار الدولـة الإسلامية ؛لما حدث فيها من انهيـارات على مختلف الصُعد .

---

[1] - ينظر إبراهيم الكوني،لون اللعنة،ص11-12.

[2] - ينظر حبيب وداعة،وثائق دولة أولاد محمد بفزان،المجلد الأول،ص9.

[3] - ينظر الأمين محمد الماعزي،حضارات الصحراء(2)،الطبعة الأولى،سنة النشر2003،ص37.

[4] - ينظر إبراهيم الكوني،لون اللعنة،ص12.

هذه الثغرة هي بداية سقوط الدولة الأموية وضعفها؛ ذلك بعد أن خُلع هشام، تنازع المروانيون على الحكم، مما زاد في ضعف الدولة ، فهب كل رئيس يستقِلْ بإمارة ويسميها دولة،من هذه الدويلات: بني هود،بنوزين ،بنو حمود ،بنوعامر، بنوالأفطس، بنوعباد، بنوجهور، بنو ذي النون.

أي أن هذه الدويلات كانت عربية وبعضها بربر،أو أخلاط من الناس ألهاهم الملك والمجون، إلى أن هجم عليهم ألفونسو، فتجمعوا حول بن عباد مما جعله يطلب معونة المرابطين، في المغرب برئاسة يوسف بن تاشفين الذي لبى الطلب وقدِم للأندلس ، وهزم ألفونسوا ثم رجع لبلاده تاركاً جزءا من جيشه في الأندلس يحميهم به، ثم عاد إليهم ثانيةً بعد أن رأى يوسف حال الناس وما يعانوه من ضعف، وفوضى فقام بخلع ملوك الطوائف ؛وبهذا أنضمت الأندلس للمغرب تحت راية يوسف بن تاشفين[1].

كما وجدنا بعد اطلاعنا على تاريخ الأندلس؛ أن ما جعل المسلمين يخرجون مطرودين منها، كان نتيجة لاستيلاء البرتغاليين على سبة سنة1415 م، وهي التي كانت أول قاعدة في إفريقيا لهم ،مما جعلهم يستطيعون التوغل في القارة، أو أن يقوموا بهجوم على جبل طارق، عبر بحر الزقاق،الذي كان في أيدي سلاطين غرناطة، نحو خمسين عاماً رغم المنازعات المستمرة عليه.

بعد استيلاء النصارى على جبل طارق؛ سيطروا على ثغور بحر الزقاق الثلاثة (طريد والجزيرة الخضراء وجبل طارق) ،مما حال دون وصول قوات من المغرب لنجدة غرناطة، وهذا عجّل بسقوطها في يدهم؛وانتهاء الوجود الإسلامي في الأندلس سنة1492 م . كما أنَّ سيطرة الأسبان على مضيق جبل طارق، أدَّتْ إلى نمو التجارة بين موانئها على ساحلىْ البحر المتوسط والمحيط الأطلسي.

ولكن المسلمين العاملين تحت إمرة خير الدين بربروسا؛ شنوا غارةً على جبل طارق سنة1540 م وكادوا يستولون عليه،فعمد الأسبان بعد هذه الغارة إلى تعزيز تحصينات

[1] - ينظر عبدعزيزعتيق،الأدب العربي في الأندلس ،ص93 - 99 .

الجبل.

هذا وقام الأميرال(دون خـوان دي منـدوزا DON JUAN DE MENDOZ) سنة1610 م؛ بنقل المسلمين من ميناء جبل طارق،وبهذا يكون إجلاؤهم النهائي عن أوطانهم في الاندلس إلى ساحل المغرب[1] .

وظّف الكونـي ازدهـار الأندلـس بالتجارة وطرد المسلمين منها إلى دول المغرب العربي؛ حين ذكر مؤسس دولـة أولاد محمد أحد هؤلاء المطرودين.

هذا و قد علمنا من كتب التاريخ أن يوسف بن تاشفين هو من حكم المغرب ،ما جعل الكوني يوظّف مكانته وقوته في طرد محمد الفاسي من المغرب.

وفي هذا يقول الكوني:

قبيلة أولاد محمد شقية أقبلت من الأندلس يتزعمها قاطع الطريق السفّاح محمد الفاسي الذي طُرد من بلاد المغرب الأقصى بسبب نشاطـاته الإجرامية بالـذآت عندما حلّ بأرض تلك البلاد مُلاحَقاَ بسيوف الفرنجة فما كان من أهـل المغرب إلا أن دفعوا به مع أترابه من فلول الفارة من حراب هؤلاء الأعلاج[2].

إن قبيلة أولاد محمد كما يقول الكوني اقتحمت الصحراء غازية.حين قام بتوظيف غنى طرابلس في سنة 833 ،في فترة تولي عبد الواحد بن حفص وثراء أهلـها، لدرجة أن أحد التجار سحق جوهرة ونثرها على الطعام في وليمة أقـامها للفرنجة، وعدم إيجاده لسكين عند فتحه للبطيخة[3].

جاعلا منه سبب قدوم محمد الفاسي مؤسس دولة أولاد محمد لجنوب طرابلس طمعاً في هذا الثراء.

كما استدعى الكوني أيضاَ من التاريخ الصراعات التي كانت على ملكية الأرض بين أصحاب الإقطاعيات من حاملي الجنسية الرومانية التي حاول ماريوس إعـادة تقسيم

---

[1] - ينظر أمين توفيق الطيبي،تاريخ المغرب والأندلس،ص293 - 294.

[2] - ينظر إبراهيم الكوني،لون اللعنة،ص12.

[3] - ينظر ابن غلبون ،التذكار، ص 140 -142 .

أراضيها،ولكن الرومان كانوا يرجمون موظفيه بالحجارة حتى الموت[1].

هذا وقد قال الكوني عنها:

" في خرائب قديمة تقع في الجهة الشرقية من النهر كان جنود يوليوس قيصر يتخذونها معسكراً زمن الاحتلال الروماني"[2]

إن كتب التاريخ قد ذكرت أن نيرون الطاغية كان في أول عهده مشرفاً على الإستطبلات الملكية، ثم ترقى لوظيفة مستشار الأمبراطور،هذا وقد قام بقتل أمه اغريبينا وزوجته اكتافيا ؛ لكي يتزوج من المرأة الفانتة بوبايا . وفي وسط هذا الجو الغريب يشب حريق روما سنة 64 [3].

إن ما قام به نيرون نحو أمه وزوجته، جعل الروائي يستعين بهذه الشخصية لكي يضفي لروايته واقعاً تاريخياً،فنجده يقول:

" الأشعار التي نظمها الطاغية نيرون في يوم الحريق الذي التهم روما فاعتلى الرابية المشرفة على المدينة ليغنّي أبياتا جادت بها قريحته المريضة احتفاء بزوال أم الدنيا"[4]

هذا وقد استعان الروائي بالتاريخ في ذكره لما أصاب سكان الأندلس حين طُردوا فقد كانوا مختلفين ،من حيث الأصل والدين فمنهم العرب والبربر،والجاليات اليهودية[5].

يقول الكوني مستدعياً للتاريخ:

" في مساء تلك الليلة التي انطلقت فيها سفينته محمّلة إلى جانب"الخناس" بطوابير من المطرودين من مختلف الأجناس والألوان(يهود وزنوج وعرب وبربر) ليلقي بهم على الشواطىء الأخرى كما يُلقي الناس في العراء بفضلات الزبالة"[6]

بعد تتبعنا لكتب التاريخ التي أوردت نسب محمد الفاسي، الذي ينتمي لمراكش[7]نجد الكوني يقول عنه:

---

[1] - ينظر الصادق النيهوم،تاريخنا،الجزء الأول،ص30.
[2] - إبراهيم الكوني،لون اللعنة،ص47.
[3] - ينظر الصادق النيهوم ،تاريخنا،الجزء الثالث، ص40 .
[4] - إبراهيم الكوني،لون اللعنة،ص67.
[5] - ينظر أحمد هيكل،الأدب الأندلسي،الطبعة الثانية عشر،لاتوجد سنة نشر- دار المعارف ص38 -39 ،50 .
[6] - إبراهيم الكوني،لون اللعنة،ص100.
[7] - ينظر حبيب وداعة،وثائق دولة أولاد محمد بفزان،المجلد الأول،ص9.

"حمل ثروتـه وركب سفينته رست به على شواطىء طنجة هنـاك ذهب إلى السوق واشترى عبداً وأَمَـةً وجُبّةً وعمامـة،واختفى من هنـاك ليظهر بعد أمـدٍ في مدينة "فاس" "[1].

بما أنـه مراكشـي فمن الطبيـعي إذاً أن يذهب الإنسـان لمسقط رأسـه و بـلاده.

كما استدعى الكوني ؛يوسف بن تاشفين الذي قالت كتب التاريخ إنه أمير المسلمين في مراكش، وقد كان دينا حازما داهية مجربا عادلا، يميل لأهل الدين والعلـم ويكرمهم، ويصر على رأيهم، كما كان حليماً كريماً يحب الصفح عن الأمور العظيمة. إلا أن ما فعله بإشبيلية ،من نهب وسوء معاملـة للمعتمد أبـان عن صِغر نفسه، ولؤم طبـعه[2] .

أي أن الكونـي قد وظّف تديّن يوسف بن تاشفين وقوته، في روايته حيث يقول:

"لم يصدّق صاحب البهتان ما رواه شهود العيان عن سلطان القوة التي حاصرت مأواه في مسـاء ذلك اليوم إلى أن مزّق قبس الفجر ظلـمات تلك الليلة العصيبة ليرى ذلك المغامر بأم عينيه ظلمة من فرسان قيل له إنهم أحـفاد يوسف بن تاشفين الذين سمـع عن شجاعتهم الأساطير أقبلوا من تخوم مراكش"[3]

هذا وقد استدعى الكوني تاريخ الأندلس والمغرب ،حين قـام الفرنجة بمحاولة لاحتلال المهدية ؛عندما علموا بأن الحسن بن علي والي المهدية على علاقـة ودّ مع يوسف بن تاشفين الغازي لبلاد الأندلس؛وأن الحسن هو محّرض يوسف على غزو الأندلس؛فقـام الإفرنج بقيـادة "رجـار" بمهاجمة المهدية والاستيلاء على القصر، ولكن عندما حاصر المسلمون من في القصر من الفرنجة، ولم تستطع الفرنجة إنقاذهم رجعوا لصقلية[4] .

حيث يقول :

" فما كان منهم إلاّ أن انطلقوا لملاحقة الأقـوام التي أخرجوها من بلادهم ليستعبدوها اليوم ،كما استعبدتهم بالأمس"[5].

كما استدعى الكوني أيضاً احتلال الإفرنج القادمين من صقلية لدويلات شمال إفريقيا،

[1] - إبراهيم الكوني، لون اللعنة ص108 - 109 .
[2] - ينظر ابن غلبون، التذكار ص105 - 109 ،112 .
[3] - إبراهيم الكوني،لون اللعنة،ص115 - 116.
[4] - ينظر ابن غلبون،التذكار ص80 - 82 .
[5] - إبراهيم الكوني،لون اللعنة،ص118.

الذي كُـتب فيه: سقوط المهدية وسقوط طرابلس بيد الإفرنج بقيادة "رجار"[1].

حيث نجده يقول عن ذلك:

" لم يستغرب حتى أهل الترف أنفسهم(من سكان الشطآن الشمالية للـقارة السوداء) أن يسقطوا فريسة سهلة المنال في يد هؤلاء المرَدَة . تساقطت الدويلات الساحلية الواحدة تلو الأخرى"[2]

ولعل السبب الرئيسي،كما ذكره الكونـي وذكرتـه كتب التـاريخ، في مجـيء الإفرنج "الأسبان" إلى طرابلس واحتلالهم لها كان طمـعاَ فيما ظن أنها تملكه من ثروات وذلك أن أحد الأثرياء بمدينة طرابلس قام بـطحن جوهرة كبيرة ونثرها على موائـد الطعام بدلاَ من البهارات[3]، وفي هذا يقول الكوني أن:

" أحد البلهاء استضـاف عدداً من تجّار الفرنجة في بيـته بأصناف الأطعمة وأنـواع الملذات والطيوب إلى حدّ أنه تناول جوهرة لم يشهد الأضياف لحجمها مثيلاً ثم ذهب وطحنها حتى تحولت هباء ونثرهـا بعد ذلك على الأطعمة بمثابة بهـار من البهارات إكباراً لضيوفه وتباهياً منه بما ملكت يداه "[4].

وإذا كانت هذه الرواية لا تمجها الأذن و أقرب للتصديق مما يجعل جانب الحقيقة فيها ظاهراَ، فإن الرواية الثانية التي ساقها عن سبب احتلال الفرنجة لطرابلس يغلب عليها جانب الخيال الروائي وتوظيفه في مثل هذه الأحداث يقول الكونـي:

"رواية أخرى تناقلها تجّار الفرنجة في رحلتهم تلك تقول إن ربّ البيت الذي استضافهم بحث عن سكين لشق بطن البطيخ في البيت فلم يجد وأرسل الخدم إلى بيوت الجوار ، ثم إلى سكان الحيّ كله فلم يعثر على نصل يصلح لتقطيع الفاكهة،فكيف بسلاح يصلح لمقاومة عدو؟ "[5].

وأياَ ما كان سبب احتلالهم لطرابلس طمـعا فيما ظن فيها من خيرات ،أو بسبب عدم وجود سلاح أو للسببين معا فإن الإحتلال قد تم[1].

---

[1] ينظر ابن غلبون ،التذكار ص84 - 88 .
[2] - إبراهيم الكوني،لون اللعنة،ص119.
[3] - ينظر شارل فيرو،الحوليات الليبية،ص67 - 69.
[4] - إبراهيم الكوني،لون اللعنة ص120 .
[5] - إبراهيم الكوني، لون اللعنة ص121 .

وكعادة الكوني في سرده للتفاصيل الدقيقة لم يغفل أن يسرد علينا الطريقة التي أخضع بها الفرنج طرابلس سنة 916 هـ[2]،فنجده يقول:

"سال لعاب سلالـة كل مغامر،فشدّوا إليها الرحـال من كل صوب فكـانت الغلبة في البدايـة من نصيب عدد من قراصنة الجزر المجاورة في الوقت الذي كان فيه دهـاة الفرنجة يتأهبون للاستيلاء على هذه الجوهرة من جهة الشمال"[3]

وعند الحديث عن الاستيلاء على عرش الإيالـة فالأجدر أن نتتبع تاريخ بعض ولاتها الذين منهم أبو مويس الذي قتل بن الجن بعد أن تولى ابن الجن الحكم حيث ذهب إلى القلعة صحبة أبي مويس الذي غدر به وأجهز عليه ذبحاَ أثناء نومه[4].

وعن هذه الحادثة نجد الكوني يقول:

"أبوموىس خنق ابن الجن غيلة. ولكن الأكابر يرفضون الاعتراف بسلطانه برغم فوزه بتأييد أولئك الذين لايعجبهم العجب"[5]

يلاحظ أن الروائي رغم تغييره كيفية القتل؛ فأنه وافـق التاريخ في أن أبا مويس هو من قتل محمد ابن الجن.

عند تولي أبي مويس عرش الإيالـة ثار قلقه من شخصية أحمد القره مانلي الذي كان يحظى بعطف سكان طرابلـس والذي خلف والـده يوسف[6] في منصب باش آغا على مطلب جماعي من رفاقه لما أبداه من شجاعة [7]وهو الذي ذكر الكوني عنه:

"فوجىء بترقيته إلى مرتبة"باش آغا" خلفاَ للوالد ليجد نفسه على رأس جيش من خيّالة الساحل وكذلك المنشية"[8].

إن خوف أبي مويس من أحمد القره مانلي،جعله يبادر بنية الغدر به فقام بإرساله لأهل

---

[1] ـ ينظر ابن غلبون،التذكار،ص142.
[2] ـ ينظر ابن غلبون ،التذكار ص142 .
[3] ـ إبراهيم الكوني،لون اللعنة،ص121.
[4] ـ ينظر رودلفو ميكاكي،طرابلس الغرب،ص9.
[5] ـ إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص20.
[6] ـ ينظر الصادق النيهوم،تاريخنا،الجزء الخامس،ص59.
[7] ـ ينظر شارل فيرو،الحوليات الليبيةنص 263.
[8] ـ إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،39.

غريان بنية قتله[1]،يقول الكوني عن هذه الحادثة:

" كيف وثق في رجل اغتـال بالأمس حماه الذي زوّجه كريمته وارتضى بأن يكـون رسوله إلى زعيم قبـائل الجبل ؟ كيف صدّق بأن أبي مويس يمكن أن يحسن به الظن يوماً وهو الرجل الذي ذاع صيته في الأركان،ونال محبة الغرباء قبل الأقرباء"[2].

عندما علم أحمد القره مانلي بما دار بنفس أبي مويس من نية لقتله بيد أهل غريـان ، وذلك من خلال المكتوب الذي أرسله أبوموسى به، قرر تغيير صيغة المكتوب[3] حيث قال الكوني:

"كتب بالمداد رسالـة أخرى.رسالته هو لا رسالة أبي مويس اللئيم.حررّالرسـالة التي سترد الكيد إلى نحر صاحب الكيد وتحفر الحفـرة التي سيقع فيها حافـر الحفـرة"[4]

كان وقع مكتوب أحمد القره مانلي على نفوس أهـل غريان شديداً لدرجة أنهم أرادوا أحمد القره مانلي والياً على الإيالة وهم حماته بجيشهم[5] الذي قال عنه الكوني:

" في صباح ذلك اليوم الذي كانت فيه جحافل الخيل القادمة من جبل نفوسة تدك حقول الشريط الأخضر الذي يطوق الساحل من جهة الجنوب و يلامس حدود المنشية ، لتثير بحوافرها في الهواء عواصف الغبار، وكانت جحافـل أخرى من الفرسان قد انطلقت باكراً من أسوار تاجوراء لتنضم إليها جيوش خيل الإيالة المرابطة في حدود المنشية"[6]

يتبيَّن لنا مما سبق مدى حرص الكوني على إيراد الحقيـقة التاريخية،حيث أنه نقل ما ذكرته كتب التاريخ دون مغالطة.

أما فيما يتعلق بتاريخ الأسرة القره مانلية،التي ذكرت عنها كتب التاريخ:

" أن جدَّ القرمانليين كان مجرد نوتي قرصان من مواليد مدينة قرمان بالأناضول ، قدم إلى طرابلـس في زمن ولاية درغوت وكشأن غيره من المغامرين الأتراك، فإنه تملّك

---

[1] ـ ينظر رودلفو ميكاكي،طرابلس الغرب تحت حكم الأسرة القرمانلية،ص9 - 10.
[2] ـ إبراهيم الكوني،نداء ماكان بعيداً،ص23.
[3] ـ ينظر شارل فيرونالحوليات الليبية،ص264.
[4] ـ إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص25.
[5] ـ ينظر شارل فيرو،الحوليات الليبية،ص265.
[6] ـ إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص49.

بستاناً في ضاحية المنشية واستقر فيه حيث تزوج من إحدى نساء المنطقة العربيات[1].

ولقد توارثت سلالة هذا القرصان من أب إلى ابن اسم جدِّهم الأول الملقب بالقرمانلي "[2].

وبذا فقد وظف الكوني تاريخ الأسرة القره مانلية ،وزواج مؤسسها من بنات المنطقة العربية [3]في روايته ليمنحها بعداً تاريخياً عميقاً حين نجده يقول:

" ابن وحيد ورث عن أبيه حرفة التجارة وتزوّج حسناء من بنات تاجوراء انحدرت منها السلالة كلها"[4]

تولى أحمد القره مانلي عرش الإيالة الطرابلسية ،بحضور أكابرها وأعيانها وأهالي الساحل والمنشية[5]،وعنه يقول الكوني:

" يوم تزاحم في الديوان أكابر الإيّالة وأعيان المدينة وأشياخ الضواحي وزعماء القبائل لمبايعته"[6].

بعد تتبعنا لما ذكرته كتب التاريخ ،وجدنا أن الكوني قد استعان به دون أي مغالطة تذكر حيث إنه نقله داخل نسيج روايته بكل أمانة علمية.

عند تولي أحمد باشا عرش الإيّالة،حاول تغيير نظام الحكم في طرابلس، حيث قام بقتل جنود إنكشاريين حين استضافهم في بيته بمناسبة تنصيبه قائداً [7] .

وفي هذا يقول الكوني:

قضوا على مايزيد على ثلاثمائة شقي من جند الإنكشارية داخل حدود القصر وحده ..

وقد ارتوت سيوف فرسان القرمانلي بدمائهم[8].

فيما سبق نلاحظ مدى استعانة الكوني بالتفاصيل التاريخية،وتضمينها بروايته دون

---

[1] - ينظر رودلفو ميكاكي،طرابلس الغرب تحت حكم الأسرة القرمانلية،ص11.
[2] - شارل فيرو،الحوليات الليبية،ص263.
[3] - ن.إ.بروشين،تاريخ ليبيا في العصر الحديث،ص109.
[4] - إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص18.
[5] - ينظر رودلفو ميكاكي،طرابلس الغرب تحت حكم الأسرة القرمانلية،ص10.
[6] - إبراهيم الكوني،نداء ماكان بعيداً،ص59.
[7] - ينظر ن.إ.بروشين،تاريخ ليبيا في العصر الحديث،ص111 - 112.
[8] - ينظر إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص86.

إهمـال لما تحمله من أخبار أحمد القره مانلي أثناء أيامه الأولى من توليه حكم الإيّالة.
بعد قتله لأولئك الجنود الإنكشاريين، قام بإرسـال الهدايـا للباب العالـي في نيةٍ منه لإرضائه عما قام به[1] ولكن الكوني قد ذكر:
" فما كان من القرمانلي إلا أن أمر بمصادرة أموال هذه الملة وبيعها في المزاد العلني ليشتري بقيمتها هدايا نفيسة بعث بها إلى الباب العالي في الأستانة لإسكاته"[2].
لاحظنا فيما سبق استعانة الكوني بخبر إرسال الباشا أحمد للهدايـا للباب العالي، عقب قتله للجنود الإنكشاريين، ولكنه جعل من الباشـا تاجراً عندما باع أموالهم،لكي يشتري بها رضى الباب العالي وهذا لم تذكره كتب التاريخ،لعل الكـوني قصد به شدة ذكـاء الباشا أو لعله قصد شدة إفلاسه لذلك قام بهذا الفعل.
عقب وصول هدايا أحمد القره مانلي إلى الباب العالي،أرسل الباب العالي خليل باشـا الأرناؤوطي وبيده رسالة تقضي بتعيينه والياً على الإيّالة الطرابلسية[3] وهذا ما إستعان به الكوني حيث يقول:
"يوم بلغه خبر وصول رسول البـاب العالـي حاملا رسالـة ممهورة بتوقيع السلطان تقضي بتعيين خليل باشا الأرناؤوطي والياً على إيّالة طرابلس"[4].
عند الحديث عن خليـل باشـا الأرناؤوطـي الذي كـان صاحب الفضـل على أحمد القره مانلي ومن قبله والده عندما رقـى الثاني ليصبح رئيس الخيالة[5]، والذي قال عنه الكوني :
" ألم يكن الأرناؤوطي صاحب الفضل في تعيين أبيه رئيساً لخيالة الإيّالـة؟ ألم يكن له الفضل في تعيينه هو أيضاً" باش آغا" خلفاً لأبيه؟"[6].

[1] ـ ينظر محمد الهادي أبو عجيلة،النشاط الحربي الليبي في البحر المتوسط،ص109.
[2] ـ إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص86.
[3] ـ ينظر شارل فيرو،الحوليات الليبية،ص267.
[4] ـ إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص87.
[5] ـ ينظر ن.إ.بروشين،تاريخ ليبيا في العصر الحديث،ص109 -110.
[6] ـ إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص95.

فيما سبق يتضح لنا أن الكونـي يُذكر بفضل خليل الأرناؤوطي على أحمد القره مانلي ووالده، وهذا ما ذكرته كتب التـاريخ ،و رغم هـذا الفضل فأن أحمد القره مانلي قد قام بقتله ،ومزق جسده وشوى منه على النـار وأكله المغاربة[1] كما رفعت رأسه فوق إحدى الحراب وحملت إلى طرابلـس بعد أن عرضت لسخرية الجمهور[2]، وفي هـذا الخبر وجدنا الكوني يورد:

"القرمانلي أباح للغوغاء جسده"[3].

يتضح أن وصف الكونـي لمـا قـام به القره مـانلي بجسـد الأرناؤوطـي،وصف تاريخي مقتضب.

بعد هذه السخرية بجسد الأرناؤوطـي من قبل الجمهور، تمَّ دفـن ما تبقى منه بمقبرة سيدي حمُّودة[4]،ويقول الكوني عنه:

" قد أمرتُ بدفن رأس الفقيد بما يستحق من مراسـم في مقبرة سيدي حمُّودة مجّرد أن بلغني النبأ"[5].

رغم استعانة الكوني بهذا الخبر من كتب التاريخ،فإنه عندما يروي يلاحظ عليه الأكبار لشخص الأرناؤوطي،وهذا الإكبار لم نجده في كتب التاريخ بل وجدنا في لفظ " ماتبقى منه" الإهانة والإذلال.

بعد تخلص أحمد باشا من الأرنـاؤوطي، ونتيجة للفوضى والإفلاس التي كانت تعانيه الإيّالة،قام (علي المكني) الذي كان من أثريـاء طرابلس[6] بإقراض الباشا لشراء حرية الإيّالة[7]،وعنه يقول الكوني:

"الثانـي بصفته كبير التجار،ويؤكد مدمنو كتـابة الحوليات أن للأخير بالذات يرجـع الفضل في شراء حريّة الإيـّالة الطرابلسية بأموالـه وجنَّـبها ويلات الصدام المباشر

[1] ـ ينظر شارل فيرو،الحوليات الليبية،ص269.
[2] ـ ينظر رودلفو ميكاكي،طرابلس الغرب،ص15.
[3] ـ إبراهيم الكوني،نداء ماكان بعيداً،ص108.
[4] ـ شارل فيرو،الحوليات الليبية،ص269.
[5] ـ إبراهيم الكوني،نداء ماكان بعيداً،ص123.
[6] ـ ينظر منصور علي الشريف،عائلة المكني أبناؤها وأدوارهم في التاريخ الليبي،ص91.
[7] ـ شارل فيرو،الحوليات الليبية،ص269.

مع وحدات الأسطول التركي المرابط على طـول الساحل"[1].

قصد الكوني فيما سبق بالثـاني علي المكني، مايجعلنا نعلم استدعاء الكـوني لتاريخ الإيّـالة الطرابلسية.

لم تقبل الأستانة أحمد القره مانلي والياً على الإيّالة الطرابلسية ،في بادىء الأمر حيث قامت بإرسال باكير مكان جانم جوجة[2] لكي يكون والـياً،ولكن الباشا أحمد قام بطرده دون أن يسمح له بمغادرة السفينة التي جاء بها[3]ويقول الكوني عنه:

"أرسلوا مبعوثاً إلى هـذا الخنزير وقولوا له أني سوف أقصف مركبه بالقنـابل إذا لم يغادر ميناء الإيالة خلال ساعتين"[4].

وهـذا ما ذكرته كتـب التـاريخ فيما سبق،عما قـام به أحمد القره مانلي من إهـانة لرسول الأستانة،في الوقت الذي تولى فيه الباشا عرش الإيّالة سادت الفوضى وانتشرت الثورات منها تمرد صاحب فزان ورفضه دفـع الضرائب ،فما كـان من الباشا إلا أن خرج لتأديبه؛وإجباره للإنضواء تحته والدخول في طاعته[5]يقول الكوني عنه:

" رسولاً أقبل عليه حاملا نبأ تمردّ سلطان فزان ورفضه دفـع ما استوجب عليه دفعه من خراج، فلم يجد بداّ من التوجه جنوباً في نية لتأديبه"[6].

لاحظنا نقل الكونـي لما تضمنته كتب التاريخ، من أخبـار صاحب فزان وتمرد ضد الباشا القره مانلي ،في ذلك الوقت قام أهالي تاجوراء بحصار شعبان بك داخل الإيّالة وقتله،فقام أحمد عند عودته من فزان بعقاب أهالي تاجوراء وتخريبها، وفي هذا الخبر نجد الكوني يقول:

"أنتهى من أوباش الكولوغلية في تاجوراء وزحف بقواته نحو جبل نفوسة"[7].

بعد انتهاء أحمد القره مانلي من معاقبة أهـل تاجوراء ،سمع بنبأ تمرد حسين الكرغلي

---

[1] - إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص97.
[2] - ينظر الصادق النيهوم،تاريخنا،الجزء الخامس،ص61.
[3] - ينظر شارل فيرو،الحوليات الليبية،ص276.
[4] - إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،126.
[5] - ينظر ن.إ.بروشين،تاريخ ليبيا في العصر الحديث،ص115.
[6] - إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص171.
[7] - إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص153.

سار إليه،وهزمه وأحرق بيوت الرعايـا الذين بايعوه، وأباح نهب أموالهم وحيوانتهم[1] يستمر الكونـي في ذكر أخبـار القره مانلي عند بداية توليه،دون مغالطـة فيما تقوله كتب التاريخ.

هذا وقد تمرد الصنهاجي الذي أدعى النبوة[2]كما تمرد الثنائـي "التریاقي والأدغم" الذي قال عنه الكوني:

" أرسلهم أحمد باشـا لتـأديب أهـل برقـة "[3]

بعد هذه الأحداث وقوة القره مانلي التي أظهرها على جميعها حيث كان يبادر بالخروج وهزيمة المتمردين،ما جعل الأستانة تعترف به والياً[4]،حيث أرسلت له سفينتين هدية له ويقول الكوني:

مرفوعة بالفرمـان السلطاني الذي خلـع عليه لقب الباشوية وينصبه والياً رسمياً على إيالة طرابلس[5]

بعد اعتراف الأستانة بأحمد القره مانلي والياً،كان عليه البحث عن دخل للإيالة فاتخـذ من القرصنة مصدراً للدخـل، وبدأت سفنه التي اهتم بها بأسـر السفن وكان من بينها السفن الفرنسية، حيث أسر مئة من البحارة الإيطاليين الذين كانوا على متن إحداها فما كان من القنصل الفرنسي إلا أن تقدم بطلب إطلاق أسرهم من الباشـا، فوافـق الباشا على طلبه وقـال إنه تعبير عن إجلالـه لفرنسا[6]مما أثبت إجلاله لها عدم طلبه للفدية[7] التي تُعد دخل البلاد ويورد الكوني :

" سأدفـع بهم ليدك بدون فدية تعبيراّ عن إكبـاري لفرنسا! "[8].

وفيما سبق نلاحظ أيضاً ،مدى استدعاء الكونـي لتاريخ علاقة القره مانلي مع فرنسا،

---

[1] ـ ينظر ابن غلبون،التذكار،ص284.
[2] ـ ينظر شارل فيرو،الحوليات الليبية،ص276.
[3] ـ ينظر إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص193.
[4] ـ ينظر الصادق النيهوم،تاريخنا،الجزء الخامس،ص61.
[5] ـ ينظر إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص202.
[6] ـ ينظر شارل فيرو،الحوليات الليبية،ص274.
[7] ـ ينظر ن.إ.بروشين،تاريخ ليبيا في العصر الحديث،ص122.
[8] ـ إبراهيم الكوني،نداء ماكان بعيداً،ص119.

التي كانت متذبذبة بين الصداقة تارة، والغضب والحرب تارة أخرى فبعد أن أُسر الحجاج الطرابلسيين بميناء قرب روما[1]وضُربوا وأُهينوا،غضب القره مانلي وأمر بسجن الرهبان ومن معه جرّاء ما فعله النصارى بالحجيج [2] وفي هذا يقول الكوني: "أمر بإلقاء القبض على رهبان إرسالية النصارى وتكبيلهم بالسلاسل واقتيادهم إلى الأقبية"[3].

نلاحظ توظيف الكوني لهذه الحادثة،يكاد يكون حرفياً.

بعد هذه الحادثة،وبعد مرور زمن عليها قدِم رسول فرنسي للإيّالة لعقد معاهدة صلح شريطة دفع الباشا تعويضات جرّاء خسائرالأسطول الفرنسي التي لحقته من الحرب الأخيرة،والتي يقول الكوني عنها:

نزل الأدميرال"دي فاتّان" إلى اليابسة...حاملا في جعبته تفويضاً من ملك فرنسا بتوقيع معاهدة السلام مع القرمانلي شريطة دفع تعويضات(اعتبرها الجانب الفرنسي رمزية) جراء مالحق الأسطول التجاري من خسائر خلال حرب البحر الأخيرة[4].

ولكن الباشا بعد رحيل السفن الفرنسية ، أخذ يماطل في دفع التعويضات التي تعهد بإيفائها[5]، إن ما قام به الباشا جعل فرنسا تطالب بإعدام أحد بحارة الباشا، وهو القبطان الذي تراءس حرب البحر الأخيرة من الباب العالي،وبالفعل قد تحصل السيد داندريزيل على فرمان من الباب العالي[6]،والذي قال الكوني عنه:

" القرصان هو الذي استصدر الباب العالي بشأنه فرماناً يقضي بإعدامه نزولاً عند طلب صاحب الجلالة ملك فرنسا!"[7].

عقب حصول قنصل فرنسا على الفرمان قدم للإيالة ووجه إنذاره للباشا ،فأدى لانعقاد مجلس الإيالة[1]، الذي تقرر فيه رفض الباشا لتهديدهم[2]كما قام بتشييد برج[3]وأطلق عليه

[1] ـ ينظر شارل فيرو،الحوليات الليبية،ص282.
[2] ـ ينظر رودلفو ميكاكي،طرابلس الغرب تحت حكم الأسرة القرمانلية،ص26.
[3] ـ إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،269.
[4] ـ ينظر إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص334..
[5] ـ ينظر رودلفو ميكاكي،طرابلس الغرب تحت حكم الأسرة القرمانلية،ص39.
[6] ـ ينظر محمد الهادي أبوعجيلة،النشاط الحربي الليبي في البحر المتوسط،ص137.
[7] ـإبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص335.

الحصن الفرنسي[4]،مما أدى لقدوم الأسطول الفرنسي ومطالبته بعدة طلبات وإن رفض الباشا فسوف تعلن الحرب[5]وعنها يقول الكوني:

" أمام شواطىء الإيالة الطرابلسية .16 يوليو 1728 في عرض البحر المواجه للمدينة انتشرت أربعة عشر بارجة حربية تابعة للأسطول الحربي الفرنسي"[6].

أعلنت الحرب ضد الإيالـة،وتم القصف مدة تسعة ساعات ثم أبحر عائـداً إلي بلاده[7]

وذكر الكوني عنه:

" الإنسحاب فـراراً مهيناً دل على فشـل الحملة الفرنسية"[8].

بعد إنهزام فرنسا أمام صمود الإيالة الطرابلسية ،وعودتها لبلادهـا أصبح الباشا بطلاً يستحق العنـاء،فسارعت الـدول الأوروبية، لعقد المعاهـدات معه من بينها هولندا[9]

بعد انقطاع العلاقـة بين الإيالة الطرابلسية وفرنسا عقب الحرب التي استمرت سنتين قدمت السفن الفرنسية ثانياً لميناء الإيالـة وكان عددها أربعة ، وعلى متنها الأدميرال "دوجي تروا" الذي نال استقبالاً لم يستقبل بمثله شخصية نصرانية ،حيث احتفل بقدومه احتفالاً كبيراً.

في ذلك الوقت سمع أحمد باشا القره مانلي بتمرد حاكم فزان، فأوكل ابنه محمد ليذهب لتأديبه على تمرده[10].

بعد أن حاصر محمد القره مانلي حاكـم فـزان ، ولم يستطع التصدي لقـوات محمد الجرارة[11]،حيث قال الكوني عنه:

---

[1] ـ شارل فيرو،الحوليات الليبيةنص286.
[2] ـ ينظر ن.إ.بروشين ،تاريخ ليبيا في العصر الحديث،ص121ز
[3] ـ ينظر محمود ناجي ،تاريخ طرابلس الغرب،ص161.
[4] ـ ينظر شارل فيرو،الحوليات الليبية،ص287.
[5] ـ ينظر الصادق النيهوم،تاريخنا،الجزء الخامس،ص64.
[6] ـ إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص367.
[7] ـ ينظر شارل فيروالحوليات الليبيةنص290 -291.
[8] ـ إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص404.
[9] ـ ينظر رودلفو ميكاكي،طرابلس الغرب تحت حكم الأسرة القرمانلية،ص52.
[10] ـ ينظر ن.إ.بروشين،تاريخ ليبيا في العصر الحديث ،ص116.
[11] ـ ينظر شارل فيرو،الحوليات الليبية،ص299.

" لم يطل مقام الناصر في جحره لأنـه ما لبث أن بعث إلى الأميـر محمد بالأوليـاء ليضعوا تحت قدميه رايات الاستسلام مقابل الفوز بالشفاعة"[1].

عقب استسلام حاكـم فزان،وشروط محمد القره مانلي عليه وقبوله لها، وفي طريـق عودة محمد باشا أرسل والده أحمد خطابـاً يأمره بجلب المتمرد له في طرابلس وكان حرص أحمد باشا على رؤية المتمرد شديداً،لدرجة تحذير ابنه من العودة بدونه[2].

بعد أن مثل حاكم فزان بين يدي الباشـا أحمد ، أمر الباشا بخلع القفطان الفخري عليه وإعادته حاكما عليها؛كما أمر بهدم أسوار مرزك[3]، أما ما يقوله الكوني عنه:

" اخلعوا قفطان السلطة على هذا العبد وأعيدوه حاكماً على الإقليم ولكن إيّاكم أن تنسوا هدم أسوار مرزك "[4]

عندما مثل حاكم فزان أمام أحمد باشا،كان الباشا قد أصيب بالعمى[5]،ورغم إخفاء الباشا عمائه عن الكل ،إلا أن الكوني جعله يصرح به في روايته،حين ذكر:

" أنا أعمى"[6]

لعل الكوني أراد من تصريحه ،أن يُبين ضعف الباشـا أحمد وكِبر سنه وتمهيده لتولي محمد القره مانلي،في ذلك الوقت قـدِم أحمد بن موسى لأحمد باشـا ؛مقدماً له مفتاح جزيرة "جربـة"[7] لكي يضمها تحت ولايته ،ولكن الباشـا أحمد قد رفض، مما جعل أحمد بن موسى يذهب لقبـائل الحدود ويشتـري ذممـهم بالأمـوال ويحرضـهم على الإطـاحة بزعيمها الجديد موسى بن صالح، وقد أفلـح أحمد بن موسى في الإستيلاء

على الجزيرة[8]،وعن أحمد بن موسى يقول الكوني:

ذهب لقبائل الحدود...يشتري الذمم بالأموال...للإطاحة بزعيمها...موسى بن صالح..

---

[1] - إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص431.
[2] - ينظر شارل فيرو،الحوليات الليبية،ص299.
[3] - ينظر رودلفو ميكاكي،طرابلس الغرب تحت حكم الأسرة القرمانلية،ص66.
[4] - إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص438.
[5] - ينظر الصادق النيهوم،تاريخنا،الجزء الخامس،ص60.
[6] - إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص441.
[7] - ينظر رودلفو ميكاكي،طرابلس الغرب تحت حكم الأسرة القرمانلية،ص79.
[8] - ينظر شارل فيرو،الحوليات الليبية،ص300.

وقد أفلح الأمير أحمد في الاستيلاء على الجزيرة[1]

بعد أن أصيب أحمد القره مانلي بالعمى،شعر بالضعف فأنتحر بواسطة مسدسه[2] تاركاً ابنه محمد والياً على الإيالة الطرابلسية رغم أنه ليس أكبر أبناء الباشا بل ثانيهم لأن محمود هو أكبر أبناء الباشا[3]،وعنه يقول الكوني:

محمود باي...أحق بالعرش من محمد شرعاً لأنه ابن الباشا الأكبر[4]

ونتيجة لعلاقة الباشا أحمد مع فرنسا،أوصى الباشا ابنه بأن يوطد علاقته بها فقام باختيار(سي ـ حمد) نجل حسن كاهية رسولاً إليها حيث ثم التعجيل بتهيئته للرحيل[5].

قدم رسول فرنسا للإيّالة الطرابلسية،وأعرب له محمد القره مانلي عن حاجته لفرنسا[6] لأنه اكتشف أن له أعداء يغارون من توليه الحكم[7]،وفي هذا يقول الكوني:

"استقبل محمد باشا المسيو كولليه(GOULLET) قنصل فرنسا الجديد لدى المملكة، وأعرب له عن حاجته الماسّة لصداقة فرنسا"[8]

علم محمد القره مانلي،أن صهره وابنه هما من قتلا أحمد حسن كاهية، قبيل ذهابه لفرنسا،فما كان منه إلاّ أن أمر بقتلهما رغم أنهما قريباه الأول ابن عمه ،والثاني ابن أخته[9]،وقد وصف الكوني مقتلهما بقوله:

" في الساعات التي تهامس فيها أهل المدينة بنبأ العثور على ابن شعبان بك صهر الباشا وابن عمّه مقتولاً خنقاً "[10].

هذا وقد تمرد ابني كاهية على محمد ، حين قدم الأكبر على رأس جيش من الأتراك قادماً من مصر،ولكن أهالي سرت قاموا بقتل الأتراك، أمام الأخر القادم من

---

[1] ـ ينظر إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص459.
[2] ـ ينظر ن.إ.بروشين،تاريخ ليبيا في العصر الحديث،ص125.
[3] ـ ينظر رودلفو ميكاكي،طرابلس الغرب تحت حكم الأسرة القرمانلية،ص85.
[4] ـ ينظر إبراهيم الكوني،في مكان نسكنه في زمان يسكننا،ص17.
[5] ـ ينظر شارل فيرو،الحوليات الليبية،ص309.
[6] ـ ينظر الصادق النيهوم،تاريخنا،الجزء الخامس،ص68.
[7] ـ ينظر شارل فيرو،الحوليات الليبية،ص310.
[8] ـ إبراهيم الكوني،في مكان نسكنه في زمان يسكننا،ص23 -24.
[9] ينظر شارل فيرو،الحوليات الليبية،ص310.
[10] ـ إبراهيم الكوني،في مكان نسكنه في زمان يسكننا،ص41.

تونس فبسبب الحرب التي كانت بين تونس والجزائر أدت لعرقلته،ولكنهما رغم ذلك اجتمعا في غريان وانتظرا دخول قوات القلعة معهم في حرب إلا أن الجيش أصابه الملل فتفرق وهرب الأخوان لتونس[1].

عند وصف الكوني للجيش يقول:

"الجواسيس الذين أنبأوا بقرب وصول جحافل جيش شقيق أحمد كاهية الأكبر الملفق من مرتزقة الأتراك قادماً من مصر في الوقت الذي اقترب فيه وصول جيش شقيقه الثاني من مغامري القبائل قادماً من تونس"[2]

نلاحظ أن ما قام به الأخوان أشبه بما فعله حنا بعل بعد هزيمته للرومان وقربه من المدينة،كان حنا بعل قد تعب[3]،واسم هذه المعركة كما يقول الكوني:

هانيبال ...سحق جيوش روما في معركة "كان" الشهيرة، وبدل أن يزحف ليحتل المدينة ذهب ليتسكع بجيشه في الأنحاء[4]

كانت علاقة فرنسا بمحمد القره مانلي، علاقة قوية فعندما اختطف سفينة فرنسية من قبل البحارة الطرابلسيين،قام بتحريرها وإعادتها لفرنسا[5]،كما طرد رئيس القراصنة الذي انتهك حرمة العلم الفرنسي[6].

بعد ذكرنا لما تضمنته روايات الكوني الثلاث،من أحداث تاريخية،نستطيع القول إن الكوني ذكر هذه الأحداث لكي تكتسب رواياته الطابع التاريخي، ولكي يتخذ منها دعائم يتكأ عليها في كتابته؛ كما كان حريصاً على أن يشعرنا بحرصه على أمانته العلمية التاريخية.

---

[1] - ينظر شارل فيرو،الحوليات الليبية،ص311 - 312.
[2] - إبراهيم الكوني،في مكان نسكنه في زمان يسكننا،ص48 -49.
[3] - ينظر الصادق النيهوم،تاريخنا،الجزء الثاني،ص140 - 141.
[4] - ينظر إبراهيم الكوني،في مكان نسكنه في زمان يسكننا،ص47 - 48.
[5] - ينظر شارل فيرو،الحوليات الليبية،ص312.
[6] - ينظر الصادق النيهوم،تاريخنا،الجزء الخامس،ص69.

▪ المبحث الثاني:

رؤية الحاضر بعين الماضي.

الرواية التاريخية عند الكوني اسقاط للماضي على الواقع المعيش:

يحمل هذا المبحث في ثناياه نوعاً من أنواع المفارقة ؛ التي أوردها الكوني في رواياته الثلاث ، منها على سبيل المثال : المفارقة اللفظية ،ومفارقتي الحدث والزمن.

وهذا المبحث وجدناه قد اندرج تحت نوع مفارقة الزمن ،ذلك لأن القارىء لهذه الروايات، يشعر بأن التاريخ يُعيد نفسه ،ما جعلنا نعلم أن الكاتب يسقط في كتاباته الزمن الماضي على الواقع المعيش ،وهذا ما سنحاول توضيحه.

يقول الكوني :

" قالت أيضاً إنها ليست الإنسانة الوحيدة التي تستشعر وجع الاغتراب لمجرّد أنها اختطفت يوماً من أهلها على يد مغامر قرصان، ولكن الناس كلهم مختطفون بيد قرصان ."[1]

نظرنا إلى المعنى بصورة أشمل في قول الكوني السابق:"... ولكن الناس كلهم مختطفون بيد قرصان" دل ذلك على أنه قصد المتحكم في مصائر الناس ، رب الناس وفي هذا جرأة على الله وهذا ليس بجديد على الكوني[2] هذا من ناحية، ومن ناحية ثانية فلعله قصد أن إفريقيا قد اختطفت من أهلها ،ذلك لأنها كانت تحت سيطرة قوة خارجة عنها، للاستفادة من ثرواتها، واتخذت من أبنائها عبيداً لديها، وفي قراءة ثالثة لعل الكاتب أراد توضيح أن الاستغلال ؛ لا يقتصرعلى هذه الدول، لوجود قرصان آخر، هوالأنظمة الحاكمة المستغلة والقائمة على استغلال دُولِها ونهب خيراتها .

يقول الكوني :

" لم تعرف في ذلك الزمان من هو هذا الإله أبيبي الذي تحدّثت عنه العرّافة فسألت أمها عن هوية الرّب. تذكرت أيضاً أن الأمّ سقطت أرضاً، وهدهدت تراب المكان براحة يدها مرات عديدة قبل أن تخبرها بأنه "ملك الظلمات وربّ الشرور كلّها! "[3].

عندما يقرأ القارىء ما يقوله الكاتب ؛ يعلم للوهلة الأولى أنها امرأة تتحدث عن الرب

---

[1] - إبراهيم الكوني، لون اللعنة ص27 .

[2] - ينظر علي الهوني،أضواء نقدية على رباعية الخسوف،ص39-69.

[3] - إبراهيم الكوني،لون اللعنة، ص45 .

أو الإلـه المعبود ،ولكن ما أراد الكوني قولـه ؛إن إفريقيا تعـاني من نظم الاستبداد والظـلم والقهر، التي تمثل القوى الحاكمة عليها.

يقول الكوني :

" توسلت المسكينة مرة أخرى:" لا أريد أن أموت! ". فعاد الرجيم يغنّي أغنيته الغربية قبل أن يقول:"جئتك بالدواء الذي سيشفيك إلى الأبد !"[1].

هذا الحوار دار بين أم زنجية وابنٍ كارهٍ لأمه يريد أن يقتلها ، ويعد موتها شفاء لـها ولكن الحقيقة أن الأم ما هي إلا القـارة السمراء (إفريقـيا)،والشيطـان الرجيم هـو من خانها وأراد قتلـها بتعاونه مع من أرادوا استعمارها، والسيطرة عليها.

وليؤكد الكوني ما ذهب إليه نراه يأتي بأمثلة كثيرة :

" يُقال أن الرجيم فعل المستحيل لكي يتجرّد من جلدته أيضاً تردّد على كل العطارين الذين عرفتهم قرطبة ،المقيمين منهم والعابرين، أملاً في أن يحقق حلمه الجنونـي في التخلص من اللون "[2] .

لعل قصد الروائي فيما سبق، بني جِلدته لا لونه كما هو قال ،لأن من المعلوم لدينا أن لون الإنسان لا يتغّير ،بل كثير من الناس تشعر بالإعتزاز بلونها أيّاً كـان، ولكن هذا الخائـن بلغ حد الإنكار لوطنه وأمته حتى صار لا أمل فيه لأمـه إفريقـيا ولا لأبناء جِلدته ووطنه.

ويضيف الكوني :

من أراد أن يحيا بين الناس فليس له إلاّ أن يرى ما يراه الناس ويعبد ما يعبده الناس.. ما حيـاتنا في الدنيا إلا لعبة أقنعة![3].

إذا أخذنا كلام الكوني ظاهريـاً فإنه يتحدث عن الإله العابث، صنع الكـون ليلهو به، وفي هذا يقول الله تعالى:" أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لاَتُرْجَعُونَ"[4]

" لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْواً لاَّتَّخَذْنَهُ مِن لَّدُنَّا إِن كُنَّا فَعِلِينَ "[1]

---

[1] - إبراهيم الكوني، لون اللعنة ،ص50 .

[2] - إبراهيم الكوني،لون اللعنة، ص51 .

[3] - ينظر إبراهيم الكوني،لون اللعنة ص57 -58 .

[4] - قرآن كريم ،سورة المؤمنون،الأية 116 ،برواية قالون لقراءة نافع.

ولكن لعل الكوني أراد القول بأن حياة الناس... فيها النفاق إلى درجة أن طمس نور الحرية وهذا ما نراه في بعض الأنظمة التعسفية،الملايين من الناس يؤيدون ولكنهم في حقيقتهم منافقون إذ الحكم هو حكم الأقوياء، في حين أن هؤلاء الناس لا يملكون سوى الخوف على الأبناء والأنفس والأموال ، فيجنحوا للتأييد والسير وراء خطا الحكام.

وزيادة في التوضيح يقول الكوني :

قال الشعر في بيتين اثنين كم اعتاد أن يفعل في الماضي عندما تستولي عليه حمّى الحنين ، فأثارته أبياته فضول الأهالي حتى أنها نالت استحسان البعض .. جعل أحدهم يعقد مقارنة بين أشعاره تلك وبين الأشعار التي نظمها نيرون في يوم الحريق الذي التهم روما[2].

يقحم الكوني في الفقرة السابقة قصة نيرون وحرقه لروما[3]، وذكر أن قريحته جادت بأبيات شعرية يملؤها الحنين إلى موطنها وتبين كيف لهذا الخائن المتنكر لأصله وموطنه، وحتى للونه الذي يربطه بهم ؛أن يعرف الحنين؟

الحنين للوطن لا يعرفه ؛سوى من اعتز بانتمائه إليه، وقدَّمَ نفسه فداء له ضد أي قوى غازية.

يقول الكوني :

"لو كنت مخلوقاً ناصعاً لأكلتُ اليوم لحمك نيّئاً. ولكنك جيفة! لست جيفة ككل الجيف ولكنك جيفة نتنة! جيفة ظلماء! ولن أتنازل لآكل لحم جيفة ظلماء برغم أني أكلت في أسفاري لحماً نيئاً مراراً. لم آكل لحماً نيّئاً فحسب،ولكني أكلت لحوم الناس أيضاً!"[4].

نعلم مما سبق، إن سيد هذا الخائن ، قد أكل لحوم الناس وهذا الفعل ليس الفعل المتعارف عليه من تناول الشيء، ولكنه بمعنى النهب،أي أنه قد نهب حقوق الناس وأموالهم قال تعالى مهدّداً من ذلك: " وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ "[5]

---

[1] ـ قرآن كريم،سورة الأنبئاء،الأية 17 ،برواية قالون لقراءة نافع.
[2] ـ ينظر إبراهيم الكوني،لون اللعنة ص67 .
[3] ـ ينظر الصادق النيهوم،تاريخنا،الجزء الثالث،ص40 .
[4] ـ إبراهيم الكوني،لون اللعنة ص81 .
[5] ـ قرآن كريم ،سورة البقرة،الآية 24 ،برواية قالون لقراءة نافع.

هـذه واحدة، أو قد يكون سيده مغتاباً يمشي بين النـاس بالنميمة للفتنة؛ وهذه الصور أوضح من الأولى في القرآن قال تعالى:" أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَّأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيّتاَ"[1]

يقول الكوني :

ولكن الفاسـي لم يكن في نيّته لا أن يكف عن التلذذ بسيرته..إلاّ أنه لم يتوقف لا عن ارتكاب آثـامه، ولا عن التلـذّذ بترديد سيرة التـهام اللحم البشري النيّء الذي وجده لذيذاً[2].

إن في ترديد الفاسي لسيرته في نهب حريات الناس،ما نجده في الأنظمة الظـالمة فهم لا يكتفون بظلمهم لشعوبهم؛ وإنما يكررون ما قاموا به، وذلك لكي تخشاهم الشعوب ، ويثيروا الذعر في نفوس ضحاياهم.

يقول الكوني :

" مع الأنباء التي تتحدث عن الانتصارات الحاسمة التي أحرزتها جحافل الفرنجة على جيوش المسلمين واقتحامهم لأسوار المدن المجاورة فعمّت البلبـلة ،وتسابق الناس إلى الأسواق للاستيلاء على أوفر نصيب من الأغذية "[3].

بالفعل إن هـذا ما يحدث في زماننا الحاضر، ففـي الوقت الذي تُهاجـم فيه العراق بالجيوش الأمريكية ،نجد بعض الدول العربية لا تكترت لما يُصيب العراق من دمار، بل تكتفي بالنظر،هـذا إن لم تسارع لطـلب رضـى أمريكا فكيف يتعجّب الكاتب من تسابق الـناس للأسواق ؛لتوفير الأطعمة في الوقت الذي يجب فيه إعداد العُدّة للدفاع عن مدنهم ، ومساندة المدن المُهاجمة من الإفرنج، أليس شراء الطعام أهون من إبرام

الاتفاقيات مع الأعداء ؛ وكسب محبتهم ورِضاهم !.

يقول الكوني :

" الناموس يقول أن كل مالـك مملوك ، وكل مملوك مالـك !"[4].

---

[1] ـ قرآن كريم،سورة الحجرات ،الآية 413 ،برواية قالون لقراءة نافع.
[2] ـ ينظر إبراهيم الكوني،لون اللعنة،ص89.
[3] ـ إبراهيم الكوني،لون اللعنة،ص90 .
[4] ـ إبراهيم الكوني،لون اللعنة، ص108 .

لعل الكوني قد قصد مما قاله سابقاً ،أن كل صاحب ملك سلطان مثلا يكون مملوكاً لله، أو للحكم والسلطة أو مملوكاً لبلاده، وأفرادها ،أما ما يقوله عن كل مملوك مالك ؛فهذا ما يماثل: كل سيد عنده سيد[1]،فكل الحكام العرب إذا كانوا سادة يتحكمون في مصائر شعوبهم، فإن الغرب وإمريكا تتحكم في مصائرهم.

يقول الكوني :

" تلقوا إمدادات طائلة من الرجال الذين احترفوا الحروب حتى أنهم لا يشعرون بالضجر بغيابها كما يحدث للجند في جيوش الفرنجة، ولكنهم يموتون ميتات حقيقية لا بسبب الحروب،ولكن بسبب غياب الحروب"[2].

هذا القول يتماهى مع ما قاله خالد بن الوليد في رسالته إلى بلاد فارس"اسلموا تسلموا وإلا فأدوا الجزية وإلا فقد جئتكم بقوم أحرص على الموت منكم على الحياة"[3]

أما في واقعنا المعيش فإن الحروب هي التي تفرض علينا، وغالباً ما تكون الشعوب وقودها،وإن كان من مفارقة في حب الموت للإنسان العربي لنيل الشهادة،وكرهها من قبل المحتلين.

فهذا ما نراه واضحاً بين الفلسطنيين والصهاينة اليهود،حيث قال أحد قادتهم[4]: "إنهم يريدون الموت ونحن نريد الحياة.فماذا نفعل؟

يقول الكوني :

دخل "الفاسي" بجيشه إلى ربوع الصحراء الوسطى... كان هذا الداهية يتلو على القوم

المساكين مزاميره المزورّة عن الشرّ الذي استفحل وعن المنكر الذي استولى ،وعن العقل الذي تبلبل وعن أجَل الخلاص الذي حان وسوف يحلّ يديه..في الوقت الذي كان

---

[1] ـ مثل شعبي ليبي.

[2] ـ إبراهيم الكوني،لون اللعنة ص115 .

[3] ـ إسماعيل بن كثير الدمشقي،البداية والنهاية،المجلد السادس،لا توجد طبعة،لا توجدسنة النشر ،المكتب الجامعي الحديث،الإسكندرية ـ مصر ص361.

[4] ـ هو رئيس الوزراء الإسرائيلي: مناحيم بيغن ،والذي تعذر العثور على معلومات من ضمنها تاريخ قوله هذه العبارة.

فيه مرافقوه الأنذال يعيثون في حرم الصحراء فساداً بعيونهم قبل أن يفعلوا ذلك بأيديهم[1].

إنه يمثل الحاكم العربي،الذي يقول كلاماً ويفعل غيره ويجب أن يحمد بما لم يفعل.

يقول الكوني :

" أن الروح البطولية لا تتخفى إلاّ في الأبدان النحيلة.كأن هذه الروح المستعارة من روح الخفاء لايروق لها إلاّ أن تتنكر(مثلها مثل كل شيء في الصحراء) لتخفي سلطان جبروتها لا في القوة ولكن في الضعف"[2].

ما قصده الكوني هنا أن القوة في الضعف، وليست القوة في الأشياء القوية خاصة في الطبيعة.

فليس في الطبيعة أقوى من الحجر الصلد وأضعف من الماء .ولكن انظر ما يفعل الماء في الحجر...أذابه .. ويذيبه لتختفي قارات وجزر ،وأحياناً يكون قوياً بالفيضانات التي تجتاح المدن فتحيلها إلى دمار.. وكذلك يقال مع الرياح أليست نسمة انظر ماذا تفعل حتى في القرآن عذب الله بها من كفر وفي هذا يقول الله تعالى:"وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَراً فَسَآءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ"[3].

كما يقول الله تعالى أيضا:"وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُواْ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ"[4].

يقول الكوني :

" كلّنا أمّة مسكونة لأننا لا نفرّق العدوّ من الصديق.لأننا كثيراً ما نستحسن العدوّ الذي يتنكّر في جلد الصديق، ونستنكر الصديق الذي يتهيّأ لنا في بدن العدوّ "[5].

إن صورة العدو في ثياب الصديق تتكرر كثيراً لدى الكتّاب والشعراء ، بعضهم يرمز بذلك للدنيا.

يقول الحراني[6]:

---

[1] - ينظر إبراهيم الكوني،لون اللعنة،ص138 - 139 .

[2] - إبراهيم الكوني،لون اللعنة، ص173 .

[3] - قرآن كريم،سورة الشعراء، الأية 173 ،برواية قالون لقراءة نافع.

[4] - قرآن كريم ،سورة الحاقة،الآية 5 ،برواية قالون لقراءة نافع.

[5] - إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً، ص17 .

[6] - وجدت هذا البيت في كتاب الصداقة والصديق،للشاعر الحراني،Forum.moe.gov.omولم أعثر له عن ديوان مطبوع.

إذاَ امتحن الدُنيـا لَبيبٌ مجربٌ تكشّفتْ لهُ عن عدوٍ في ثيابِ صديقِ

وبعضهم يجعله المستعمر،وأصدق ما يمثلها من الشعر قول المتنبي:

إذَا رَأَيْتَ نُيُوبَ اللَّيْثِ بـارِزَةً فَلاَ تَظْنَنَّ أَنَّ اللَّيْـثَ يَبْتَـسِمُ[1]

وهذا الزمان كما في غيره يُعاني الناس من السطحية،وإن اتضحت في هذا الزمان أكثر لتوفرها بغزارة.

يقول الكوني :

" ينتظر سادة السواحل ،وسادة السادة في ما وراء السواحل الفوز بالثروات الخرافية الطائلة التي لن يقنعهم سخاؤها حتى لو حدثت معجزة وامطرت سماء هذه الربوع ياقوتاَ،وتحوّلت ذرّات ترابها تبرا"[2].

إن ما يقوله الكوني هو ما يقوم المستعمرون اليوم ،عندما تضاعف طمعهم حتى أصبحوا ينقبون الأرض بحثاَ عن كنوزها.

يقول الكوني :

تساءل أكثر من صوت عن أي داء تحدثّت فانتظر حتى هدأت الهرجة ليوضح أحمد القرمانلي: الانكشارية! الداء هو شراذم الإنكشارية الذين سمّموا البلاد بالفتن، وقطعوا دابر الاستقرار بالدسائس ،لأنهم ملّة خسيسة لا تخلد لنومة قبل أن تشرب من دم، أو تنهب أرضاً ،أوتغتصب عرضاَ ! .. بمساعدة سواعد هذه الشرذمة نُصّب المدعو "أبوميس" حاكماً ![3].

هكذا هو الاستعمار في كل عصروهو الذي عبر عنه الكاتب بـ(سادة السادة) لا يهمه من مستعمراته إلا نهب ثرواتها ،والتي وإن لم يستعمرها سياسياَ، أوعسكرياَ استعمرها

اقتصادياً.

فالإنكشارية بالأمس هي القوات الأمريكية والأوربية اليوم، والمدعو أبو ميس الذي نُصب بمعونة الأنكشارية هو ما يمثله "قراضاي" ،" المالكي" وغيرهما ممن سُلموا

---

[1] - ديوان المتنبي،ص253.

[2] - إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداَ،ص27.

[3] - ينظر إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص31 -32 .

الحكم ولكنهم كالدمى تحركهم القوات الأمريكية، التي لم يرحها نشر الفتن والدمار بل عاثت فساداً في عدة بلدان.

يقول الكوني :

"عليه أن يسلك سبيلاً آخر، سبيلاً أخطر يقيناً ،إذا شاء أن يحقق للبلاد خلاصاً من فصول المهزلة التي تتابع على خشبة الوطن البائس منذ سنوات وسنوات .لأن لا شيء يتغير إن لم تبادر بتغييره بأنفسنا لا شيء يمكن أن يتغير إذا لم نغير ما بأنفسنا "[1].

هنا يُحرض الكوني للقيام بثورة ضد أشكال الأستعمار العديدة ،وهذه الثورة هي التي ستغير حال الأوطان المستعمرة بأي شكل كان استعمارها،وهذا القول يتناص مع الآية القرآنية:"إِنَّ اللَّهَ لاَيُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ "[2]

يقول الكوني :

" لأن رسالته أن يأتي بالمخلوقات التي لاهمّ لها إلاّ خنق الأنفاس بالجدران وقمع هاجس الترحال. قمع الحرية التي يحققها الترحال"[3].

في زمننا نجد كثيراً من الأنظمة تقمع الحرية وتمنع الترحال والسفر على مواطنيها ليعيشوا في سجنهم الكبير الذي يطلق عليه مجازاً دولة .فيحرم عليهم إصدار جوازات مثلا.

يقول الكوني :

" يوم رأى دايات تجري في دمائهم سلالات الأغراب يتبادلون تولي أمر البلاد البائسة الواحد تلو الآخر كل بضعة أيام أو بضعة أشهر فوسوس له الوسواس بسؤال: " ألستُ

أنا الأَوْلىَ من كل هؤلاء ؟ ألست أنا سليل هذا الوطن المعجون من طينة هذا التراب أوْلى أن أتولى أمر هذا التراب بدل السماح لأوباش الأفاق أن يقفوا في طابور كل

[1] - إبراهيم الكوني، نداء ما كان بعيدا ص41 .
[2] - قرآن كريم ،سورة الرعد،الآية 12 ،برواية قالون لقراءة نافع.
[3] - إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً، ص 44 .

ينتظر دوره في نيلها كأنها مومس في مأخور وليست وطناً نبيلاً لم ينل هذا المصير إلا بسبب رحمته بالغرباء ومغالاته في العطاء؟ "[1].

إن هذا ما مرّ على الأرض العربية؛ حيث تعددت الحكومات وتعددت أشكال الاستعمار لها، سنوات.

أبناؤها أحق بها وبخيراتها من الغرباء،الذين لا يأتون سوى للسيطرة والتحكم فيها بأي شكل.

يتضح أن الكوني يريد إيقاظ الوطنية العربية في نفوس قرائه.

يقول الكوني :

" ألم تحن الفرصة لأن يثأر لكرامة هذه الأم الجريحة التي استبيحت من قبل الأوغاد على مدى مئات من السنين الطويلة"[2].

يتوجه الروائي فيما قاله سابقاً، بكل وضوح بهذا السؤال إلى أبناء هذا الوطن ويريد أن تتحرك فيهم روح القومية العربية النائمة، إن لم تك ميتة.

يقول الكوني :

" في ساعة الفرح بنيل السلطان حزن لأن السلطان وزر في رقبة السلطان وليس مكافأة على صنيع "[3].

يتحدث الكوني عمن نال السلطان هبة، رغم أن في الحاضر من تحصّل عنه هبةَ لا يحزن ،والدليل هو تقاتل الأخوة فيما بينهم لأجل ميراثه، مثلما حدث في بعض الأقطار العربية، كما لا وجود لمن يفكر في الوزر،لأن الوزر الأول في تقبله البداية، ولأن زمن العدالة لعله قد انتهى.

يقول الكوني :

[1] - إبراهيم الكوني ،نداء ما كان بعيدا ،ص52 .
[2] - إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص52 .
[3] - إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً، ص67.

" ويروى أن جدران ذلك القصر ارتوت يومها من دمـاء الإنكشارية حتى سالت على البلاط . وقد دفع بها البلاط إلى البستان المحاط بالقصر فشربتها الأرض لتـسقي بها جذور أشجار الزيتون والبرتقال والنخيل.هذه الأشجار التي أطعمت الأقرباء والغرباء من ثمارها فحرقت على أيدي هؤلاء الإنكشارية مراراً انتقاماً من أهلها"[1]

نلاحظ هنا أن الكوني أراد من أبنـاء الأمة في وقتـنا الحاضر أن يثـأروا لأرضهم لعرضهم ،أن يُسقوها من دمـاء أعدائها الذين سفكوا الدماء وقتلوا الأطفال والشيوخ، شردوا العائلات ،يريد الكوني من ضمير الأمة أن يستيقظ من نومته الطويلة.

يقول الكوني :

" كان أحد الخدم ينحني في الباب إكباراً لمقام كبير الضبّاط ويهرع بدوره ليساعده في خلع سيفه المهيب المرصّع بالجوهـر الملوّن ،بمقبضه الذهبي البارز من غمـدٍ منمنم بالأحافير، والمرشوش بمـاء الذهب، الذي تقول الأقاويل أنه سلبه من أحـد أصحاب إحدى القوافل العابرة إلى برّ الحجاز"[2].

أراد الروائـي بهذا القـول أن يوجه نظر أبناء الأمـة إلى ضرورة إرجاع حقنا الذي سلب ولو باتباع الحيل لنيل هذا الحق المسلوب.

يقول الكوني :

" كان فرسان الإنكشارية يستمرّون في التوافد على القصر المكابر،المرشوش بالجير، فيبدو فوق الرابية مثل ضريح مهيب من أضرحة المرابطين والأولياء. ولم يكن يخطر ببـال هؤلاء الأشقياء أن ذلك البنيان قد تحول منذ تلك الليلة (بفضل إقبـالهم عليه) ضريحاً حـقاً ، بل جبّانة تـأوي في جوفـها جثث الأشقياء بدل رفـات المرابطين أو الأولياء "[3].

[1] - إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص79 -80.
[2] - إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً، ص80 .
[3] - إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً، ص85 ,

يوضّح الكوني مدى قداسة الأرض العربية، وبأنها تزداد قداسة عندما تُدفن بها جثث أعدائها الظامئين لنهبها.

يقول الكوني :

" الأعداء الظامئين إلى الحكم أكثر عدداً وحِيَلاً وعدّة ،ولكن بسبب ذلك السيف المسلّط على رقاب المسمّى سلطان الآستانة الذي لن يعترف بسلطة محلية قام بها أهل البلاد إلاّ إذا حدثت أعجوبة لأن هذا البعبع يعلم يقينا أن سابقة كهذه لن تكون بداية النهاية لسلطان الإمبراطورية على طرابلس وحسب، ولكنها سوف تكون مثالاً يحتذى من قبل المحميات المنضوية تحت لواء الأتراك لا في شمال إفريقيا وحدها،ولكن في العالم كله "[1].

إن أتراك الأمس،ماهم إلا الأنظمة العربية اليوم، وما أن تثور إحدى هذه المحميات أو البلدان وتحقق الحرية من هذا النظام أو ذاك، حتى تتحالف ضده البقية لأن في تحطيم صنم منها بداية تحطيم لغيره.

هذا خارجياً، أما إذا كان ذلك داخلياً فكل صنم عنده أعوانه الذين يقضون على تلك الثورة وفي الحال.

والتاريخ المعاصر حافل بمثل هذه الثورات، فيما واجهته أو تواجهه بعضها إلى الآن.

يقول الكوني :

"من اختارته الأقدار ليكون خليفة الله في الأرض لا يجب أن ينال ولكن عليه أن ينتزع. ليس عليه أن يستدين،ولكن عليه أن يستولي .لأن كل ما ملكت أيدي الناس هو ملك يمينه "[2].

هذا نقد ذاتي لأنظمة الحكم العربية وغيرها من الأنظمة التي يستولي فيها على السلطة حكام انتزعوا الحكم انتزاعاَ،ولم ينالوه من الشعب نوالاَ.

ولهذا صارت البلاد كلها مباحة لهم ملكوها لأنهم لا يُسألون،وإنما هم من يسأل.

فالحلال ما حل في أيديهم من أموال الدولة ،أو أموال الناس والحرام ما حرموا منه.

---

[1] - إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيدا ص88 -89 .

[2] - إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداَ، ص113 .

يقول الكوني :

"صمت صوت الحقيقة في مملكة الطبيعة "[1]

مملكة الطبيعة لا يمكن أن تخرس بأي حال من الأحوال،لأن حاكمها عال والعدل من صفاته.

أما ممالك البشر خاصة العربية ،فالبشر في هذه الممالك مطالبون ببلع ألسنتهم ليصمت صوت الحقيقة في بلدانهم.

يقول الكوني :

"سنجعل منه ضحية ثمناً لهذا النبل !هذا ناموس الدنيا يا مولانا"[2].

نلاحظ هنا أن الكوني يترجم قانون الدنيا ،قانون الأقوياء الذين لا يأبهون لقتل النبلاء،وهذا يُصور زماننا،الذي أصبحت القوة هي الشيمة الطاغية، لمن أراد البقاء في هذه الدنيا.

يقول الكوني :

" الدول بنيان لاتشيّد أركانه النذالة، ولكن بالتسامح.لأن الإنسان إن لم يتسامح، إن لم يغفر،فلن يكون بوسعه أن يكسب صديقاً فكيف يكسب شعباً بل ربما شعوبا "[3].

يضع الكوني مفتاح تشييد الدول، وفي نظره أنه التسامح الذي يقضي على الفتن التي برعت في نشرها بين أبناء الوطن.

يقول الكوني :

"هوس الخازندار وأمثال الخازندار بالمال هو سبب هذا العار ظناً من هؤلاء بأن المال عَصَب الدولة وليس العدالة "[4].

يضيف الروائي بذكره لعصب الدول الذي يظنه المستعمرون بأنه المال، في حين أنه

العدالة،ولكن المال والعدالة لايجتمعان،لأن المال يُخِل بالعدالة وينمي الظلم ،رغم أنه يظمن مكانة الدول في هذا الزمن.

---

[1] - إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداَ،ص132 .

[2] - إبراهيم الكوني ،نداء ما كان بعيداً ص151 .

[3] - إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً، ص155 .

[4] - إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداَ، ص155 .

يقول الكوني :

" عبثاً يحاول الأبريـاء أن يأتوا للسلالـة بالخلاص لأن الأدهياء سرعان مايتلقفون الوصية ليعبثوا، ويسخّروها لمآربهم "[1].

إن هـذا ما يقومُ به بعض الحياليين في هذا الزمـان؛حيث ما أن يعلموا بقانون مثلاً، حتى جعلوه يخدم مصالحهم ،ويقع تطبيق القانون الحقيقي على الأبرياء.

وهكذا يفعلون في كل زمن وفي كل قطر.

يقول الكوني :

" سلخ جلود شجعانهم على مرآى ومسمع من ذويهم. ولم يتوقف عند هـذا الحد،ولكن الدّعي سبـى نساءهم ،واستباح أبكارهم بأن دخـل على عدد منهن[2] كما يدخل التيس العشير على الأغنـام المحشورة في المرابط ثم لا يخجل من أن يدّعي أنه نبي القوم المنتظر "[3].

ما أشبه الليلة بالبارحة.

يقول الكوني :

" يستطيع أن يتباهى بأنه الوالي الوحيد من بين كل ولاة الإمبراطورية! الذي استطاع أن ينزعها بسيفه فلا يكتفي بذلك بل ويبرهن أيضاً على أنها لم تُخلـق إلاّ له قبل أن يبرهن على أنه لم يخلق إلاّ لها."[4]

هـذا قديماً وكأنها غنيمة انتزعها بسيفه.. أما الآن فكلهم انتزعوا السلطة في بلادهم بسيوفهم فصارت غنائم مستباحة لهم.

يقول الكوني :

" الهزيمة التي لا تلحق العـار بالأبطـال الذين لا يخوضون الحروب للاستيلاء على الغنائم ،أو لإرواء الظمأ إلى سفك الدماء ،أو لإرضاء الكبرياء باستعباد الأمم ،ولكنهم يحاربون دفاعاً عن النفس عندما يحاربون في سبيل الحقيقة."[1].

---

[1] - إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيدا ص166 - 167 .
[2] - ينظر شارل فيرو،الحوليات الليبية،ص277 .
[3] - إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص167 .
[4] - إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص 203 .

كثير من الحكام العرب يفعلون ذلك فهم ،إن لم يستطيعوا شن الحروب الخارجية قاموا بها داخلياً بالاستيلاء على ممتلكات شعوبهم واختلقوا لذلك أسماء كثيرة لتبرير أفعالهم ..أو هم يقومـون بالهجوم على الدول المجـاورة خاصة الضعيفة لإرضاء غرورهم وتحقيق شهوة سفـك الدمـاء في نفوسهم ولإرضاء كبريائهم في ما يسمى بالعظـمة الكاذبة.

يقول الكوني :

" أماتت قنابـل أولئك الذين يفخرون بالتسامح أناساً ينتمون إلى أعراق الأمة المتهمة بالتعصّب**!"**[2].

هـذه الفقرة تدل على ما تقـوم به الدول الإستعمارية، التي تدعي التسامـح من دفن للأحياء في بيوتهم بالقنابل المحرمة دولياً، دكها بالطائرات وهم في كل ذلك يدعـون التسامح وما أجبرهم على ذلك الفعل إلا تعصب "إرهاب" الأمم القابلة.

وهـذا بالتحديد ما فعله ويفعله الصهاينة بالفلسطنيين، وكذلك ما فعله وتفعله أمريكـا بأفغانستان والعراق.

يقول الكوني :

" كل من استولى عل أرض أغراب يوماً فلا بّد أن يفقدها يومـا لنجد أن هذه الرقعة قد عادت إلى صاحبها الفعلي في نهاية المطاف **"**[3].

يتحدث الكوني عن واقع بعض الدول العربية ؛التي استعمرت في يوم من الأيـام من قِبل دول غربية غريبة عنها، واليوم عادت إلى أصحابها الأصليين.

يقول الكوني :

"لقد مرّ بدياري في طريقه إلى الحجاز لأداء الفريضة فنهب الأموال واستبـاح الحريم وهو في طريقه إلى بيت الله للتكفير عن سيئات لن تُغفر له يقيناً **!"**[4].

---

[1] - إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً، ص241 .
[2] - إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً، ص397.
[3] - إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيدا، ص457 .
[4] - إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص461 .

هـذا ما يقومُ به بعض أصحاب السلطة والسلطان اليوم؛فما أن يملؤا جيوبهم بالأموال الحرام حتى يقصدوا بيت الله،للتكفير عن ذنوبهم.

يقول الكونـي :

" هذه الفئة هي أخطر الفئـات على السلام بين بلديـنا لا لأنها ما تزال تؤمن بالحرب كرسالة في سبيل الله، ولكن لأنها الفئة التي تتستر بقناع الديانة لتخفي نواياها الحقيقية. لتخفي منافعها الحقيقية "[1].

يتحـدث الكونـي عما نراه اليوم من الفئة التي تدعي الجـهاد والتعصب الديني في الوقت الذي تقتل فيه الأبرياء،وتترك أصحاب الفساد يعبثون بالأرض، ماجعلنا نقول، إنها الفئة التي تقتل الناس على نواياهم.

يقول الكونـي :

"إذا لم يهتدوا إلى سرّ اليد التي تميت فأخشى أن زمناً سيأتي لن يجدوا فيه اليـد التي تُحيي ! "[2].

يحذر الكوني قراءه من اليد التي تقتل،عندما نرى الدمار الذي لحق بالعراق وفلسطين وغيرهما من الدول،يريد أن نتفطن لهذه اليد المدمرة.

يقول الكونـي :

" صاحب القوة لا يطيق وجود قـوة لا إلى جواره ولا بعيداُ عنه، لأن نامـوس القوة يرفض بالسليقة وجود أيّـة قوة في الوجود كله !"[3].

لا يطيق وجـود قوة إلى جواره لأنه لم يتعود أن يتعايش مع الآخـر،لهذا صار الرقم الصعب في دولته ،فهو لا يقبل معه أحداً فهو الأول دائماً لا مكان في بلده للأول مكرر

ومن ثم يجب القضـاء على الذين يريدون أن يكونـوا الأول مكرراً حتى يخلـو وجه السلطة ويدير دولته مطلق اليد فيها.

يقول الكونـي :

---

[1] - إبراهيم الكوني،في مكان نسكنه في زمان يسكننا،ص25 .
[2] - إبراهيم الكوني ،في مكان نسكنه في زمان يسكننا ،ص46 .
[3] - إبراهيم الكوني،في مكان نسكنه في زمان يسكننا ،ص89 .

"فشنّوا حملة سرّية محكمة وطويلة النفس بهدف زعزعة ثقة هؤلاء البلهاء بأوطانهم ليتيسر لهم إما الاستيلاء عليها،أو استغلال أهلها وهو أضعف الايمان"[1]

أي حملة في الخفاء غير منظورة يقوم جواسيس الدول الغربية لزعزعة ثـقة الشعوب بنفسها في صنع قـادة لها يؤمنون بما تؤمن به ،وذلك لغرض الاستيلاء على نفطـها وخيراتها وتمكين الحكام الموالين لهم من أخذ زمـام المبادرة في تركيع كل من تسول له نفسه أن يخرج عليهم لأنه فهم اللعبة.

الزعامات في الزمنين:

[1] - إبراهيم الكوني،في مكان نسكنه في زمان يسكننا ،ص115 .

التاريخ يعيد نفسه تلك مقولة خالدة نعم يعيد نفسه في الأحداث والشخصيات والخيانات والمعارك والعلاقات إلى غير ذلك.

فعلى سبيل المثال هناك من يجلب الجيوش الأجنبية ويضعها في قواعد لحمايته من شعبه وهناك من يُخرج هذه القواعد ويلتحم بشعبه يقول الكوني:

" الانكشارية ! الداء هو شراذم الإنكشارية الذين سمّموا البلاد بالفتن، وقطعوا دابر الاستقرار بالدسائس،لأنهم ملّة خسيسة لا تخلد لنومة قبل أن تشرب من دم، أو تنهب أرضاً، أو تغتصب عرضاً!"[1]

ما الإنكشارية في الماضي إلا القواعد الأجنبية(الأمريكية والانجليزية على أرض الوطن).

وما إخراج أحمد باشا للانكشارية والقضاء عليها إلا اخراج تلك القواعد من أرض الوطن والقضاء عليها.

ولعل ما يماثل أحمد باشا في ذلك الدور البطولي إلا ما قام به الزعيم الليبي:العقيد معمر القذافي من طرد لتلك القواعد.

ويضيف الكوني :

"انتصر على الخصوم ،وأفشل الدسائس ،وقمع كل ثورات القبائل واستهان بسلاطين الآستانة الذين ترتعد فرائص حتى ملوك أوربّا لمجرد ذكرهم،وأخضع البحر كله لسلطانه "[2].

يصف الكوني فيما سبق أحد زعماء الايالة الطرابلسية في الماضي،ألا وهو(أحمد باشا القره مانلي)الذي بنا دولة قوية مهيبة ظلت لمدة تتراوح القرن والربع وهي مهيبة الجانب من قبل أعدائها ،وهو فعلاً ما فعلته الثورة الليبية أثناء طردها للقواعد

من استهانة بالدولة المنتمية إليها كأمريكا التي ترتعد فرائص أوربا وغيرها لمجرد ذكرها.

هذا ويضيف الكوني:

---

[1] - إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص31.

[2] - إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص69 .

"وقد أجج القرمانلي حماستهم هذه بعبارة حاسمة تقول:"طرابلس منذ اليوم للطرابلسيين، ولن أسمح بأن يعود ليتولّى أمرها تركي أو أجنبي،ماظللتُ على قيد الحياة!"[1]

ما قالـه القره مانلي بالأمس، ما أشبهه بما قالـه العقيد: معمر القذافي في بيانه الأول حين تجسد حبه لوطنه وأبنائه في كل حرف منه.

يقول الكوني:

أنامل تعزف المزامير،وحناجر ترتفع بالغناء،وأصوات نساء تصدح بالزغاريد...كانت الجياد تتقاطـع في كل زاوية.. لتشارك في الفرحة بفنون سواء بالسباق،أو الرقص،أو التنافس في ابتداع ألعاب بهلوانية غير مألوفة[2]

ما فعله أحمد باشـا هو بالضبط ما تفعله الحكام العرب من تبذير لأموال الدولة على مظاهر سطحية لا طائل من ورائها إلا أن تشبع كبريـاء وغرور هؤلاء الأصنام.

كما قال الكوني أيضاً :

تمشى لويس الخامس عشر مصحوباً بأحد الأعوان... همج طرابلس صاروا غصّة في حلقي[3].

وهذا فعلاً ما يقوله رئيس البيت الأبيض ،بعد أن صارت ليبيا غصة في حلقه بعد قيام ثورتها.

نستنـتج مما سبق ،أن الكاتب ذكـر بعض الشخصيات الحقيقية، التي لها وجـود في الماضي ،ولديها ما يماثلها من حكماء في الحاضر،بينما جعل لكل رواية بطلاً طارقياً، اضفى عليه أوصاف الكمال، لعل ذلك يعود لطغيان الانتماء القبلي على مخيلة الكاتب.

رؤية الحاضر بعين الماضي:

يقول الكوني أيضاً :

---

[1] - إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص87.

[2] - ينظر إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص204.

[3] - ينظر إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيدا ص341 .

"ذهب إلى السوق واشترى عبداً وأَمَةً وجُبَةً وعمامة، واختفى من هناك ليظهر بعد أمدٍ في مدينة "فاس" لا ليفتش في ربوعها عن الأصل الضائع ،ولكن ليشتري بالمال أتباعاً يعتنقون الزور وينادون بصاحب الزور على الناس نبيّاً "[1].

يصيب الكونـي فيما ذكره عن قوة المـال على أصحاب النفوس الضعيفة، في شراء الأتباع رغم نفاقهم لمن يتبعون، لأننا نرى ما تحدث عنه في هذا الزمن، من ادعاءات ومن أتباع، رغم أنهم لم يؤمنوا بهم لدرجـة إيمانهم بأنبياء ؛في زمـن قد اكتملت فيه الرسالة وانتشر الإسلام.

نستطيع القول إن الكونـي أراد لفت الانتـباه فيما سبق؛ إلى سلطان المـال الذي هو زماننا الذي نعيشه.

يقول الكوني :

" الفرنجة الذين ابتسم لهم هذا اللغز المسمّى في ألسنة الأمم زماناً ما لبثوا أن انتهزوا الفرصة ليتجّبروا بعد أن عبس في وجوههم أمداً طويلاً"[2].

نلاحظ أن الكونـي يصف حـال الأوروبيين بين المـاضي والحاضر؛فما أن زالت حروبهم العالمية واينعت ظروفهم؛ حتى تجبروا على الأمم .

يقول الكوني :

"الناس لا تصدّق أبداً إنسانـاً يتطوّع ليعطي الكنوز على سبيل الهبة،النـاس لم تصدّق في الماضي، ولن تصدّق اليوم،وسوف لن تصدّق في يوم من الأيام،إنسانـاً يقود الناس إلى الغنيمة"[3].

أراد الكوني بهذا القول ؛ توضيح ما يدور في عقول الناس من عدم تصديقهم لمن يُقدم

العطايا لهم دون مقابل،ذلك لأنهم علموا أن لا عطية دون مقـابل،ومن أعطى دون أن يطالب بمقابل، لابدّ وإنه يبيت النية على شيء.

[1] - إبراهيم الكوني،لون اللعنة ص 109 .
[2] - إبراهيم الكوني،لون اللعنة، ص 118 .
[3] - إبراهيم الكوني، لون اللعنة ص168 .

نستطيع القول أن الكونـي جعل من نفسه ،خبيراً لخـفايا الناس ،ومحذراً لمن يحاول خداعهم بأن يُخدع.

يقول الكوني

" التأم مجلس الحكماء في خباء جلدي مهيب نصبه زعيم "آزجر" لأكابر الصحراء في خلاء يبعد عن المضارب مسـافة طويلة ، ولكن البُعْد في المسـافة لم يعصم أخـبار المجلس من التسلل خارج المجلس"[1].

ما فعله الحكـماء في الماضي، هو ما تفعله الأمم المتحدة، من إخـفاء لقراراتها بمنع إذاعتها بالأخـبار، ولكنها لن تخفى حتى إن تأخـرت إذاعتها، فكثير من المحاورات حدثت بينهم بسرية ،ولكنها اليوم تتردد في أفواه العامة.

يقول الكوني :

"لا يجب أن نأخـذ الدول بآثـام الحمقى و قراصنة البحار يا سعـادة الباشا ؟ هذا ما تقولونه دائـماً عندما يتعلّق الأمر بخطاياكم في حقنـا.أما إذا قام قراصنة من بلادنـا بارتكاب حماقـات من الصنف الذي ذكرتـه منذ قليل فإنكم لا تتسامحون ولا تكتفون بالاحتجاج ، ولكنكم تهرعـون إلى البوارج وتنصبون المدافـع ،وتقبلون علينا لتدكّوا حصوننا وتحصدوا الأبرياء بألوف الألوف دون أن يرفّ لكم جفن"[2].

إذا كان هذا منطق الدول الغربيّة قديماً تجاهنا،فهو مازال نفس المنطق لضعفنا وتفرقنا.

يقول الكوني :

" ما أن حلّت الظلمة حتى تسلّلت البوارج المدججة بالمدافـع نحو تحصينات المدينـة فرست على مسافة تمكنها من إصابة أهدافها عند بدء القصف"[3].

نلاحظ أن الكوني قد وصف حرب فرنسا ضد الإيالة، ولكن القارىء يشعر بأنه يصف ما فعلته الطائرات الأمريكية بطرابلس، حين قصفتها ليلاً والأطـفال نيام.

---

[1] - إبراهيم الكوني،لون اللعنة،ص 173 .

[2] - إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،ص270 - 271 .

[3] - إبراهيم الكوني ،نداء ما كان بعيداً،ص385 .

يقول الكوني :

" في الساعة الثامنة من مساء اليوم نفسه بدأ القصف فوقعت أول قنبلة داخل القلـعة"[1] ما أشبه قلعة أحمد القرمانلي وما أصابها بالأمس من قنابـل؛ بما أصاب بيت العقيد "معمر القـذافي" من قصف والذي أفقده ابنته، كما أن آثـار هذا العدوان لا تزال باقية إلى يومنا هذا.

استشراف المستقبل بعين الماضي:

يقول الكوني :

[1] - إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً،386.

" أن هؤلاء جميعاً حاولوا يوماً أن يستهتروا بالناموس الذي خلق الأوطان جسماً واحداً لا يتجزّأ عندما استقلّوا بهذا الإقليم أو ذاك.ولكن الأقدار خذلتهم جميعاً ،لأن الوطن جرم واحد،والجزء لابّد أن يعود ليلتحم بالكلّ سواء طال الزمان أم قصُر"[1].

يشعر القارىء بأن الكوني، يُبشر بالوحدة في المستقبل رغم ما قام به دُعاة التفرقة من توثيق للحدود، ولكن يُصر الكوني على إحياء أمل الوحدة بشدة في نفوس قرائه.

وإن صدق حدسي فهو ينبه إلى وجوب إقامة الوحدة الطارقية، إذ هم أشتات مجتمعات متفرقة في دول مختلفة.

هذا ويفلسف الكوني نظرته للتاريخ السياسي في الحكم فيقول:

"هذا ما كان يوماً. وهذا ما هو كائن اليوم.وهذا ما سوف يكون غداً، ما ظلّ في الدنيا سادة وما عاش في الدنيا عبيد. ما ظلّ في الدنيا صحبان ناموس ،وماعاش في الدنيا حملة أسفار الناموس.ما ظلّ في الدنيا عشّاق الحرية،وما عاش في الدنيا عشّاق الدنيا وخونة الوصيّة الملقبة باسم الحرية **!"**[2].

إنه هنا ينبه مرة ثانية إلى أمر مهم خافٍ،وإن كان يحدث دائماً أمام أبصارنا أن لا أحد باق في هذه الدنيا؛حكاماً ومحكومين، أنبياء موحدين وعشّاق طبيعة، أحراراً يعشقون الحرية وأصحاب هوى يلهثون وراء الدنيا حتى ولو خانوا أوطانهم.

فتنبهوا يا معشر البشر لهذا الأمر الجلل وانشروا المحبة بينكم وحاربوا البغضاء.

وكأني به بهذا الخطاب يوجهه إلى الحكام العرب بأن يحكموا شعوبهم بالديمقراطية.

يقول الكوني على لسان أحمد القره مانلي مخاطباً لقنصل فرنسا:

"أنتم لا تريدون التعويض المزعوم ،ولكنكم تريدون إذلالنا .أنتم لا تريدون الصداقة

معنا ولكنكم تريدون إخضاعنا .أنتم لاتريدون أن تكتفوا بإخضاعنا، ولكنكم تريدون أن تميتوا فينا توقنا إلى الحرية "[3].

ما أشبه الليلة بالبارحة إن الاستعمار واحد مهما ارتدى من أقنعة تمويه،هذا هو هدفه

---

[1] - إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً، ص 192 .
[2] - إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً ص 215 .
[3] - إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداً، ص 375 .

وتلك غايـته.فكل المفاوضات بيننا وبين الغرب تسير على هـذا الخط يروننا خروفاَ سميناَ يجب أكله حتى النهاية، وفي المقابل نحن نرى فيهم ذئاباَ مكشرة عن أنيابها... إلا أعوانهم من حكامنا الذين استباحوا الوطن لهم وقدموه لهم على طبق من ذهب.

يقول الكوني على لسان أحمد القره مانلي مخاطباَ أحمد بن موسى:

" كل من استولى على أرض أغراب يوماً فلا بدّ أن يفقدها يوماً لنجد أن هذه الرقعة قد عادت إلى صاحبها الفعلي في نهـاية المطاف"[1].

يُبشر الكونـي بعـودة الأراضي المُغتصبة مستقبلاُ لأصحابها ،ويُطمئِن أصحاب هذه الأراضي ،بأنها ستعود إليهم مهما طال الزمن أو قصر .في أي زمن من الأزمنة وفي أي بقعة من الأرض.

يقول الكوني :

" أنت تعلم الحال في السواحل الأفريقية. إنها معزولة عن عمقها. إنها شجرة مقطوعة الجذور ؛لأن من يقطن سواحلها منذ القـدم قوم لا صلة تربطهم بدواخلـها ،إنهم ملل تختلف عن أهلها. لأن أهلها لا يقيمون أبداً على شطوطها"[2]

يردد الكوني هنا ما يقوله المستعمرون ومن يريد أن يشعل نار الفتنة بين جنوب القارة الإفريقية وشمالها في أن سكان الشـمال ليسوا من أهلـها، وإنما قدموا إليها مع الفتح الاسلامي واستوطنوها.

أو كما يقولـون احتلـوها وتمتعوا بخيراتها وحيث إنهم جـاءوا مستعمرين فيجب أن يخرجوا، ولكن ألم يكن هناك أقـوام بشمال إفريقيـا قبل الفتـح الإسلامي. لمن جاء الفاتحون إذن.

[1] - إبراهيم الكوني،نداء ما كان بعيداَ، ص 457 .
[2] - إبراهيم الكوني، في مكان نسكنه في زمان يسكننا ص159 .

الخـاتمة

وبعد ؛فقد حـاولتُ وفق ما أتيح لي أن أخلص إلى نتـائج اجتهدت أن تكون دقيقة صادقة تحكمها الحيادية والتمعن ، وحاولتُ قدر المستطاع في القضايا الجزئية أن تكون نتائج الملاحظات مضبوطة يطمئن القـارىء إلى أحكامها .

وقد بنيت دراستي بطريقة استخلاصية تتدرجّ في انتقاء النتائـج واختزالها.

ولأن الدراسة تحـاول بقـدر الإمكان الابتعاد عن التكـرار، فسأحاول استخلاص الأفكار العامة التي خرج بها البحث من الملاحظات ،وتـرك التفاصيل في أماكنها لمن يرغب في الاطلاع عليها أو مراجعتها.

نتائـج البحث :ـ

ـ أضفى الكوني خيالـه الروائي،ما جعله يُخالف بعض الأحداث التاريخية،ولعله في ذلك كـان يستحضر التـاريخ المعاصر أثناء كتابته عن تاريخنا في الفترة القره مانلية.

ـ جعل الكوني من روايته (لون اللعنة) سبيلاً إلى قـدح شخصية يعلمها،رمز لها باسم (شلم) ،كما وظّف تاريخ قبيلة أولاد محمد فيها دون المغالطة فيه.

ـ وظّف الكوني تاريخ الأسرة القره مانلية عهد (أحمد ومحمد)،في روايتيه(نداء ما كان بعيداً ـ في مكان نسكنه في زمان يسكننا) ، موضّحاً حصول أحمد باشـا على السلطة بالانتزاع ،وإفـلاس الإيـالة أثناء توليه السلطة وإعادته ثـراءها بالقرصنة وتأمين الطرق ،واتخاذه من المرأة سبيلاً للمال.

أما محمد باشـا فقد تولـى السلطة بالوراثـة ،زمن قوتها، ولكنه ظلّ يمارس القرصنة،ولم يلجأ للمكوس كوالده ،أما المرأة فلم نجد لها أي دور في حياته.

ـ حضور شهوة الانتقام في روايـات الكوني ، حيث أصاب فيما ذكره عنها في بعض المواقف،ولكنه وقع في خلط بين مفهومي الانتقام والاعتداء،كما وجدتُ

أن مواقف الانتقام لديه هي نتيجة لردات فعل شخصية.

هذا وقد وقع الكوني في مفارقة الموقف حين رددّ لفظ الانتقام بكل متعة ،ثم نفاه في آخر قوله.

- حضور شهوة المتعة في روايـات الكوني، وقد قام بتفصيل أنواعها حين ذكر: التعذيب ،الفتن ،السلطان ،والنساء .
- كان للمرأة حضور مستهجن في روايات الكوني، حيث ذكرهـا في بداية قوله مظلومة أمية مستباحة،سبيل لنيل الأبـناء، كما نعتـها بأفظـع الصفات منها: الخداع، والانتماء لسلالـة الجن ،والمعتدية على الربوبية،وبأنها الشيطان،وغير العفيفة ،وبأنها تُبـاع وتُشترى كالسلـع ،كما جعل منها مكافـأة لمن قام بجيد العمل من الرجال ، وإن اعترف أخيراً بأمومتها ،وعاطفتها،وذكائها.
- استدعى الكوني التاريخ العربي ، ليتكىء على ما حمله من أحداث تـاريخية ولكي يضفي على رواياته الصفة التاريخية ، كما وظفه فيما ناسب ما أراد قوله في الروايات .
- قـام الكوني بإسقاط لبعض أحداث الزمن الماضي ، على بعض الأحداث التي تعيشها الأمة في الحاضر، قاصداً أن يُنير بعض الزوايا التي غفل عنها الشعب، لعله يتذكر زمن قوته ووحدته فينهض ليستعيد مجده.
- عقد الكوني مقارنة بين زعامات الزمن الماضي والحاضر،لكي يوضّح أنـهم متساوين في ظلمهم ،وبأن الطوارق هم الأحق بهذه الزعـامة ،لما يحملوه من خلاص لأبناء الأمة.
- جعل الكوني من نفسه متنبئاً لمستقبل الأمة وذلك من خلال نظره في تـاريخنا، بعد تركيزه في المـاضي،لذا أكّد على ثورة الشعوب المظلـومة،وبَشّر بالوحدة وعودة الأراضي المغتصبة،وكأنه يريد أن يقول إن التاريخ يُعيد نفسه.
- أراد الكوني إقحام الطوارق في التاريخ الماضي ،فقد جعلهم في فترات التاريخ

المختلفة التي وظفها في رواياته يقومون بأدوار البطولة والشجاعة.

ـ أراد الكونـي من خلال روايـاته أن يؤرخ للطوارق ،لعلمه بأن ما يكتبه اليوم سيكون تاريخاً في المستقبل.

أما المصاعب التي واجهت الباحثة أثناء كتابتها فهي:

ـ نقص المراجع؛وخصوصاً فيما يتعلق بتاريخ أولاد محمد.

ـ عدم وجود مكتبة أدبية متخصصة.

ـ قلـة المكتبات العامة،وهـذا ما جعلني انظر في الشبكة المعلوماتية للبحث عن ظالتي فيها.

المصادر والمراجع

أولاً : المصادر

- إبراهيم الكوني،رواية(لون اللعنة)المؤسسة العربية للدراسات والنشر- بيروت، الطبعة الأولى - سنة النشر2005 ف .
- إبراهيم الكونـي ،روايـة (نداء ما كـان بعيداً) المؤسسة العربية للدراسـات والنشر- بيروت ،الطبعة الأولى ،سنة النشر 2006 ف .
- إبراهيم الكوني ،رواية(في مكان نسكنه في زمـان يسكننا) المؤسسة العربية للدراسات والنشر- بيروت ، الطبعة الأولى ، سنة النشر2006 ف .

ثانياً : المراجع العربية :

1) الأطروحات العلميّة (مرقونة) :

- فيصل عبد الله حيدر،الصياغة اللغوية والتصوير الفني في نص الدنيا أيام ثلاثة لإبراهيم الكوني (أطروحة ماجستير) مخطوطة ،جامعة قاريونس ،بنغازي - الجماهيرية سنة 2005 ف.
- مختار الهادي الأدهم،المصطلح في نقد الرواية العربية،دراسة في إشكالية المصطلح (أطروحة ماجستير) مخطوطة،جامعة الفاتح،طرابلس - الجماهيرية سنة 1996.

2) الكتب والمعاجم العربية:

- القرآن الكريم،برواية قالون لقراءة نافع.
- إبراهيم الفيومي،قراءات نقدية في الروايـة العربية،الطبعة الأولـى،سنة النشر 2001،كلية الآداب - جامعة اليرموك.
- ابن منظور،لسان العرب،المجلد الثاني/المجلد الثالث عشر/المجلد الخامس عشر

لا توجد طبعة،سنة النشر1956ف،دار صادر.
- ابن منظور،لسان العرب ،المجلد الرابع عشر،الطبعة الاولى ،سنة النشر2000، دار صادر.
- ابن غلبون،التذكار،تعليق:الطاهر الزاوي،الطبعة الأولى،سنة النشر2004،دار أويا/طرابلس - ليبيا.
- أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري،الجزء الثالث،لا توجد طبعة ،لا توجد سنة النشر،دار الفكر العربي.
- ديوان أبو عبد الله محمد بن أدريس الشافعي،جمع وتحقيق وشرح إميل بديع يعقوب،الطبعة السادسة،سنة النشر 2001،دار الكتاب العربي،بيروت - لبنان.
- أبي الفرج الأصفهاني - الأغاني،المجلد الرابع والعشرين، الطبعة الثانية،سنة النشر1992 - دار الكتب العلمية ،بيروت - لبنان.
- ديوان أبي الطيب أحمد بن الحسين الشهير بالمتنبي،لا توجد طبعة،لا سنة النشر طبع بمطابع الزهراء للإعلام العربي،مصر.
- أحمد أمين،النقد الأدبي،الطبعة الرابعة،سنة النشر 1967، دار الكتاب العربي، لبنان.
- أحمد بك الأنصاري، المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب،لا توجد طبعة، سنة النشر1984،الناشر- دارف المحدودة - لندن المملكة المتحدة.
- أحمد هيكل - الأدب الأندلسي، الطبعة الثانية عشر،لا توجد سنة النشر،دار المعارف.
- إسماعيل بن كثير الدمشقي،البداية والنهاية،المجلد السادس،لا توجد طبعة،لا توجد سنة النشر/المكتب الجامعي الحديث،الإسكندرية - مصر.

- أمين توفيق الطِبي - تاريخ المغرب والأندلس،لا توجد طبعة،سنة النشر1984 الدار العربية للكتاب/ليبيا - تونس.
- أمين محمد الماعزي - حضارات الصحراء(2)، الطبعة الأولى ،سنة النشر

.2003
- أنيس مقدسـي - الفنون الأدبية وأعلامها في النهضة العربية الحديثة ،الطبعة الرابعة،سنة النشر 1984،دار العلم للملايين.
- ثابت ملكاوي - الرواية والقصة القصيرة في الإمارات،لا توجد طبعة،لا توجد سنة النشر،اصدارات المجمع الثقافي .
- حبيب وداعة - وثـائق دولة أولاد محمد بفزان ،المجلد الأول ،لا توجد طبعة، لا توجد سنة النشر.
- رجب نصير الأبيض،مدينة مرزق وتجـارة القوافل الصحراوية خلال القرن التاسع عشر،الطبعة الأولى ،سنة النشر1998 - منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية - ليبيا.
- سالم المعوش - في الأدب العربي الحديث، الطبعة الأولى،سنة النشر 1993 ، الجامعة المفتوحة - طرابلس .
- سيد حامد النساج،الرواية العربية الحديثة ،الطبعة الأولى ،سنة النشر1980،دار المعارف - القاهرة.
- سيد محمد ديب،فن الروايـة في المملكة العربية السعودية بين النشأة والتطور، الطبعة الثانية،سنة النشر 1995،مكتبة الأزهر.
- شاكر مصطفى - القصة في سورية،لا توجد طبعة،سنة النشر1957.
- الصادق النيهوم - تاريخـنا،الجزء الأول/الجزء الثانـي/الجزء الثالث/ الجزء الخامس،لا توجد طبعة،سنة النشر1983،دار التراث.
- الطاهر أحمد الزاوي،أعلام ليبيا، الطبعة الثانية،سنة النشر 1981،طرابلس - ليبيا.
- طه حسين - في الأدب الجاهلـي،الطبعة الثانية عشر ،لا توجد سنة النشر،دار المعارف.
- طه وادي - مدخل إلى تـاريخ الروايـة المصرية،الطبـعة الثانية ،سنة النشر

1997 مصر.
- عبد الرحمن عبد الحميد،النقد الأدبي بين الحداثة والتقليد،لا توجد طبعة،لا توجد سنة النشر،دار الكتاب الحديث.
- عبد الرحيم الكردي،السرد ومناهج النقد الأدبي،لا توجد طبعة،سنة النشر 2004 مكتبة الآداب،القاهرة - مصر.
- عبد العزيز عتيق - الأدب العربي في الأندلس،لا توجد طبعة،لا توجد سنة النشر،دار الآفاق، القاهرة - مصر.
- عبد الفتاح عثمان،دراسات في النقد الحديث،الطبعة الأولى،سنة النشر1991 ، مصر.
- عبد الله سالم مليطان،معجم القصاصين الليبيين،الجزء الأول،الطبعة الأولى، سنة النشر2001،دار المداد،طرابلس - ليبيا.
- عبد المنعم الحفني،موسوعة الطب النفسي،الكتاب الجامع في الاضطرابات النفسية وطرق علاجها نفسياً،المجلد الثاني،لا توجد طبعة،لا توجد سنة النشر، مكتبة مدبولي - مصر.
- علي عبد المطلب الهوني،أضواء نقدية على رباعية الكوني،الطبعة الأولى،سنة النشر2001 ،دار البيان - ليبيا.
- فرج عبد القادر طه،معجم علم النفس والتحليل النفسي،الطبعة الأولى،لا توجد سنة النشر،دار النهضة - مصر.

- قاسم عبده - أحمد الهواري - الرواية التاريخية في الأدب العربي الحديث، لا توجد طبعة،سنة النشر1979 ف،دار المعارف - مصر.
- مجدي وهبه وكامل المهندس - معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب لا توجد طبعة،سنة النشر1989 ف،بيروت - لبنان.
- محسن جاسم الموسوي،الرواية العربية النشأة والتحول،الجزء الأول ،لا توجد

طبعة،لا توجد سنة النشر،دار الآداب ـ بيروت.
ـ محمد بسيوني ـ العار الأمريكي، الطبعة الأولـى ،سنة النشر 2005 ف، دار الكتاب العربي.
ـ محمد سعيد القشاط،عرب الصحراء الكبرى التوارق، الطبعة الرابعة،سنة النشر 2008،الدار العربية للموسوعات.
ـ محمد سعيد القشاط،صحراء العرب الكبرى،الطبعة الأولـى ،سنة النشر1994، دار الرواد،طرابلس ـ ليبيا.
ـ محمد سليمان أيوب،جرمة من تاريخ الحضارة الليبية،الطبعة الأولى ،سنة النشر 1969،دار المصراتي،طرابلس ـ ليبيا.
ـ محمد صائل حمدان،قضايا النقد الحديث،الطبعة الأولـى ،سنة النشر1991،دار الأمل ـ الأردن.
ـ محمد صالح الجابري ـ القصة التونسية نشأتها وروادهـا،لا توجد طبعة،سنة النشر 1975 تونس.
ـ محمد عبد الرزاق مناع،الأنساب العربية في ليبـيا ،لا توجد طبعة ،سنة النشر 2007 ،مكتبة التمور،بنغازي ـ ليبيا.
ـ محمد فؤاد حجازي ـ الأسرة والتصنيع،الطبعة الثـالثة، سنة النشر 1979ف، القاهرة ـ مصر.
ـ محمد الهـادي أبوعجيلة ـ النشـاط الحربي الليبي في البحر المتوسط ،الطبعة

الثانية،سنة النشر2008،منشورات جامعة السابع من اكتوبر.
ـ محمود ناجي،تاريخ طرابلـس الغرب ،ترجمة:عبد السلام أدهم/محمد الأسطى، لا توجد طبعة،لا توجد سنة النشر،منشورات الجامعة الليبية،كلية الآداب.
ـ منصور علي الشريف ،عائلة المكني أبناؤها وأدوارهم في التاريخ الليبي،الطبعة الأولى،سنة النشر2003، مركز جهاد الليبيين للدراسـات التاريخية،طرابلس ـ ليبي.

- ميشال عاصي - الفن والأدب، الطبعة الثالثة، سنة النشر 1980، بيروت - لبنان.
- ياسر عبد المعطي - بحوث في علم الاجتماع/ المرأة في المجتمع،لا توجد طبعة،سنة دار النشر2007،دار الكتاب الحديث.
- دليل المؤلفين العرب الليبيين،لا توجد طبعة ،سنة النشر 1977، دار الكتب، طرابلس - ليبيا.
- الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي،دراسة بنيوية تكوينية،الطبعة الأولى، سنة النشر1985،دار الثقافة،الدار البيضاء - المغرب.
- الموسوعة العربية العالمية،الطبعة الثانية ،سنة النشر 1999،الناشر/المملكة العربية السعودية.
- موسوعة علم النفس الشاملة،المجلد التاسع ،لا توجد طبعة،لا توجد سنة النشر Edito Crepsnai Intemat .

3) الكتب المترجمة إلى العربية :

- اكناتي كراتشكوفسكي،الرواية التاريخية في الأدب العربي الحديث ودراسات أخرى،ترجمة:عبد الرحيم العطاوي،لا توجد طبعة،لا توجد سنة النشر.

- رودلفو ميكاكي،طرابلس الغرب تحت حكم الأسرة القرمانلية،ترجمة:طه فوزي، مراجعة:حسن محمود وكمال الدين الخربوطللي /معهد الدراسات العربية(جامعة الدول العربية)لا توجد طبعة،سنة النشر1961.
- روجر آلن - الرواية العربية، ترجمة :حصة المنيف،لا توجد طبعة ،سنة النشر1997 ف المجلس الأعلى للثقافة .
- ريتشارد توللي،عشر سنوات في بلاط طرابلس،ترجمة:عمد الديراوي أبوحجلة، لا توجد طبعة،لا توجد سنة النشر،مكتبة الفرجاني،طرابلس - ليبيا.

- شارل فيرو - الحوليات الليبية،ترجمة :محمد عبد الكريم الوافي،الطبعة الثالثة، سنة النشر 1994 ف ،بنغازي - ليبيا.
- ن.إ.بروشين - تـاريخ ليـبيا في العصر الحديث، ترجمة :عماد حاتم ،الطبعة الثـانية،سنة النشر2005 ف،الناشر:مركز جهاد الليبيين للدراسـات التاريخية، طرابلس - ليبيا.

4) الدوريات :

أ - المجلات :

- مجلة الآداب ،العدد التاسع،سنة 2009 ف.
- مجلة الفصول الأربعة،العدد الحادي والثمانين،سنة 1996 ف.
- مجلة الفكر العربي،العدد السادس والعشرين،الجزء الثاني،مارس،سنة 1972 ، 1979،السنة الرابعة.
- مجلة الفكر العربي،العدد الرابع عشر،مارس،سنة1980 ف.
- مجلة العربي،العدد خمس مئة وثمانية،مارس،سنة2001ف.

5) المقابلات :

- لقاء مباشر على شاشة الجزيرة الفضائية على حلـقة واحدة ، في برنامج زيادة خاصة/لسامي كليب ، بُث الحلقة الأولى يوم السبت مساءاً الموافق2009/6/27. و بُتث إعادة الحلـقة ،يوم الاثنين 2009/6/29 ف ،مسـاءاً،على موقـع شبكة المعلومات الدولية.
- الموقع على شبكة المعلومات الدولية:
حول رواية إبراهيم الفقيه خرائط الروح:بقلم أحمد سعيد.
www.maakom,com

حول الشاعر الحراني وبيته المذكور في كتاب الصداقة والصديق.
Forum.moe.gov.om

الفهرس

الموضوع الصفحة
المقدمة..... ه
التمهيد:.....1
- الرواية..... 3
- الرواية العربية.....6

- الرواية التاريخية العربية 13
- الرواية التاريخية في ليبيا..... 16
- التعريف بالروائي إبراهيم الكوني..... 18

الفصل الأول:

حقيقة الأسرة القره مانلية وأركان سعادتها..... 22

- المبحث الأول:

الأسرة القره مانلية بين الحقيقة التاريخية والخيال الروائي في الروايات الثلاث.....23

- المبحث الثاني:

مثلث السعادة عند مؤسسي الأسرة القره مانلية.....82

*السلطة عند مؤسسي الأسرة القره مانلية 83

*المال عند مؤسسي الأسرة القره مانلية.....90

*المرأة عند مؤسسي الأسرة القره مانلية.....95

الفصل الثاني:

انحسار دور المرأة في الرواية التاريخية عند الكوني في الروايات الثلاث.....99

- المبحث الأول:

تحقيق شهوة الانتقام في الروايات الثلاث.....100

- المبحث الثاني:

تحقيق شهوة المتعة في الروايات الثلاث.....114

- المبحث الثالث:

تلاشي دور المرأة في الروايات الثلاث.....122

الفصل الثالث:

التاريخ وانعكاسه حاضراً ومستقبلاً.....129

- المبحث الأول:

استدعاء التاريخ العربي.....130

- المبحث الثاني:

رؤية الحاضر بعين الماضي.....149

الخاتمة.....ط

المصادر والمراجع.....ل

الفهرس.....ر